الفتح المبين

في

سيرة الرسول الأمين

صلى الله عليه وسلم

تأليف

أ.د / محمود عمر هاشم

عميد كلية الدراسات الاسلامية

والعربية للبنات بالزقازيق جامعة الأزهر سابقا

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا
إنك أنت العليم الحكيم

صدق الله العظيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وأصحابه أجمعين

وبعد،

فإن السيرة النبوية، هي أعظم وأشرف سيرة عرفتها البشرية، تتجلي فيها الاسوة الحسنة من خلال حياة الرسول ﷺ ومن أجل ذلك يجب علي كل مسلم أن يأخذ منها الصبرة والعظة في كل مراحل حياته، وأن يتعلم منها حتي يكون علي بينة من أمر دينه، ويطبقها عملياً.

ومن خلال السيرة النبوية يقف المسلم علي نماذج البطولة في الجهاد، وفي البذل والعطاء للصحابة الأخيار رضي الله عنهم أجمعين، ونحن من خلال هذه الدراسة في السيرة النبوية نقدم دروسا نافعة إن شاء الله تعالي، هذا،

وصلي الله علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

أ.د/ محمود عمر هاشم

٢

البِعْثَةُ النَّبويَّةُ

طبيعة الرِّسالة الخاتمة : عامَّة للعالمين ، وتخاطب العقل ، وتجمع النَّاس حول شرع الله ، ومعجزتها خالدة باقية ، وحقائقها ثابتة ، لأنَّها تنزيل مهين عليم .

أرْضُ النُّبوَّة :

يرى بعض المستشرقين أن بيت المقدس (أورسالم) أرض النُّبوَّة فقط ، لظهور داود وسليمان وعيسى فيها ، وهذا رأي باطل ، فالله أعلم حيث يجعل رسالته ، يختار سبحانه الزَّمان والمكان المناسبَيْن ، ولقد أرسل هوداً في الأحقاف[1] ، وصالحاً في الحِجْر[2] ، وإسماعيلَ في الحجاز ، والأحقاف ، والحِجْر والحجاز أليست في أرض شبه جزيرة العرب ؟!

ومع ذلك : الحجاز قلب القارات القديمة ، لذلك قيل : « الكعبة سُرَّة الأرض » ، أي تقع في مكان متوسِّط بينها ، وفي الحجاز مكَّة ، وفي مكَّة الكعبة الَّتي بناها أبو الأنبياء ، إبراهيم عليه السَّلام ، والحجاز لم تكن بمعزل عن قلب العالم القديم مطلقاً ، فمكَّة ـ أهمُّ مدن الحجاز قبل الهجرة ـ كانت عقدة مواصلات تجاريَّة .

وُلد محمد بن عبد الله ﷺ بمكَّة فجر يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأوَّل ٥٣ ق.هـ ، الموافق للثلاثين من شهر آب (أُغسطس) سنة ٥٧٠ م ، من أوسط قريش ، من أُسرة فيها سموٌ وعُلُو ، ولم يكن سموُّه ﷺ وشرفه بأنَّه من خيرهم مالاً

---

(١) الأحقاف : وادٍ بين عمان وأرض مَهْرة في حضرموت . [معجم البلدان : ١١٥/١] .

(٢) الحِجْر : ديار ثمود بوادي القرى (شمالي المدينة منوَّرة) ، [معجم البلدان : ٢٢٠/٢] .

وسطوة ، بل كان شرفه بأنّه من خيرهم نفساً وبيتاً ، فلجده قُصي سدانة البيت ، وإمرة مكّة ، والحجابة والرِّفادة والسِّقاية ، ورئاسة دار النَّدوة (دار الشُّورى لقريش) ثمّ لكل العرب ، التي كانت تعقد في دار قصيّ ، والّذي كان له اللّواء أيضاً .

ولعبد المطّلب - حفيد قصيّ - رئاسة قريش ، استحقّها بقوّة نفسه ، ورفيع خلقه وسماحته ، في طلعته يُمْنٌ وعزيمة وقوّة ، مع هدوء وطيب من غير هوان ، وهو الّذي حفر زمزم بعد أن ردمتها جُرْهُم برؤيا صادقة مكرّرة ، لمس ﷺ في حضانته عزّة الرّجال ، وحكمة الشّيوخ ، وعطف الأُبوّة[1] .

وأُمُّه آمنة بنت وهب الزُّهريّة ، تشبه البتول في سموّها وصبرها ، حملت سرَّ هذا الوجود ، وكأنّها أُودعت أمانة النُّبوّة لتحتفظ بها ، ولا هادي يهديها إلاّ ما انبعث في نفسها من نور الفطرة والإحساس بعبء الأمانة ، فأحداث هذا الوجود تسير على مقتضى ناموس كوني ثابت عند ربّ العالمين .

كافح ﷺ من أجل لقمة العيش ، ثبت أنّه ﷺ رعى الغنم في مكّة ، ثمّ عمل مع عمّه أبي طالب بالتّجارة ، وسار معه إلى بُصْرى ، وهو ابن تسع أو ابن اثنتي عشرة سنة ، حيث لاقاه بَحِيرَى الرّاهب[2] ، حيث نزل ركب التّجارة قرب صومعته ، فرأى غمامة تظلّه ، وشجرة تتهصّر[3] فروعها عليه .

وهنا يرى عدد من المستشرقين والمبشّرين أن القرآن وكلّ ما فيه من تأليف الرّاهب بَحِيرى ، أعطاه محمداً أثناء وجوده في بُصرى ، عندما سافر مع عمّه إلى بلاد الشّام .

---

(١) خاتم النّبيّين ، محمد أبو زهرة ، ص : ١١٥

(٢) بَحِيرى : كلمة آراميّة ومعناها (المنتخَب) ، واسمه (سرجيوس) ، [دائرة المعارف الإسلاميّة : ٣٩٦/٣] .

(٣) جاء في [اللّسان : هصر] : وفي الحديث : أنّه ﷺ كان مع أبي طالب ، فنزل تحت شجرة فتهصّرَتْ أغصانُ الشّجرة ، أي تهدّلت عليه .

وردُ هذه الشُّبهة يمكن أن نجمله بما يلي[١] :

لماذا لم يجمع بحيرى قومه من حوله ، فيغلب بهم من سواهم ، بعد أن يدّعي القرآن نفسه ؟

وهل كان بحيرى رئيسَ (أكاديميّة) تخرّج الأنبياء ، والكتب المعجزة ؟

وزمن الزّيارة قصير جداً ، وحجم القرآن كبير ، والطّفل - محمد بن عبد الله - صبيٌّ ، فلِمَ لم يختر بحيرى شاباً ناضجاً ، وقارئاً متعلّماً ، يعود إلى ما أعطاه - قراءة ومراجعة - متى شاء ؟!

وما العلاقة بين محمد وبحيرى ؟ وما تاريخها ؟ وما نوعها ؟ ولماذا اختار طفلاً من مكّة بالذّات ؟!

وقريش - قبيلة محمد - حاضرة بعدد من رجالاتها ، فلو أعطاه شيئاً لقالت عندما قال لها : هذا كتاب الله الموحى إليّ - : لا .. بل أعطاكه بحيرى في بُصرى بوجودنا !!

وأين بحيرى من أحداث ما بعد البعثة ، وأحداث ما بعد الهجرة[٢] ؟

والإعجاز الغيبي ، والعلمي فوق طاقة القدرات البشريّة ، ومن أين لبحيرى (الأعجمي) هذا الإعجاز اللّغوي ؟

إن بحيرى هو المستفيد الأوّل والأخير من لقائه بمحمد بن عبد الله ﷺ ، فلولا هذا اللّقاء لاندثر اسم بحيرى كما اندثرت أسماء أُلوف الرُّهبان من قبله ومن بعده .

---

(١) انظر الجلسة الثّانية في كتاب (الإسلام في قفص الاتّهام) ، والّتي تحت عنوان : (القرآن والكُهّان) .

(٢) لم يدرك بحيرى القرن السّابع الميلادي ، ففي (المنجد في الأعلام) - وهو قاموس مسيحي ، جاء ص : ١١٩ أنّه عاش في النّصف الثّاني من القرن السّادس .

ثمّ تاجر ﷺ في مكّة ، مع شركاء منهم : السّائب بن أبي السّائب[1] ، وسمّي في هذه الفترة (الأمين) فإن أُطلقت لا تنصرف إلاّ إليه .

ولم ينقطع ﷺ عن قومه في أعمالهم الجماعيّة ، وكان يحضر (دار النّدوة) ، ولما جاء وفد من اليمن ورأى فيه كبارهم نظرات قويّة أحياناً ، وهادئة مستبشرة أحياناً أُخرى ، قال أحدهم : مالي أرى هذا الغلام تارة ينظر إليكم بعيني لبؤة ، وأُخرى بعيني عذراء خفرة[2] ، والله لو أن نظرته الأُولى كانت سهاماً لانتظمت أفئدتكم فؤاداً فؤاداً ، ولو أن نظرته الثّانية كانت نسيماً لأنشرت أمواتكم[3] .

وشارك ﷺ وهو ابن عشر سنين في حرب الفجّار ، وشهد حلف الفضول ، ولفتت بواهبه نظر خديجة بنت خويلد ، الّتي كانت تُدعى في الجاهليّة (الطّاهرة) ، فكان زواج (الأمين) بـ (الطّاهرة) ، و (الأمين) أروع صفة تطلق على رجل ، و (الطّاهرة) أجمل صفة تطلق على امرأة .

☆ ☆ ☆

طبيعةُ الرّسالةِ الخاتِمة :

كان ﷺ يتعبّد في غار حرّاء[4] ، على دين إبراهيم (الحنيفيّة) ، حتّى نزل عليه جبريل بـ ﴿ اقْرَأْ ﴾ وهو في الأربعين من عمره ، لتبدأ مسيرة شريعة الإسلام ، شريعة خاتمة ، وبذلك يكون محمد بن عبد الله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين أيضاً ، ولهذا جاءت شريعة الإسلام تتميّز بما يلي :

---

(١) السّائب بن أبي السّائب : واسم أبي السّائب صيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي ، اختلف في إسلامه ، قال عنه ﷺ : « نعم الشّريك ، كان لا يُشاري ولا يُماري » ، [أُسد الغابة : ٢١٥/٢] ، والمشاراة : اللّجاج والمجادلة بالباطل .

(٢) الخَفَرُ : شدّة الحياء ، [اللّسان : خفر] .

(٣) خاتم النّبيّين ، ص : ١٨١ ، عن (زهرة الآداب) .

(٤) حِرَاءٌ : جبل من جبال مكّة على ثلاثة أميال ، معجم البلدان : ٢٣٣/٢] .

١ ـ عامّة للعالمين :

﴿ إنْ هُوَ إلاّ ذِكْرٌ لِلعَالَمينَ ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ ، [ص : ٨٧/٣٨ و ٨٨] .

﴿ وَمَا أرسَلْناكَ إلاّ رَحمةً لِلعَالَمينَ ﴾ ، [الأنبياء : ١٠٧/٢١] .

﴿ تَبارَكَ الّذِي نَزّلَ الفُرْقانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعالَمِينَ نَذِيراً ﴾ ، [الفرقان : ١/٢٥] .

بينما : ﴿ لَقَدْ أرْسَلْنَا نُوحاً إلى قَوْمِهِ .. ﴾ ، [الأعراف : ٥٩/٧] ، ﴿ وَإلى مَدْيَنَ أخَاهُمْ شُعَيْباً .. ﴾ ، [الأعراف : ٨٥/٧] ، ﴿ وَإلى ثَمُودَ أخَاهُمْ صَالِحاً ﴾ ، [الأعراف : ٧٣/٧] ، ﴿ وَإلى عَادٍ أخَاهُمْ هُوداً ﴾ ، [هود : ٥٠/١١] ، وموسى أُرسل لقومه ، والسيّد المسيح أرسل لخراف بني إسرائيل الضّالّة .

٢ ـ تُخَاطِبُ العَقْلَ : لكمال نضجه ، فلا كسب للأتباع بالعواطف ، ولخلوده وبقائه ، لا أسرار ولا رموز :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ بَدأ الْخَلْقَ ثُمّ اللهُ يُنْشِئُ النّشْأةَ الآخِرَةَ إنّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، [العنكبوت : ٢٠/٢٩] .

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إنّمَا يَتَذَكّرُ أُولُوا الألْبَابِ ﴾ ، [الزمر : ٩/٣٩] .

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ ، [طه : ١١٤/٢٠] ، علماً يصلح أمر الفرد والمجتمع في الدّين والدّنيا ، وقال ﷺ : « ليس منّي إلاّ عالِم أو مُتعلّم » ، « العِلْم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة » .

ووردت آيات عديدة في القرآن الكريم فيها ذكر : ﴿ أُولوا الألباب ﴾ ، و ﴿ لأُولي النّهى ﴾ ، ومواضع عديدة ذكر فيها القرآن الكريم آيات يُخَاطب بها ﴿ قوم يَعْقِلُون ﴾ .

﴿ إنَّ في خَلْـقِ السَّمـواتِ والأرْضِ وَاخْتِـلافِ اللَّيْـلِ وَالنَّهـارِ لآيـاتٍ لأُولي الألْبابِ ﴾ ، [آل عمران : ١٩٠/٣] .

٣ ـ جمعتِ النَّاسَ حَوْلَ شَرْعِ الله : لا حول شخصه ﷺ ، فهي شريعـة إلهيَّـة إسلاميَّة ، لا شريعة محمَّديَّة ، مع أنَّه ﷺ قبل البعثة مثال الرُّجولة الكاملة ، والأمانة المطلقة ، والإنسانيَّة التَّامَّة ، فهو (المصطفى) ، وهذا الاصطفاء أثبت الزَّمان صحَّته وروعته .

٤ ـ معجزةٌ خالدةٌ : ليست آنيَّةً استفاد منها من رآها ، فمعجزة القرآن الكريم باقية خالدة لمس العربي الإعجاز اللُّغوي والعلمي فيها ، ولمس الأعجمي الإعجاز العلمي والتَّشريعي والاجتماعي ..

ولطبيعة الرِّسالة الخاتمة ، جاءت الآيات تؤكِّد على (الظَّاهرة القرآنيَّة) معجزةً إلهيَّة ، وترفض الخوارق والمعجزات الآنيَّة :

﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِن رَبِّهِ قُلْ إنَّما الآياتُ عِنْدَ اللهِ وَإنَّما أنا نَذيرٌ مُبينٌ ☆ أَوَلَمْ يَكْفِهِم أَنَّا أنْزَلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ يُتْلَى عَلَيْهِم إنَّ في ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكرَى لِقَوْمٍ يؤمِنُونَ ﴾ ، [العنكبوت : ٢٩/٥٠ و ٥١] .

﴿ فَلا تُطِعِ الكافِرينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ[1] جِهاداً كبيراً ﴾ ، [الفرقان : ٢٥/٥٢] .

٥ ـ حقـائقـه ثـابتـة : وكلُّ ما في القرآن الكريم من أخبار تاريخيَّة ، ولفتات كونيَّـة ، وعلميَّـة ، وطبِّيَّـة ، وطبيعيَّـة .. مهما مرَّ الزَّمن ، وتقـدَّم العلم وارتقى ، لا تُنْقَض ، ولن يأتي العِلْم بما يعاكسها ، فهي تنزيل مهين عليم ، وهو أعلم بما خَلَقَ ، فهي لا تحتمل الخطأ مطلقاً :

(١) بـه : يعني القرآن : انظر مثلاً مختصر تفسير الإمام الطَّبري ، ص : ٤٠٩ ، وفي تفسير الجلالين : ﴿ وجاهدهم به ﴾ أي القرآن ، ص : ٤٨٢ ، وفي الدُّرّ المنثور في التَّفسير بالمأثور : ٧٤/٥ : ﴿ وجاهدهم به ﴾ : بالقرآن .

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ، [يس : ٣٨/٣٦] .

﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ ، [الزمر : ٥/٣٩] .

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ، [الأنبياء : ٣٣/٢١] .

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ .. ﴾ ، [النمل : ٨٨/٢٧] .

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ .. ﴾ ، [النور : ٤٠/٢٤] .

﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً ﴾ ، [نوح : ١٦/٧١] .

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[1] ، [الأنبياء : ٣٠/٢١] .

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ ، [الذاريات : ٤٧/٥١] .

﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ✩ فَجَعَلَ مِنْهُ[2] الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴾ ، [القيامة : ٣٨/٧٥ و ٣٩] .

﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ[3] وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ ، [الروم : ٢/٣٠ و ٣] .

﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ، [الرعد : ٧/١٣] ، ومحمد بن عبد الله ﷺ لِكُلّ الأقوام : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ ، [الأعراف ١٥٨/٧] ،

(١) الرّتق ضدّ الفتق ، أي كانت ملتئمة ، [اللّسان : رتق] .

(٢) يقرّر القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة أنّ جنس المولود مصدره الرّجل ، وهذه حقيقة علميّة أيضاً جاءت متأخّرة جداً عن كتاب الله المجيد .

(٣) دنا الشّيء دنوّاً : قرُبَ ، والأدنى : السّفل ، نقيض العلو ـ أي المنخفض ـ ، [اللّسان : دنا] .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ ، [سبأ : ٢٨/٣٤] ، لذلك جاءت معجزته باقية لكل عصر ، يستطيع كلُّ عالِمٍ كبير ، أو (أكاديمي) مختص أن يدرس القرآن ويتفحَّصه من خلال اختصاصه فيدهش .

☆ ☆ ☆

دَعْوَةُ الحقّ :

بدأت الدَّعوة بنبوَّة محمَّد ﷺ ، كما أرادها الله أن تكون ، ثمَّ أنذر عشيرته الأقربين ، ثمَّ قبيلته وقومه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيكَ قُرآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ، [الشّورى : ٧/٤٢] . ثمَّ (الهدف) البشريَّة جمعاء ، والعالَم كلُّه : ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرآنٌ مُبِينٌ ☆ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً .. ﴾ ، [يس : ٦٩/٣٦ و ٧٠] ، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ، [التّوبة : ٣٣/٩] .

وتتجلّى عالميَّة الدَّعوة الإسلاميَّة وتتوضَّح أيضاً بما يلي :

ـ تنبُّؤ رسول الله ﷺ عند هجرته إلى المدينة ، وهو في أشدّ ساعات الحرج والخطر بأنَّ سُراقة بن مالك سيلبس سواري كسرى ونطاقه عندما قال له : كيف بك يا سراقة إذا سوِّرت بسواري كسرى ؟! قال سراقة : كسرى بن هرمز ؟ قال ﷺ : نعم[1] .

ـ وصيَّة رسول الله ﷺ لصحابته بأن يستوصوا بأهل مصر خيراً عندما قال : إنَّ الله سيفتح عليكم بعدي مصر ، فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإنَّ لهم فيكم صهراً وذمَّة[2] .

---

(١) الكامل في التّاريخ : ٧٤/٢ ، عيون الأثر : ١٨٢/١ ، ابن هشام : ٩٦/٢ ، البداية والنّهاية : ١٨٥/٣ ، السّيرة النّبويّة : ٣٧٢/١ .

(٢) الطّبري : ٢٢٨/٤ .

- وقال ﷺ لرسولَيْ باذان عامل اليمن من قبل كسرى : إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى[١] .

☆ ☆ ☆

محمَّد ﷺ (الإنسان) :

شذور من كلامه ﷺ : الَّذي هو النِّهايةُ في البيان ، والغايةُ في البرهان ، المشتمل على جَوَامع الكَلِم ، وبدائع الحِكَم ، وقد قال ﷺ : أنا أفصَحُ العرب بَيْدَ أنّي من قريش ، واستُرضعت في سعد بن بكر[٢] :

وليس بعضُ كلامه بأولى من بعض بالاختيار ، ولا أحقَّ بالتَّقديم والإيثار ، إنَّها شذور من قوله ﷺ الصَّريح الفصيح ، العزيز الوجيز ، المتضمّن بقليل من المباني كثيرَ المعاني :

- قوله ﷺ للأنصار : إنَّكم لَتقلُّون عند الطَّمع ، وتكثُرون عند الفَزَع .
- وقوله ﷺ : المسلمون تتكافأُ دماؤهم ، ويَسْعى بذمّتهم أدناهم ، وهم يَدٌ على مَنْ سِوَاهم .
- إيَّاكم وخَضْراء الدِّمَن[٣] .
- كلُّ الصَّيدِ في جَوْفِ الفرَا[٤] .
- مَطْلُ الغنيِّ ظُلم .

---

(١) الكامل في التَّاريخ : ١٤٦/٢

(٢) زهرُ الآداب وثمرُ الألباب : ٥٩/١ (طبعة دار الجيل) ، ط ٤ سنة ١٩٧٢ م .

(٣) الدِّمن جمع دمنة ، وهي مربط الإبل والخيل ، ينبت فيها النَّبات فيكون رائع الخضرة لكثرة الماء والسّماد ، وخضراء الدِّمن : كناية عن المرأة الوسيمة تدرج من بيت السوء ، [زهر الآداب : ٦٠/١] .

(٤) الفرَا : حمار الوحش ، « كلُّ الصَّيد في جوف الفرا » مثل ، ومعناه أن من قال الأمر العظيم كان خليقاً أن ينسى ما سواه مما ينال النَّاس .

- حمي الوطيس[١] .
- ماتَ حَتْفَ أنفه .
- لا يُلدَغُ المؤمنُ مِن جحرٍ مرَّتَيْن .
- السَّعيدُ من وُعِظَ بغيره .
- ولا ينتطحُ فيه عنزان .
- جنَّة الرَّجل دارُه .
- النَّاسُ نيام ، فإذا ماتوا انتبَهُوا .
- إنَّكم لن تَسَعُوا النَّاس بأموالكم ، فسَعُوهم بأخلاقكم .
- ما قلَّ وكفى ، خيرٌ مما كثر وألهى .
- كلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له .
- المستشير مُعَان ، والمستشار مؤتمن .
- من حُسْنِ إسلامِ المرء تركُهُ ما لا يعنيه .
- النَّدَمُ تَوْبة ، وانتظارُ الفَرَج عبادة .
- المرءُ كثيرٌ بأخيه .
- كلُّ مَنْ في الدُّنيا ضيف ، وما في يديه عاريَّةٌ ، والضَّيفُ مُرْتَحِل ، والعاريَّة مؤدَّاة[٢] .

☆ ☆ ☆

---

(١) في [اللِّسان : وطس] : وطس الشَّيءَ وَطْساً : كسره ودقَّه ، والوطيس : المعركة لأن الخيل تطِسُها بحوافرها ، قال ﷺ في حنين : الآن حمي الوطيس ، وهي كلمة لم تُسمع إلاَّ منه ، وهو من فصيح الكلام عبَّر به عن اشتباك الحرب وقيامها عن ساق .

(٢) قال الجاحظ عن كلامه ﷺ : « الكلام الَّذي قلَّ عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجلَّ عن الصَّنعة ، ونزه عن التَّكلُّف ، استعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السُّوقي ، فلم ينطق إلاَّ عن ميراث حكمة ، ولم يتكلَّم إلاَّ بكلام حُفَّ بالعصمة ، وشدّ بالتَّأييد ، ويسر بالتَّوفيق ، وهذا الكلام الَّذي ألقى الله تعالى المحبَّة عليه ، وغشاه =

مراحل الدعوة

قلنا آنفاً إن آيات سورة المدثر هي التي أمرت محمداً أن ينذر الناس، وأن يدعوهم لدين الله، وقد بدأت بهذه الآيات مراحل الدعوة للدين الجديد[1] وهذه المراحل ثلاث هي:

- المرحلة الفردية.
- دعوة بني عبد المطلب.
- الدعوة العامة.

وسنتحدث عن كل منها فيما يلي:

المرحلة الفردية:

هي المرحلة الأولى من مراحل الدعوة، وفيها دعا الرسول سراً أهل بيته كما دعا خاصة أصدقائه، وكان يدعوهم لمبادىء الإسلام الأولى التي ذكرتها هذه الآية وهي الإيمان بالله ونبذ عبادة الأوثان. فآمن به في هذه المرحلة زوجته، وابن عمه علي، وزيد مولاه، ثم دعا الرسول أبا بكر وكانت له به صلة فآمن به، وعن طريق أبي بكر أسلم السابقون الأولون: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام. وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة بن الجراح، والأرقم بن أبي الأرقم الذي اتخذت داره لتكون مقراً للدعوة السرية للدين الجديد، ودخل مع هؤلاء مجموعة من الموالي والفقراء[2]. وقد استمرت هذه الدعوة السرية ثلاث سنوات.

ومما يذكر عن إسلام طلحة أن بني تيم قومه وقوم أبي بكر سخطوا على إسلامهما، وعبر نوفل بن خويلد الذي كان يدعى « أسد قريش » عن هذا السخط بأن تقدم وربطهما في حبل واحد وأخذ يشهر بهما،

(١) انظر زاد المعاد ١ : ٢٠.

(٢) ابن هشام ١ : ١٦٥ وزاد المعاد ٢ : ٤٢ – ٤٣.

ولذلك سميا القرينين[1] ولذلك هذه التسمية شرفاً يحرص عليه طلحة . وممن بكّر بالإسلام من أقارب طلحة عمه عمرو بن عثمان وقد كان ضمن المهاجرين إلى الحبشة ، أما عمه الآخر عمير بن عثمان فقد قتل فى بدر مع المشركين ، وأسر أخوه خالد بن عبيد الله فى بدر أيضاً ومات أسيراً[2] .

دعوة بنى عبد المطلب :

هذه هى المرحلة الثانية من مراحل الدعوة ، وقد بدأها الرسول عندما نزل عليه قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين)[3] فدعا بنى عبد المطلب ليجتمعوا به ، فلما حضروا قال لهم : إنى ما أعلم شاباً جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، فلقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة . وبلغهم دعوته ، فصدق به بعضهم وكذب به آخرون ، وكان عمه أبو لهب هو وزوجته من أشد الناس قسوة عليه ، وقد هتف به أبو لهب قائلا : تباً لك ، ألهذا دعوتنا ؟ فنزل قوله تعالى : (تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد)[4] .

وقد كانت هذه المرحلة بدء الجهر بالدعوة للدين الجديد ، ولذلك مهدت للمرحلة الثالثة من مراحل الدعوة وهى التى سنتكلم عنها فيما يلى :

الدعوة العامة :

نزل قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)[5] فانطلق الرسول يدعو للاسلام جهراً كل طوائف الناس ، يدعو السادة والعبيد ، يدعو الأقربين والغرباء ، يدعو أهل مكة ثم يتجاوزها إلى البلاد الأخرى ، وكذلك يدعو الحجاج الذين يفدون إلى مكة من مختلف البلدان .

---

(١) الرياض النضرة فى تاريخ العشرة (٢) الدرر لابن عبد البر ص ٥٣ و ١١٤ .
(٣) سورة الشعراء الآية ٢١٤ . (٤) سورة المسد .
(٥) سورة الحجر الآية ٩٤ .

مقاومة قريش وأسبابها ومراحلها

بدأت الدعوة للإسلام سراً كما قلنا . وربما عرفت قريش أخبارها آنذاك ، ولكن قريشاً لم تعلن العداء على محمد إبان هذه المرحلة السرية ، إذ لم تتصور قريش أن الدعوة ستقوى وتشتد ويعتنقها أفراد كثيرون ، وكذلك لم تهتم قريش بدعوة محمد ابن عبد المطلب ، فقد رأت هذه حالة داخلية ، فلم تتدخل فيها ، وكأنما اكتفت بمقاومة أبي لهب وأمثاله لها . ولكن ما إن بدأ الرسول يجهر بالدعوة حتى أعلنت قريش حنقها على هذا الدين الجديد ، وسلكت كل السبل للقضاء عليه . وقبل ان نتحدث عن هذه السبل أو ما سنسميه مراحل المقاومة يجدر بنا أن نبين الأسباب التي جعلت قريشاً تقاوم دين الإسلام هذه المقاومة القاسية .

أسباب المقاومة :

نستطيع من دراستنا لحياة العرب وأخلاقهم أن نستنبط أسباب مقاومتهم الإسلام والمسلمين ، وتلك الأسباب هي :

١ — كان الرق منتشراً في الجزيرة العربية انتشاره في كل بلاد العالم ، وكان العبد رقيق العقل والقلب بالإضافة إلى الرق الجسماني ، بمعنى أنه لم يكن له أن يتدين بغير دين سيده ، ولا يحب أو يكره إلا تبعاً لحب سيده وكرهه ، وكان جسمه خاضعاً لأوامر سيده تماماً . فلما جاء الإسلام لم يعترف برق العقل أو القلب ، وقرر أن العقل والقلب لا يتطرق لهما الرق ، فالرقيق حر في فهمه وتدينه وحبه وكراهيته ، وأن رق الجسم غير مطلق وغير دائم ، أي أن للرقيق حقوقاً لدى سيده في الطعام والكساء والزواج ، وليس لسيده أن يطلب منه ما ليس مباحاً أو ما يشق عليه .

وهذا التفكير دفع بعض العبيد ليدخلوا الإسلام ، واعتبر السادة هذا

التصرف تمرداً من العبيد ، كما اعتبروا محمداً مثيراً للفتن . وأنه لم يكتف بذويه يدعوهم لعقيدته بل راح يدفع الإسلام إلى القصور عن طريق العبيد على الرغم من إرادة أصحاب القصور .

٢ — كان الصراع فى الجزيرة العربية يدور لأتفه الأسباب ، فإذا جاء دين جديد يهاجم معتقدات القوم ، فما أجدرهم أن يهبوا فى وجهه ليرضوا ما بأنفسهم من شوق للغارة والحروب .

٣ — السيادة القبلية والتنافس عليها : لم تستطع قريش أن تفرق بين النبوة وبين السيادة ، أو بين النبوة وبين الملك . وحسبوا أن التسليم بدين محمد معناه التسليم بالزعامة له ولآله من بنى عبد المطلب ، وكانت هناك منافسة شديدة بين قبائل العرب على الرياسة والسلطان ، فلم يكن من الممكن أن تسلم قريش زمامها لمحمد ولبنى عبد المطلب وأن تفقد بطونها المختلفة مكانتها وسيادتها .

٤ — المساواة بين السادة والعبيد : كان العرب يهتمون بالطبقات اهتماماً شديداً فلكل إنسان طبقته التى يجب ألا يتعداها ، وإذا بدعوة محمد تجعل المساواة بين الناس أساساً هاماً من أسسها ، وتسوى بين السيد وعبده ، بل تجعل العبد أفضل من سيده لو كان أكثر منه تقى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[1] ومن أجل هذا لم يقبل السادة أن يدخلوا فى هذا الدين الذى يهدم تقاليدهم وأسس الحياة عندهم ويسوى بينهم وبين العبيد الأذلاء .

٥ — الفزع من البعث : يقرر الدين الإسلامى أن هناك بعثاً بعد الموت، وأن هناك حساباً للناس ، يكافأ المحسن فيه على إحسانه ، ويعاقب المذنب على سيئاته وآثامه ، قال تعالى (القارعة ما القارعة ، وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش ،

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية . وأما من خفت موازينه فأمه هاوية ، وما أدراك ماهيه ، نار حامية)[1] .

وقال (فإذا جاءت الصاخة ، يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه)[2] .

ولم تستطع قريش أن تقبل هذا الدين الذي يعيد الإنسان للحياة بعد الموت ؛ ويعيده ولا سلطان له ولا نفوذ بيده ، ثم يحاسب هذا الإنسان بعدالة على ما ارتكبه ؛ ما أبشع الصورة التي تصورها زعماء قريش للإسلام ، تلك الصورة التي دفعتهم إلى رفض هذا الدين الجديد وعدم اتباعه والدخول فيه ؛ إنها صورة العدالة التي لا يرضاها الظالم ، وصورة الحساب الذي يفر منه المذنبون .

٦ — تقليد الآباء : كان تقليد الآباء واتباع سلوكهم في العبادات والمعاملات شيئاً راسخاً عند العرب ، ولذلك كرهوا أن يخرجوا من دين آبائهم وأن يتبعوا ديناً جديداً ، وصاحوا في غباء وجمود (حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) فهزىء بهم سبحانه وتعالى بقوله (أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئاً ولا يهتدون)[3] .

٧ — بيع الأصنام : كان هذا السبب مادياً ، فقد كان بين العرب من يحترف نحت الأصنام على شكل اللات والعزى ومناة وهبل ، وكان هؤلاء يبيعون هذه الأصنام للحجاج الذين كانوا كثيراً مايشترونها للتبرك والذكرى ، فلما جاء الإسلام حرم عبادة الأصنام ونحتها وبيعها ، ووجد هؤلاء التجار في الإسلام حائلا بينهم وبين أرباحهم وعاملا يقضى على تجارة الأصنام بالكساد والبوار ، ولذلك سرعان ما قاوموا الإسلام وثاروا عليه .

---

(١) سورة القارعة .　　(٢) سورة عبس الآيات ٣٣ — ٣٧ .

(٣) سورة المائدة الآيتان ١٠٤ و ١٠٧ .

ومما يتصل بهذا السبب المالى أيضاً إحساس سدنة الكعبة بأنهم سيفقدون ما كانوا يتمتعون به من ثروة ونفوذ بسبب خدمتهم للأصنام ورعايتهم لزائريها[1] . كما ظن أهل مكة على العموم أن الكساد سوف يصيبهم جميعاً بسبب إعراض الحجيج عن مكة إذا بطلت عبادة الأصنام بها .

مراحل المقاومة

كانت مراحل المقاومة ثلاثاً ، إذ اتجهت أولا إلى العبيد والضعفاء ، وثانياً إلى سواهم من المؤمنين ، وثالثاً إلى الرسول نفسه ، وسنتكلم عن كل من هذه المراحل على حدة فيما يلى :

١ - العدوان على العبيد والضعفاء :

لم توجه قريش اهتماماً ذا بال لمقاومة الإسلام فى أول عهده كما قلنا ، وظنوا أن دعوة محمد ليست إلا حركة تفتر وتختفى بعد قليل من تلقاء نفسها .

ولكن سرعان ما بدا لهم أن الدعوة تدخل عليهم بيوتهم وأن عبيدهم الذين كانوا يعدُّون ضمن متاعهم يدخلون هذه الدعوة الجديدة ، بعد أن وضّح لهم الإسلام أن الرق لا يمتد للعقل ولا للقلب ، وإنما هو مقصور على الجسم وبشروط محدودة فى ذلك أيضاً[2] ؛ لذلك اتجهت الخطوة الأولى من خطوات المقاومة إلى العبيد والضعفاء ، لأن محمد إن كان حراً يقول ما يريد ، فهؤلاء فى نظرهم ليسوا أحراراً فى أبدانهم ولا فى عقولهم ، وعلى هذا تعرّض

(١) انظر حياة محمد الدكتور هيكل ص ١٧٥ - ١٧٩ .

(٢) انظر الرق وموقف الإسلام منه بكتاب الإسلام للمؤلف .

ياسر وابنه عمار وزوجته سمية كما تعرض بلال وخباب بن الأرت وغيرهم إلى ألوان قاسية من العذاب ليس فيها خلق ولا رحمة ، وقد شمل هذا العذاب الضرب والحرمان من الطعام والشراب ، وامتد العذاب بهؤلاء العبيد حتى كانت توثق ظهورهم بالرمضاء وتوضع فوقهم الحجارة المحماة الثقيلة ، وقدمات ياسر وهو يعذب ، ولما صرخت امرأته شاكية طعنها أبو جهل بحربة فقتلها[1] . وكان من نتائج تعذيب هؤلاء أن اشترى أغنياء المسلمين كثيرين من هؤلاء العبيد وأعتقوهم .

٢ — العدوان على كل المسلمين :

وتجيء بعد ذلك المرحلة الثانية حيث امتد الاعتداء إلى أتباع الدين الجديد جميعاً من غير العبيد والضعفاء . إذ رأت قريش أن الدعوة زاد انتشارها وانضم لها بعض الأشراف ، وبدأ خطرها يظهر ، فعم الاعتداء كلَّ المسلمين وأصبح كل مسلم هدفاً للهجوم والإيذاء من المشركين مهما كانت مكانته فى قريش ، ومهما كان ثراؤه ، ومهما كان جاهه وقوته ، وعلى هذا تعرض للأذى سادة أمجاد مثل أبى بكر وعثمان والزبير وأبى عبيدة ، وربما كان من الممكن أن يدافع هؤلاء عن أنفسهم . ولكن الإذن باستعمال القوة ـ ولو للدفاع ـ لم يكن قد جاء بعد ، كما سيأتى تفصيله عند الحديث عن الإسلام والقتال ، ولذلك احتمل المسلمون الأول ألواناً من العسف والقسوة والطغيان أنزلتها بهم قوى الشر بمكة .

ويمكن القول إن الرسول نفسه لم يمسه إيذاء يذكر فى هذه المرحلة لمكانة بنى هاشم ومكانة أبى طالب الذى أخذ على نفسه حماية ابن أخيه[2] ،

(١) ابن هشام ١ : ١٧٢ ، ٢٠٢ وابن الأثير ٢ : ٤٣ . واقرأ كذلك « شهداء الإسلام فى عهد النبوة » للدكتور على النشار .

(٢) ابن هشام ٢ : ١٠٩ .

ومن نتائج الإيذاء الذى وقع على المسلمين أن هاجر هؤلاء إلى الحبشة كما سنوضحه فيما يلى ، ثم نعود - بعد الكلام عن الهجرة إلى الحبشة - إلى استكمال مراحل المقاومة بشرح المرحلة الثالثة حيث تعرض الرسول نفسه للإيذاء والاعتداء .

هجرة المسلمين الى الحبشة :

لما نزل الأذى بالمسلمين . وأصابهم البلاء من قريش ، وأصبحت حالة المسلمين تدعو للأسى بسبب مالاقوه من قريش من إيذاء وهجوم ، بدأ الرسول يفكر فى بلدة أخرى يرسل لها المسلمين المستضعفين ليبعدوا عن قريش وعن هجمات قريش . أما المسلمون الأشداء فقد بقوا بمكة يحيطون بالرسول ويدفعون بهيبتهم العدوان عن أنفسهم ، ومن هؤلاء على بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله وكثيرون سواهما .

أى البلاد يختار الرسول لراغبى الهجرة من المسلمين ؟

هل يرسلهم إلى اليمن ؟ لا ، إن اليمن خاضعة للفرس ، والفرس لا يعتنقون الأديان السماوية ولا يحترمونها بدليل أن كسرى ملك الفرس أرسل إلى باذان عامله على اليمن يقول له : ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين جلدين من عندك فليأتيانى به .

هل يرسلهم إلى مواطن أهل الكتاب من اليهود والنصارى بالجزيرة العربية ؟ لا ، فقد كان أهل الكتاب فى نزاع ومنافسة ، فهم لا يقبلون منافساً جديداً يقول بالله الذى يقولون به على غير ما يعتقدون .

هل يرسلهم إلى الشام أو الحيرة ؟ لا ، فإن الشام والحيرة مكانان لقريش فيهما نفوذ كبير بسبب الصلات التجارية التى تربطهم بسكانها ، هذا بجانب نفوذ الروم والفرس الذى لا يسمح بتأييد الدعوة الجديدة .

إلى أين يرسلهم ؟ هل يرسلهم إلى الحبشة التي كان الرسول يعرف أن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ؟ نعم ، لقد استقر الرأي على ذلك ، فوجّه الرسول أتباعه عبر البحر الأحمر إلى أرض الأحباش .

وكانت هجرة المسلمين إلى الحبشة على مرحلتين تعرفان بهجرة الحبشة الأولى ، وهجرة الحبشة الثانية ، وكانت الهجرة الأولى في السنة الخامسة للدعوة وقوامها أحد عشر رجلا وأربع نساء فيهم عثمان بن عفان وزوجته رقية ابنة الرسول والزبير بن العوام وأبو حذيفة وامرأته ، وكان عثمان بن مظعون رئيس هؤلاء المهاجرين .

أما الهجرة الثانية فقد حدثت بعد ذلك بأشهر قلائل ، واشترك فيها ثمانون رجلا وامرأة واحدة هي أم حبيبة بنت أبي سفيان وزوجة الرسول بعد ذلك ، وكان جعفر بن أبي طالب زعيم المهاجرين في هذه المرة ؛ وبعد فترة قصيرة اتصل بمن كان في أرض الحبشة من المهاجرين خبر إسلام عمر ومجاهرته بالعبادة ، فتشجع بعضهم للعودة ليشارك عمر شجاعته وثباته ونضاله ، كما بلغهم كذلك نوع من الهدنة بين قريش وبين المسلمين لحرص قريش على ألا تقوم حرب أهلية بين الفريقين ، وحب الوطن طبيعة في الإنسان ، والغريب يتلمس المعاذير ليعود للوطن ، باسم حب الوطن الذي — فيما نظن — نسج الأسباب وهيأ الحجج ، عاد بعض هؤلاء المهاجرين إلى مكة ، ولكنهم ما إن وصلوها حتى ظهر لهم أنهم كانوا متفائلين ، وأن حدة العداء بين المسلمين والمشركين لم تهدأ ، ولذلك — كما يقول ابن هشام (١) — لم يدخل أحد منهم مكة إلا بجوار أو مستخفيا ، أما باقي مهاجري الحبشة الذين لم يخضعوا للتفاؤل ، أو الذين آثروا البقاء في مغتربهم حتى تعلو كلمة الله ، فقد بقوا هناك حتى السنة السابعة للهجرة .

---

(١) السيرة ج ١ ص ٢٢٩ .

وقد أحست قريش عقب هجرة المسلمين إلى الحبشة أن اختيار المسلمين للحبشة سببه استعداد النجاشي لإكرامهم ، وأمنهم على نفوسهم ودينهم في مغتربهم ، فقررت أن تكيد للمغتربين لتحرمهم هذا الملجأ ، فاختارت لذلك عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وأرسلتهما إلى النجاشي ، وكان لعمرو بن العاص جاه في الحبشة وفي بلاط النجاشي ، وأرسلت مع البعثة مجموعة كبيرة من الهدايا للنجاشي وبطارقته ، وأذاعت أن المسلمين يقولون في عيسى وفي أمه قولا عظيما ، فعقد النجاشي مجلساً استمع فيه لرأي جعفر ابن أبي طالب في هذه التهم ، وقد نجح جعفر في عرض الفكر الإسلامي مما جعل النجاشي يقول : إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة ، ويقال إنه آمن بالإسلام فثار عليه قومه لذلك ، وفي العام السابع للهجرة أرسل الرسول من حمل هؤلاء المهاجرين في سفينتين وأحضرهم إلى المدينة ، وكان ذلك عقب استسلام خيبر ، ويروى أن الرسول قال عندما رأى جعفر بن أبي طالب ، ما أدري بأيهما أنا أسر ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر[١] .

ونعود بعد ذلك للحديث عن الجوار الذي أشرنا إليه فيما سبق ، فقد قلنا إنه لم يدخل مكة من العائدين من الحبشة إلا من دخل في جوار ومن دخل مستخفياً ، وكان من عادة العرب أن من دخل في جوار شخص أصبح ذلك الشخص مسئولا عنه وعن حمايته ، ويكون الاعتداء على المستجير اعتداء على المجير وهتكاً لحرمته[٢] . وقد دخل عثمان بن مظعون — عقب

(١) هذا العرض هو أدق ما استطعنا فهمه من الروايات المختلفة . انظر صحيح البخاري وابن هشام وابن سعيد والنويري وقد ذكر ابن عبد البر (الدرر ص ١٣٩) أن إرسال وفد قريش للحبشة كان بعد غزوة بدر رجاء أن يسلمهم النجاشي مهاجري المسلمين فيقتلوهم بدل أسراهم .

(٢) انظر مدى اهتمام العرب بحماية المستجير في العقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ١٥٠ وما بعدها .

عودته من الحبشة ومعرفته أن المسلمين لايزالون يسامون العذاب — في جوار الوليد بن المغيرة ، ولكن عثمان رأى ما فيه المسلمون من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان ، فخجل من ذلك وقال : والله إن غدوّي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله مالا يصيبني لنقص كبير في نفسي ، فمشى إلى الوليد بن المغيرة وقال له : يا أبا عبد شمس وفت ذمتك ، وقد رددت إليك جوارك . قال : يا ابن أخي ، لعله آذاك أحد من قومي ؟ قال : لا ، ولكني أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره : قال المغيرة : فانطلق بنا إلى الكعبة فاردد على جواري علانية كما أجرتك علانية : فانطلقا حتى أتيا الكعبة ، فقال الوليد : هذا عثمان جاء يرد على جواري . قال عثمان : صدق ، قد وجدته وفياً كريم الجوار ، ولكني أحببت ألا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره . ثم انصرف . ورأى عثمان عقب ذلك لبيد من ربيعة الشاعر في مجلس من قريش ينشدهم . فجلس معهم عثمان وأنشد لبيد :

« ألا كل شيء ما خلا الله باطل »

قال عثمان : صدقت . وتابع لبيد إنشاده .

« وكل نعيم لا محالة زائل »

قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول :

ولما سمع لبيد من يكذبه صاح : يا معشر قريش ، والله ما كان يؤذى جليسكم ، فمتى حدث هذا فيكم ، قال رجل من القوم ، إن هذا سفيه من سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله . فرد عليه عثمان بكلام يدافع عن نفسه ، فاشتبكا في عراك ، ولطم القرشي وجه عثمان لطمة أثرت في عينه . قال الوليد : يا عثمان ، قد كنت في غنى عما أصابك فقد كنت في ذمة منيعة .

قال عثمان : والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله ، وإني والله لفي جوار مَنْ هو أعز منك وأقدر [١] .

ومما يروى أيضاً عن أحاديث الجوار أن أبا بكر لما أصابه الضر ورأى الأذى يصيبه ويصيب الرسول ولا يطيق له دفعاً استأذن الرسول في الهجرة فأذن له ، فخرج أبو بكر وسار يوماً أو يومين فلقيه ابن الدغنة وهو أخو بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش [٢] . فسأل : إلى أين يا أبا بكر ؟ فأجاب : أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي . قال ابن الدغنة : ولِمَ ؟ وإنك والله لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدم ؟ ارجع وأنت في جواري . فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال : يامعشر قريش ، إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلايعرضن له أحد إلا بخير . ومنذ ذلك الحين كفت قريش عن أذى أبي بكر . وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، وكان رجلا رقيقاً اذا صلى خشع وإذا قرأ القرآن بكى واستبكى ، وكان ذلك يجذب حوله الصبيان والنساء في إعجاب ظاهر ، فخاف رجال قريش عاقبة ذلك ومشوا إلى ابن الدغنة وشكوا له أبا بكر وطلبوا أن يصلي وأن يقرأ القرآن داخل داره ، فكلمه ابن الدغنة في ذلك ، فأجابه أبو بكر : أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله . قال : فاردد علي جواري . ففعل أبو بكر وتعرض بعد ذلك إلى عنت قريش من جديد [٣] .

---

(١) ابن هشام ج ١ ص ٢٣٠ .

(٢) الأحابيش معناها التجمعات من تحبشوا أى تجمعوا : وتطلق على بني الحارث وبني الهون من كنانة وبني المصطلق من خزاعة (انظر الروض الأنف ٢ : ٢٣١) .

(٣) ابن هشام ج ١ ص ٢٣١ ويروى المبرد مجموعة من القصص تبين اهتمام الأبناء بحماية من استجار بقبور آبائهم ، أو حل ببعض الحمى من هذه القبور . (انظر الكامل للمبرد ج ٢ ص ٢٩ ، وما بعدها) .

٣ ــ العدوان على الرسول :

تتكلم الآن عن المرحلة الثالثة من مراحل مقاومة قريش للإسلام ، وفى هذه المرحلة تعرض الرسول نفسه للهجوم والإيذاء ، وقد بدأ ذلك عقب هجرة المسلمين الى الحبشة ، فقد أزعجت هذه الهجرة قريشاً وتوقعت أن ينتشر المسلمون فى كل النواحى داعين الى دينهم ، وأن تمهد هذه الهجرة لهجرة محمد نفسه ، وبذلك تتغلب عبادة الله على عبادة أصنامهم ، ولهذا اتجهت قريش الى رأس هذه الحركة ، إلى محمد بن عبدالله للضغط عليه أو لإغرائه حتى يكف عن هذه الدعوة الجديدة .

واتبعوا فى إغراء الرسول العروض المالية السخية ولكن محمداً سخر منهم ومن أموالهم ، فتجاوزوا المال الى المُلك ، فعرضوا عليه أن يكون عليهم ملكاً ، ولكن محمداً صاح بهم صيحة وضعت حداً لهذه العروض الرخيصة حين قال قولته المشهورة : «والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى ما تركت ذلك الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه»[1] .

ولما لم يفد الإغراء اتجهوا للهجوم والإيذاء وكانوا راغبين فى انزال الأذى مصرّين على المقاومة . ولكنهم فى الوقت نفسه كانوا يخافون نتائج هذا الإيذاء ويتوقعون الشر من إقدامهم عليه ، فأبو طالب يحتل أرفع مكانة بين العرب ، وحوله بنو هاشم فيما عدا أبا لهب ، ولذا تنوعت المقاومة فاتجه ثقلها الى المقاومة السلبية وضرب الحصار كما سنوضح ذلك عندما نتكلم عن « مقاطعة بنى هاشم » واتجه بعضها إلى إنزال الأذى بالرسول مباشرة ، فأم جميل زوجة أبى لهب كانت تلقى الأقذار والأشواك أمام داره فى غسق الليل لتؤذى الرسول عند خروجه مبكراً ، وكان أبو جهل يلقى فوقه القاذورات وهو فى أثناء صلاته .

ولكن حماية أبى طالب ردت عن الرسول كثيراً من الأذى ، ووقفت

(١) ابن هشام ج ١ ص ٧٠ .

زوجته خديجة وكأنها بلسم يشفي مايصيبه من آلام . لقد كانت تحسن استقباله إذا عاد إلى البيت كئيباً ، وكانت تظل تواسيه وتشجعه حتى يعود له نشاطه ، ويسترد عزمه وإصراره .

إسلام حمزة وعمر بن الخطاب :

وبينما كانت الدعوة بين إصرار الرسول وكفاح قريش ، إذ دخلها في السنة الخامسة للدعوة بطلان عظيمان هما حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب[1] وقد كانا معروفين بالقوة والصلابة، فعز بهما الإسلام واشتد الأمل في انتصاره: وسنتكلم عن ظروف إسلام عمر في « فلسفة الدعوة الإسلامية » ولكننا هنا نقرر أنه كان لإسلام عمر وحمزة رد فعل قوى عند قريش ، فقد أدركت أن مسألة محمد ستؤدى إلى انتصار دينه مادام هذا الدين قد بدأ يجذب له الأقوياء الأشداء من أمثال حمزة وعمر ، وأدركت كذلك أن العدوان على المسلمين قد يؤدى إلى حرب داخلية ، فإن عمر وحمزة لا يصبران على الضيم ، وبخاصة أن إسلام حمزة ارتبط بعدوان أبي جهل على الرسول ، فغضب حمزة لذلك وأعلن إسلامه ، وقصد أبا جهل وشجه وهدد بالانتقام من أى عدوان .

ومن أجل هذا اتجهت قريش وجهة جديدة طابعها المفاوضة لرغبتها في أن يتم القضاء على دعوة محمد دون إثارة بنى عبد المطلب ، فأخذوا يترددون على أبي طالب يطلبون إليه أن يسكت ابن أخيه الذى يسب دينهم ويحقر آلهتهم، ولكن هذه الخطوة لم تأت بطائل . وحينئذ خطت قريش خطوة أخرى فيها شدة وتهديد فقد ذهبت وفودهم إلى أبي طالب وصاحت فيه :

يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا . وإنا قد استنهيناك من

---

(١) ابن هشام ١ : ٣٢٦ .
(٢) المرجع السابق ص ١٧٠ .

ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لن نصبر على شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا ، فإما أن تكفه عنا وإما أن ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين[1] .

ولم يفد التهديد بشيء فخطوا خطوة ثالثة هي أنهم ساوموا أبا طالب وأرادوا أن يعطوه عمارة بن الوليد بن المغيرة ويأخذوا محمداً ليقتلوه ، وقالوا في ذلك لأبي طالب : إن عمارة أنهد فتى في قريش . وأجمل شباب العرب ، فخذه ، فلك عقله ونصره واتخذه ولداً لك . وسخر منهم أبو طالب وقال : بئس ما تساوموني ؛ أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟[2] .

مقاطعة بني هاشم :

وانتقل العداء خطوة جديدة ، فقد أدركت قريش أن قوة محمد مصدرها أهله الذين يحمونه ويدافعون عنه ، سواء منهم من اتبع دينه أو من بقي على دين آبائه وأجداده ؛ ولهذا عزمت قريش على مخاصمة بني هاشم جميعاً ، ورغبة عن الحرب وما تجره من ويلات اتجهوا في مقاومتهم لبني هاشم اتجاهاً سلبياً ولكنه عنيف ، فاجتمعت قريش وكتبت وثيقة قررت فيها مقاطعة بني هاشم فلا يتزوجون منهم ولا يزوجونهم . ولا يبيعون لهم ولا يشترون منهم ، ولا يكلمونهم ، ولا يزورون مرضاهم ولا يشيعون موتاهم ، وأكرهوهم أن يلزموا الشعب وهو طريق بين جبلين . . وقد كانت هذه المقاطعة قاسية جداً على بني هاشم ، مسهم بسببها الضر بل الجوع والحرمان ، وقد استمرت حوالى ثلاث سنوات ، ولم تنقض إلا بعد أن أشفق بعض القرشيين على بني هاشم بسبب ما نالهم من أذى وعذاب فمزقوا هذه الوثيقة وعادوا إلى الاتصال بهم[3] .

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٠ .

(٢) ابن هشام ١ : ١١٠ .

(٣) ابن هشام ١ : ٢٣١ وابن القيم ٢ : ٤٦ .

وفاة أبي طالب وخديجة :

وفى السنة العاشرة للدعوة فقد الرسول أعظم اثنين ساعداه وكانا له قوة وملاذاً فى نضاله لنشر الإسلام ، وهما أبو طالب وخديجة ، وكانت خديجة أول من أسلم من النساء ، وكانت تشد عضد الرسول بقوة شخصيتها وبمالها جاهها وحسن معاملتها ، أما أبو طالب فقد كان درعاً يقى الرسول ويحميه بقوة وصلابة ، ومما أثر عنه قوله :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا

وقد مات أبو طالب وله بضع وثمانون سنة ، وأغلب المؤرخين يرون أنه مات دون أن يدخل الإسلام ، ولكن الخبر عن العباس أنه سمع أبا طالب وهو على فراش الموت يقول شعراً جاء فيه :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

ومثل هذا الشعر جعل بعض الباحثين يرى أن أبا طالب دخل فى دين الله وإن لم يعلن ذلك . وكانت المدة بين موت أبى طالب وخديجة ثلاثة أيام فقط كما ذكر ذلك ابن القيم[1] .

حالة الرسول بعد أبى طالب وخديجة :

وبموت أبى طالب ومن بعده خديجة تعرض الرسول لأهوال جسام من قريش ، يقول ابن إسحق[2] : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى مالم تكن تنال منه فى حياة عمه أبى طالب ، وكان أشد قريش عداء للرسول أبو لهب عمه ، والحكم بن العاص ، وعقبة

(١) زاد المعاد ج ٢ ص ٤٦ .

(٢) ابن هشام ١ : ١٦٠ .

ابن أبى معيط ، فإنهم كانوا جيران الرسول وكانوا يؤذونه بما يلقون عليه وقت صلاته وفى طعامه من قاذورات .

وكانت زوجة أبى لهب أكبر عون لزوجها فى إيذاء الرسول ووضع الأشواك ليلا على بابه حتى تؤذيه إذا خرج مبكراً للصلاة كعادته ، وقد ذكر القرآن الكريم قصتها فى سورة خاصة هى سورة المسد (وقد سبق إيرادها) .

وكثيراً ما كانوا يضعون القاذورات عليه وهو يصلى فى المسجد ، وقد خنقه بعضهم مرة ، وأوشكوا على قتله ، لولا أن دخل أبو بكر وصاح فيهم وهو يخلصه (أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله)[1] .

وكان الرسول يعلم أصحابه مرة فى المسجد ، فاغتاظت قريش وأوسعوهم ضرباً وإيذاء . وكان نصيب الرسول وأبى بكر من هذا الضرب شديداً قاسياً .

الدعوة للإسلام بعد موت أبى طالب

دعوة أهل الطائف :

أدرك الرسول أن لامقام له بمكة بعد موت أبى طالب وخديجة ، وبعد إسراف المشركين فى إيذائه إسرافاً بعيداً عن الكرامة والإنسانية وبعيداً عن الخلق الكريم ، فوضع خطته لنشر الإسلام خارج مكة ، لعله يجد مركزاً آخر يطيب له المقام فيه ، فبدأ بزيارة بعض القبائل وعرض نفسه ومبادىء الدين الجديد على أهلها ، وطالما لقى الرسول عناء فى هذه الرحلة أيضاً ، وطالما سمع أهل هذه البلاد يقولون : لو كان فى دعوته خير لقبلها أهله وذووه ، ومن أشق المواقف التى تعرض لها الرسول ومسه فيها الأذى ما يذكره

(١) سورة غافر الآية ١٢ .

التاريخ من أنه ﷺ اتجه إلى الطائف ودعا فريقا من أشرافها[١] إلى وحدانية الله ، ولكنهم لم يستجيبوا له ولم يردوه رداً كريماً ، فقد كانت هناك علاقات ود وجوار بين أهل الطائف وبين قريش ، وكان كثير من أغنياء قريش يتملكون حدائق بالطائف ، وكانت مكة موطن الكعبة حيث يفد الحجاج الطائف كل عام فيجدون من قريش كل ترحيب وتكريم ، ولهذا تقرب أهل الطائف لقريش بإيذاء محمد ، فأغروا به أحداثهم وسفهاءهم يسبونه ويصيحون به ويرمونه بالحجارة[٢] . ولكن الرسول لم ييأس وسط هذه الأزمة القاسية وأخذ يهتف : رباه ، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي[٣] .

وفي رحلتي إلى الأرض المقدسة زرت مدينة الطائف ، وأدركت لأول مرة العناء الضخم الذي لحق بالرسول في هذه الرحلة ، فالطائف تبعد عن مكة بحوالي خمسة وثمانين كيلو متراً ، والطريق كله صعود متصل إذ تقع الطائف على إرتفاع ١٥٠٠ متر بالنسبة لمكة ، مما يجعل هذه الرحلة شاقة على السيارات والآلات حتى بعد تمهيد الطريق ورصفه ، يا لله ! ! كيف قطع محمد هذا الطريق الصاعد الوعر الموحش ؟ ولكن العقيدة يهون دونها كل جهد وعناء .

وفي الطائف التي وصلها الرسول بعد جهد طويل قابل عليه السلام جماعات الساخرين والمتهجمين الذين أشرنا إليهم ، ثم كان هدفا للسفهاء والصبية الذين أمطروه بوابل من الحجارة ووابل من سقط القول وفحشه ، وكان النبي الكريم يتوارى من أذاهم وعدوانهم ، وتراجع الصبية بعد أن غادر الرسول منازل الطائف ، وكان العناء قد مس الرسول فلجأ الى حائط (حديقة)

---

(١) يقول ابن هشام (٢ : ٢٨٥) إنهم إخوة ثلاثة من ثقيف هم عبد ياليل بن عمرو ومسعود بن عمرو وحبيب بن عمرو .

(٢) ابن هشام ١ : ٢٦٠ .

(٣) ابن القيم : زاد المعاد ٢ : ٤٦ .

لعتبة وشيبة ابنى ربيعة[1] وألقى بكوعه على كوة صغيرة بالسور، ورآه غلام اسمه عداس وهو فى هذه الحال ، فأشفق عليه ، وحمل له بعض أعناب من الحديقة ، فتقبلها الرسول ، ودعا له وحادثه ودعاه إلى الإسلام فدخل عداس الإسلام .

وفى هذا المكان بنى مسجد يسمى مسجد الكوع ، وقد زرته ورأيت الشيوخ يتذاكرون هذه الأحداث التى يتوارثها جيل عن جيل .

دعوة الحجيج :

اتجه الرسول بعد الطائف إلى دعوة الحجيج ، فأخذ يقابل وفود العرب القادمة من هنا ومن هناك . ويعرض نفسه عليهم ، ويشرح لهم دعوته ومبادىء الدين الجديد[2] وكانت هذه اللقاءات تتم بمجنة وعكاظ ومنى[3] ، وخدمت قريش الدعوة من حيث لا تدرى ، إذ أرسلت وفودها إلى جماعات الحجيج تحذرهم من دعوة محمد ، وترميه بالجنون والسحر وغيرهما من الصفات الذميمة ، وتدخلُ قريش هذا جعل جماعات الحجيج يتوقون إلى رؤية محمد ليشاهدوا بأنفسهم صاحب هذه الدعوة الجديدة . وليتحققوا مقدار صدق قريش فيما تذيع ، وهكذا بَدَلَ أن يسعى محمد للناس أصبح الناس يسعون إليه سراً وعلانية ، لقد كانوا يسعون ليروا المجنون فإذا بهم يجدونه أرشد الناس عقلا ، وليروا الساحر فإذا به بعيد عن السحر والشعوذة ، وسمع الناس وبخاصة أهل يثرب القرآن واستمعوا إلى آراء محمد ودعوته ودينه وفلسفته فأحبوه ، وبدأ الأمل يظهر ، وبدأت الدعوة تنتشر ، وكان إعجاز القرآن وفلسفة الدعوة أهم الأسس التى جذبت الناس لدين الإسلام ، وسنتكلم فيما بعد عن هذين الموضوعين .

---

(١) ابن هشام ٢ : ٢٨٥ . (٢) ابن هشام ج ١ ص ٣٦٣ .
(٣) الطبقات ج ١ ص ٧ ٢ .

الإسراء والمعراج

وفى هذا الوقت أى قبل الهجرة بعام[١] ، تم الإسراء والمعراج وشهدت مكة يوماً من أيامها العاصفة ، إذ أصبح محمد يحدث الناس بأنه أسرى به إلى المسجد الأقصى ، ثم عرج به إلى السماء وعاد من ليلته . وقد فرحت قريش بما قال محمد ، وظنت أن ذلك دليل باهر على كذبه وبهتانه ، وأن هذه المبالغة التى جاوزت الحد يمكن أن تكون سبباً ينفر أصحاب محمد منه ، ويمكن كذلك أن تكون سبباً يرد المترددين عن التفكير فى متابعة محمد والتسليم بدينه .

وسرعان ماخاب ظن قريش ، فقد سعت وفودهم مسرعة إلى أبى بكر لتقول له : أتصدق يا أبا بكر مايقوله محمد من أنه أسرى به إلى بيت المقدس وعرج به إلى السماء ثم عاد من ليلته ؟ قال أبوبكر فى يقين أذهل القوم : إن كان محمد قال ذلك ، لقد صدق ، قالوا : أتصدقه يا أبا بكر على ذلك ؟ قال : لقد صدقته على أكثر من ذلك ، على أن أوحى له من السماء[٢] . وانهارت آمال قريش عند أبى بكر وعند أكثر المسلمين ، فاتخذت قريش الإسراء والمعراج وسيلة للتشنيع على محمد ورميه بالبهتان والجنون وغيرهما من الصفات ، ولكن هذا التشنيع لم ينتج إلا اهتمام الناس بمحمد وبمحاولة التعرف إليه والتحقق من أخلاقه والاستماع لما يقوله بشأن الدين الجديد . وبهرت الكثيرين منهم الآياتُ الكريمة التى سجلت الإسراء والمعراج بما فيها من بلاغة ساحرة وقوة عظيمة قال تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)[٣].

وقال : (والنجم إذا هوى ، ماضل صاحبكم وماغوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى،

---

(١) زاد المعاد ٢ : ٤٩ (٢) ابن هشام جـ ١ ص ٢٤٦ .

(٣) سورة الإسراء الآية الأولى .

وهو بالأفق الأعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى)[1] .

والإسراء والمعراج من أهم الأحداث التى شهدها الإسلام ، ولا يزال المسلمون حتى اليوم يحتفلون بهذه المناسبة ، ويعدون الإسراء والمعراج منحة من الله لرسول الإسلام جديرة بالثناء والتقدير ، ولكن هذا الحدث كان خلالا تعرض أكثر من سواه للحدس والادعاء ووضع الروايات ، ذلك لأنه حدث غير عادى لا يخضع لماديات الحياة ، فراح أعداء الإسلام وراح بعض المسلمين يخضعونه للمادة ، ويصورونه صورة لا تتفق مع جلال هذا الحدث ومع طبيعته ، وقد وصف ابن كثير بعض ما ورد من أحاديث حول الإسراء والمعراج بالاضطراب ، وحدد ما ينبغى أن يعتقده المسلم وما ينبغى أن يتركه بقوله :

وإذا حصل الوقوف على هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها ، يحصل مضمون ما اتفقت عليه ، والحق أنه عليه السلام أسرى به من مكة إلى بيت المقدس : وهناك صلى ركعتين ثم عُـرج به إلى السماء ، وفرض الله عليه الصلوات خمسين ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفاً بعباده . وذلك القدر هو ما ينبغى أن يقنع به المسلم ويستبعد ما سواه[2] .

وسأحاول هنا ـ راجياً من الله التوفيق ـ أن أصور الإسراء والمعراج فى الصورة التى أراها سليمة آخذاً من أدق الروايات وأنقى الاتجاهات .

وأول موضوع نناقشه هو ذلك الموضوع الذى يثار دائماً فى هذه المناقشة وهو : هل كان الإسراء والمعراج بالروح والجسد أو بالروح وحدها ؟

---

(١) سورة النجم الآيات ١ — ١٨

(٢) تفسير ابن كثير : البغوى ج ٥ ص ٢٤٥

والذى أراه أن المسلم الذى تلقى القرآن وآمن به لايجوز أن يتردد فى أن الإسراء والمعراج حدثا بالروح والجسد جميعاً . ففى القرآن الكريم آيات تصور حدثا قريب الشبه بالإسراء ، قال تعالى :

(أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يؤتونى مسلمين ؛ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين . وقال الذى عنده علم الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك . فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى . .)[1] .

فهذه الآيات تقرر أن عرش بلقيس نقل هذه المسافة الطويلة من اليمن إلى فلسطين فى لمح البصر وقبل ارتداد الطرف ، فإذا كنا قد آمنا بذلك فماذا يمنعنا من الإيمان بنقل سيدنا رسول الله إلى حيث شاء الله دون اعتبار للمادة أو مقياس الزمان والمكان ؟

وربما تعرّض بعض الناس إلى العقل ، وأرادوا أن يقيسوا هذا الحدث بما يعرفون من مقاييس عقلية ، ونحب ـ فى إيجاز ـ أن نذكّر هؤلاء الذين يتكلمون عن العقل بضعف عقولهم ، فالغالبية العظمى من الملايين الذين يحملون الساعات لا يعرفون كيف تعمل هذه الساعات ، والغالبية العظمى الذين يمتلكون المذياع أو التليفزيون لا يعرفون كيف ينقل المذياع الأصوات عبر القارات والمحيطات ، ولا كيف ينقل التليفزيون الصورة والصوت ، والغالبية العظمى من الناس لا يعرفون كيف يتكلمون أو كيف يفكرون ، وطالما ضعف العقل عن فهم فكرة واستطاعت عقول أخرى أن تفهمها ، ولهذا فنحن نهيب بالناس ألا يغتروا بعقولهم التى تقصر عن إدراك الأحداث المتكررة التى

(١) سورة النمل الآيات ٣٨ — ٤٠ .

يفهمها الآخرون ، فما بالهم يتعرضون لما هو أسمى من العقل البشرى من أحداث ؟

وننتقل بعد ذلك إلى الآيات الكريمة التى سبق إيرادها من سورة الإسراء وسورة النجم لنقف قليلا عند بعض كلماتها ، فهذه الكلمات لها مدلولات يتحتم التعرف عليها ؛ قال تعالى .

سبحان	: مَطْلَعٌ يدل على أن ما سيرد بعده جليل الشأن عظيم الخطر.
الذى أسرى بعبده ليلا	الليل فيه هدوء وصفاء ويغلب أن تقع به الأحداث الكبرى، فى قوله تعالى « بعبده » إبعاد لأية محاولة لتأليه محمد كما حصل لبعض الأنبياء قبله عندما منحهم الله قدرات عظيمه، فليس محمد ـ مع خصوصية الإسراء والمعراج ـ إلا عبداً لله.
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى	المراد مكان السجود، فالرسول كان يصلى عند الكعبة وأمَّ الأنبياء ببيت المقدس، أو المراد ما سيكون، لأن فى علم الله أنه سيكون بمكة مسجد حرام وببيت المقدس مسجد أقصى ، أو المراد من مكة إلى بيت المقدس .
الذى باركنا حوله	ليست البركة خاصة به فقط. إنما تشمل ما حوله ، وللعلماء كلام كثير فى مدى هذه البركة ونوعها .
لنريه من آياتنا	السُّرَى نفسه آية كبرى ، والتعرُّف على جلال الله وعلى صورٍ من عظمته آية عظيمة .

ممكن أن يكون قد رأى الارض كرة وأن القمر معتم يعكس ضوء الشمس ، وأن هناك مجموعات شمسية أخرى ولكن الباحثين الأقدمين استعاضوا عنها بعبارات الوعظ والزارع الذى ينمو زرعه ، والرجل الذى يسيل منه الصديد . ولكن الله أسمى من هذه الأشياء .

وما ينطق عن الهوى	يقول المفسرون إن المعنى : وما ينطق بقرآن قط من عنده ويقول ابن كثير إن المعنى : ما يقول قولا عن هوى وغرض .
إن هو إلا وحى يوحى	هو أى القرآن؛ فالقرآن كله وحى من الله بدون شك ، ويقول ابن كثير إن الرسول يبلّغ ما أُمر به كاملا موفوراً من غير زيادة ولا نقصان ، وروى عن الرسول قوله : ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذى لا شك فيه .
علمه شديد القوى	نقله له جبريل وهو شديد القوى .
ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى	قرب جبريل من الرسول عليه السلام . .
فأوحى إلى عبده	فأوحى جبريل إلى عبد الله أى محمد .
ما أوحى	شيئاً عظيما يستحق الإعجاب .
ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى	لقاء آخر تم بين جبريل وبين سيدنا رسول الله فى السموات أعنى عند سدرة المنتهى ، ولهذا روى أن الرسول رأى جبريل على صورته الطبيعية مرتين ، ويتجه البعض إلى أن الرسول رأى الله جل جلاله ، ويُروى ابن كثير أنه سئل عن ذلك فقال : رأيت نوراً ، وفى رواية : رأيته بفؤادى ، وتردّ السيدة عائشة هذا الاتجاه وتقول : لم ير الرسول ربه وإنما رأى جبريل فقط ، وتؤكد أن رؤية الله غير ممكنة لقوله تعالى :

ـــ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار[1] .

ـــ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب[2] .

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٣ .　　(٢) سورة الشورى الآية ٥١ .

ونقطة ثالثة نريد أن نعرض لها بإيجاز هي البراق . ولست أريد أن أخوض في كلام طويل عنه ، ولكنى أهيب بالباحثين أن يستبعدوا فكرهم المادى وهم يتدارسون هذه الأمور السامية التى لم تخضع للمجال المادى ، وفيما يتعلق بالبراق ، فبعض الروايات تقول إن جبريل محمد ـ عقب الوصول إلى بيت المقدس ـ إلى حجر هناك فغمزه بإصبعه فثقبه ، ثم ربط البراق فى الثقب ، وفى رواية أخرى أن الرسول ربط البراق عند الباب ودخل فصلى ، واعتقادى أن هذه الروايات موضوعة تأثراً بماديات الحياة فمثل هذا البراق لا يحتاج أن يُربَط .

ونقطة رابعة أشير إليها أيضاً هى ما يروى عن قصة صعود سيدنا رسول الله مع جبريل إلى السموات العلى ، فالرواية تصور هذا الحادث الجليل تصويراً مادياً محضاً وتتصور السماء سقفاً كسقف البيت ، وترى أن جبريل استفتح الباب فسئل من الذى يستفتح الباب؟ فأجاب : أنا جبريل . فسئل مرة أخرى . ومن معك ؟ فأجاب : محمد . فسئل ثالثاً : هل أُذن له ؟ فأجاب نعم ، وهكذا يقف عند كل سماء على هذا النمط حتى يصل إلى مكان لا يستطيع جبريل أن يتقدم إليه ، فيقول جبريل لمحمد : تقدم أنت ، أما أنا فليس لى أن أتقدم خطوة واحدة بعد ذلك . . . . .

وهذا التصوير مادى محض ، وعند ما يُطلب سيدنا رسول الله لهذا اللقاء السامى فلا بد أن تكون الأوامر قد صدرت لكل من بالطريق ليهيىء السبيل لهذا اللقاء ، ولا يقف محمد بهذا النمط الذى تصوره الرواية ، ثم إن الرواية تصور الله جل وعلا كأنه هناك فى مكان يسعى له محمد مع أن القرآن الكريم يقول (وسع كرسيه السموات والأرض)[1] ويقول علماء التوحيد إن الله فى كل مكان أو ينزّهونه جل وعلا على المكان فيقولون إن الله ليس له مكان وعلى هذا فالصورة السابقة مردودة تماماً بنص القرآن وبحكم الفكر الإسلامى .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .

والقرآن الكريم يوضح أن القمر فى السموات قال تعالى . (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ، وجعل القمر فيهن نوراً)[1] .

وقال : (تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً)[2] .

وقد استطاع العلماء الأمريكيون أن يصلوا إلى القمر وأن يهبطوا عليه ، وإننا نتساءل هل وقفوا يستفتحون أبواب السماء ، ومن الذى فتحها لهم ؟

ونقطة خامسة جديرة بالذكر هى فرض الصلوات الخمس ، والرواية فى هذا الموضوع مادية للغاية فى تقديرى ، فهى تصور موسى فى السماء السادسة أو السابعة ، وتصوره يسأل محمداً ، ماذا فرض الله عليك وعلى أمتك ؟ فيقول: خمسون ركعة فى اليوم والليلة . فيقول له موسى : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . ويستجيب محمد ويعود فيجعلها الله أربعين أو خمسا وأربعين . ولكن موسى يعيد محمداً مرة أخرى وثالثة ورابعة .. فلما صارت خمسا لم يقنع موسى بذلك ، وطلب من محمد أن يراجع ربه مرة أخرى ، وعاد محمد فعلا ، ولكنه تلقى من الله قوله : ما يبدل القول لدىّ ، جعلتها خمسا فى العمل وخمسين فى الأجر .

واعتقادى أن هذه القصة من الإسرائيليات التى ترمى إلى وضع موسى فى موضع المعلم لمحمد وصاحب الفضل على المسلمين ، وكأنه أعرف بأمة محمد من محمد ، وقد تسربت رائحة الإسرائيليات من الروايات المتصلة بهذا الموضوع ، فقد جعلت بعض الروايات موسى فى السماء السابعة وجعلته يقول عندما رأى محمداً يتخطى السماء السابعة إلى ما فوقها : رب لم أكن أظن أن ترفع على أحداً . ثم إن الروايات تقسو فى تصوير اعتراض موسى لمحمد ليعود إلى ربه ،

(١) سورة نوح : الآيتان ١٥ - ١٦ . (٢) سورة الفرقان : الآية ٦١ .

وعبارتها هى : عندما عاد محمد احتبسه موسى وهو تعبير لا يليق بسيدنا رسول الله ، وكم عانى المفكرون المسلمون من أشياء وضعها الوضاع، وتقبلها بعض المسلمين ، وراحوا يدافعون عنها بحماسة متصورين أن الشك فى حديث واحد من أحاديث البخارى أو مسلم يسقط كل أحاديث البخارى أو أحاديث مسلم ، ولست أريد هنا أن أخوض فى دراسة الحديث، ولكنى وأنا أعرف أن حديث الغرانيق والسحر وغيرهما وردت فى هذه الكتب المهمة أقرر أن هناك أحاديث موضوعة وجدت طريقها إلى البخارى أو مسلم ، ولكنها قليلة جدا ، والحكم بوضعها لا يمس من قريب أو بعيد باقى الأحاديث ، فوجود خطأ أو أخطاء محدودة فى أى كتاب من الكتب لا يضيع من قيمته ، وكل كتاب يحتمل فيه الخطأ والصواب إلا كتاب الله ، وليس من المعقول أن نرتفع بالبخارى ليصبح من العصمة فى درجة تساوى القرآن .

ومن العجيب أننا عندما نحاول أن نفند الإسرائيليات وننقى منها الفكر الإسلامى، يتصدى لنا بعض المسلمين الذين وضعوا أنفسهم حماة الإسرائيليات دون أن يشعروا ،واعتراضنا على القصة السابقة من عدة وجوه :

أولا ـ أنها تصور الله سبحانه وتعالى كموسى فى وضع مادى يمشى له محمد ويعود لموسى ثم يرجع إليه ، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ثانياً ـ تصور الله تعالى على غير ما هو معروف عنه من وفرة المنح ومن الكرم العظيم ، فهى تصوره ينقص الخمسين إلى خمس وأربعين ثم ينقصها فى جولة أخرى إلى أربعين إلى خمس وثلاثين . . . ونحن نصرخ فى وجه من يقول هذا القول بأن كرم الله تصوره آياته «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها»[1] و (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة)[2]

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٠ . (٢) سورة البقرة الآية ٢٤٥ .

ولا يمكن — إلا فى خيال مادى - أن تتم هذه الصورة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ثالثاً — أنها ترى إلى وضع موسى فى موضع المعلم لمحمد ، ومحمد خاتم الأنبياء وأفضلهم وإمامهم .

رابعاً — كيف يتصور العقل محمداً ذاهباً وعائداً عدة مرات ، بناء على طلب موسى ، والابن لا يطيع أباه إلى هذا المدى مهما كان فى ذلك من خير إليه .

واعتقادى أن الصلوات فرضها الله من أول الأمر خمساً فى العمل وخمسين فى الأجر ، أو فرضها خمسين فاستعطفه سيدنا رسول الله فاستجاب الله إليه وجعلها خمساً فى العمل وخمسين فى الأجر .

ونقطة خامسة وأخيرة هى أن حدث الإسراء والمعراج لم يُتَّخَذْ معجزة من معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأن دين الإسلام لا يتخذ الخوارق معجزات ، لأنه دين لا ينبنى على المعجزات التى تَشْدَهُ العقول وتفحم ، إنما معجزاته هادئة باقية كما وضحناها فى كتابنا « الإسلام » من سلسلة مقارنة الأديان ، والدليل على اتجاه معجزات الإسلام هو قوله تعالى « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون » [1] ويقول الأستاذ العقاد فى ذلك : والنبى فى الإسلام ليس بصاحب الخوارق والأعاجيب التى تشل العقول ؛ وتهول الضمائر ، وتخاطب الناس من حيث يخافون ويعجزون .

ومن الدروس المهمة المتصلة بالإسراء والمعراج أن الله سبحانه وتعالى أرى محمداً هذه العوالم الكبرى فصغرت فى نفسه مكة وما بها من رجال

---

(١) سورة الإسراء الآية ٥٩ .

وعتاد، وماذا تكون مكة ومن بها بالقياس إلى هذا العالم الفسيح ؟ وإلى صاحب القوة الجبارة التي صنعت معجزة الإسراء والمعراج ؟

ومن هذه الدروس كذلك وضع المسلمين قبل الهجرة في بوتقة اختبار لتنقيتهم من المترددين قبل أن يبدأ الشوط التالي الذي سيكون حافلا بالجهاد والتضحية بالمال والأهل والوطن بعد الهجرة إلى المدينة :

ويعد الإسراء في التفكير الإسلامي من مكة — حيث بنى إبراهيم الكعبة إلى بيت المقدس حيث دعوة موسى وعيسى وغيرهما — بمثابة رحلة تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من إبراهيم إلى محمد، وبمثابة إعلان وراثة خاتم الرسل لمقدسات من سبقه من رسل الله، وأن رسالته مشتملة على هذه المقدسات، وهذا المعنى هو ما يحسه القارىء في قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى)[1] .

ومنذ ذلك التاريخ أحس المسلمون بأن فتح فلسطين ضرورة اقتضتها عناية الله وتوجيهه، ليشرف المسلمون على مقدسات الماضي .

---

(١) سورة الشورى الآية ١٣ .

فِى الهِجرَةِ نَصرٌ وَفَتح

ولقد وضح «الله» تعالى أنه مع رسوله (ﷺ) بالنصر والتأييد إن لم ينصروه فسينصره « الله » الذى نصره من قبل فى وقت أشد من هذا وذلك عندما تسبب الذين كفروا فى خروجه فأذن «الله» تعالى له حين هموا بإخراجه وائتمروا عليه وقرروا أن يتخلصوا منه ،أطلعه « الله » على مؤامرتهم وأوحى إليه بالخروج هو وأبو بكر الصديق دون جيش أو سلاح ، وكان القوم على أثرهما ، وأبو بكر يخشى على رسول الله (ﷺ) ويقول : **لَو نَظَر أحدُهُم إلى مَوضِع قَدَمَيهِ لأبْصرَنا** .. وقد أنزل «الله» سكينة على قلب رسوله (ﷺ) فقال : **«يا أبا بكر مَا ظَنُّكَ باثنين الله ثَالِثهما لاَ تحزَن .. إنَّ الله مَعَنَا»** فكان النصر المؤزر بجنود من عند «الله» تعالى لم يرها الناس وكانت الهزيمة للكافرين بالذلة والصغار ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة «الله» عالية منتصرة قوية (**والله عزيز**) يعز أولياءه فلا يذلون (**حكيم**) يقدر النصر فى جنبه **وَأيَّدَهُ بجُنودٍ لَم يَرَهَا أعَداؤهُ مِنَ الكُفَّارِ** وهم الملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين وقيل هم الملائكة أنزلهم «الله» ليحرسوه فى الغار لذا كان حديث القرآن عن الهجرة حديث النصر :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[1] .

وإن حادث الهجرة النبوية لمن أروع الأحداث الشاهقة فى تاريخ الإسلام فقد انتصرت به أمة وفتحت له دنيا ، وتواكبت على مساره أجيال .ولئن حفت

---

(١) التوبة : ٤٠

به مخاطر مهولة وتلاحقت عبر أيامه ظلمات جامدة فقد كانت بوارق الأمل تشرق فوق صحراء الزمن وتنبثق بين صخور الظلام رافعة شعارها الأخضر : **لاَ تَحزَن إنَّ «الله» مَعنَا** . ولقد عاشت الدعوة الإسلامية فترة ما قبل الهجرة على أشواك من الحياة الجافة تحيط بها ضلالة الوثنية الرعناء وجهالة الشرك العنيد ، وانطلقت من هذه الظلمات المتراكمة عداوات وإحن ، أخذت طريقها فى مطاردة الدعوة والداعية ، ومحاولة الإجهاز عليهما فى وقت واحد ، واتخذت قريش كل ألوان الأذى والعنت لتصرف الناس عن هذه الدعوة وتطفىء نورها بينهم ، وذاق المستضعفون من هذا الاضطهاد ما ذاقوا إلا أنهم كانوا يستعذبون العذاب فى سبيل «الله» وكلهم يقين وثقة أن ليل التآمر والغدر لابد أن يسفر عن نصر قريب فكان المؤمنون متمثلين قول ربهم سبحانه وتعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾[1] ..

ولقد بث الرسول (ﷺ) فى أصحابه روح الإيمان ، والصبر فى الأزمات يقول خباب بن الأرت : شكونا إلى الرسول (ﷺ) وهو متوسّد برده فى ظل الكعبة فقلنا له : **ألاَ تَستَنصِرُ لَنَا ؟** فقال عليه الصلاة والسلام : **«كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُم يُحفَرُ لَهُ فِى الأَرْضِ فَيُجَاءُ بِالمنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَ «الله» لِيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مَنْ صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوت لاَ يَخَافُ إلاَّ «الله» عَزَّ وَجَلَّ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكنكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»** .

---

(١) البقرة : ٢١٤ .

هذا والهجرة فى مفهومها الصحيح لم تكن فرارا ضعيفا من مطاردة المشركين لتخفى الدعوة وأصحابها عن تلك العيون المحدقة ، وإنما كانت انتقالا ببذور الدعوة إلى تربة صالحة يخرج نباتها بإذن ربه ، واتجاها إلى مناخ ملائم تترعرع فيه لتؤتى أكلها كل حين .

والحرب النفسية والمادية التى شنها أعداء الإسلام على الدعوة لم يكن القصد منها القضاء فقط على الداعية والمؤمنين التابعين له ، وإنما كان أهم ما يعنيهم يومها أن تنتصر الوثنية وجندها ، وتنهزم هذه الدعوة الجديدة فلا يبرق لها شعاع بين أنحاء البلاد ، ولكنهم لم يستطيعوا إطفاء نورها ، لأن « الله » سبحانه يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وفى مكرهم ومؤامراتهم لم يصلوا إلى شيء ، لأن رب الدعوة حارس لها ، ومؤيد رسوله :

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٣٠ ﴾[1] ..

لذا كان تمسك أصحاب الرسول (ﷺ) بدعوتهم وتغلغلها فى دمائهم وأرواحهم انتصارا للدعوة ، مهما بالغ الأعداء فى التنكيل بهم .

وإن أمثلة الإيمان والشجاعة التى ضربها أمثال بلال وآل ياسر وغيرهم إنما كانت أنماطا صادقة الرؤى لانتصار الدعوة لدى هؤلاء المؤمنين المخلصين حتى ولو انتهى بهم الأمر إلى القتل أو الموت خلال تمسكهم بدينهم وهجرتهم بدعوتهم ، قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝٥٨ ﴾[2] .

هذا وقد تحدث القرآن عن الهجرة حديث الانتصار قال تعالى :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[1].

وقد أثمرت المؤاخاة التى أبرمها رسول الله (ﷺ) فكونت أساسا لأعظم مجتمع مثالى تألقت فيه معانى الحب والإخاء ، وأشرقت بين جنباته بطولة العقيدة التى حققت النصر فى الغزوات وتحقق على يديها الفتح المبين .



(١) التوبة : ٤٠ .

لا هجرة بعد الفتح

ولنختم حديثنا عن الهجرة بهذا الحديث الشريف : عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أن النبى (ﷺ) قال يوم الفتح : « **لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِن جِهَادٌ وَنيةٌ ، وإذا اسْتُنْفِرتُمْ فانفِرُوا** »[1] .

كانت الهجرة فى مبدأ أمر الإسلام فرضا على من أسلم ، لأن عدد المسلمين بالمدينة قليل ، ولأن الحاجة إلى اجتماعهم وتوحدهم ضرورية لتقوية جانبهم ، وكانت نصرا وأمنا لهم ، حتى يسلموا من أذى قومهم من الكفار حيث كانوا يذيقونهم العذاب ويستغلون ضعف قوتهم فى محاولة إرجاعهم عن الدين ، ونزل فيهم قول « الله » تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[2] ..

وبعد أن فتح «الله» تعالى على رسوله (ﷺ) مكة المكرمة التى أخرجوا منها بغير حق إلا أن يقولوا ربنا «الله» ، وجاء نصر «الله» والفتح ودخل الناس فى دين «الله» أفواجا حينئذ سقط فرض الهجرة ، وبقى فرض الجهاد فى سبيل «الله» والنية المخلصة ، إذا دهم العدو البلاد .

وقد بقى من أنواع الهجرة : هجرة من أسلم فى دار الكفر واستطاع أن يخرج مهاجرا بعقيدته وعبادته .

فالمفارقة إنما تكون بسببين : الأول : **الجهاد** . والثانى : **النيّةُ الصّالحةُ** ، كالفرار من دار الكفر والخروج فى طلب العلم ، والفرار بالدين من الفتن مما لم يستطع الإنسان تحصيله بالجهاد والنية الصالحة ، ثم وجه الرسول (ﷺ) المسلمين إلى وجوب الاستنفار فى سبيل « الله » ، إذا طلب ذلك أولو الأمر « **وإذا استنفرتم فانفروا** » سواء كان ذلك للجهاد أو نحوه من الأعمال الصالحة .

---

(١) رواه مسلم . (٢) النساء : ٩٧ .

أول ظعينة قدمت المدينة المنورة

للرعيل الأول مواقف إيمانية لا نظير لها فى تاريخ البشر فهى تحمل مثلا عالية لدنيا الناس ، وتضىء بمشاعلها كل الدروب أمام قافلة الحياة .

وترى كل الأجيال : كيف صنع الإيمان هؤلاء الرجال ..

وإن حادث الهجرة النبوية من أهم الحوادث الإسلامية المشهورة .. والمذكورة على كل الألسنة وعبر عصور التاريخ .

بيد أن من بين صفحات الهجرة . سطورا مشرقة بإيمان أصحابها الذين ضحوا بكل نفيس وغال فى سبيل عقيدتهم ، وحبا فى «الله» وفى رسوله (ﷺ) ..

وتلك السطور جديرة بالوقوف عندها ، وبتأمل ما احتوته من عبر ودروس . فمنذ أعلن رسول الله (ﷺ) الهجرة إلى المدينة المنورة ، وأصدر الإذن لأصحابه ، منذ ذلك الحين وشوق المسلمين جارف إلى طيبة المباركة .. والقلوب النقية التى عمرها الإيمان ترتعش فرحة وغبطة وحبورا ، وتحركها عقيدتها إلى هذا الموطن الحبيب الذى احتضن الدعوة ، ورحب بها ، وكان مناخا خصبا آتى ثماره بإذن «الله» .

لقد بايع من قبل أهلها رسولهم (ﷺ) ، وفتحوا لدعوته قلوبهم . قبل دورهم وعند قدومه لهم استقبلوه على شوق .. استقبال الظمآن للماء البارد وهتفوا بترحابه وبحُبِّه . جميعا شيبا وشبانا .. ورجالا ونساء . وأصبحت المدينة مهرجانا من الفرحة والبشر والنور والهدى .

ولا حصر لتعداد ما هو معروف من حبهم وإيثارهم الذى كان مضرب الأمثال ، وأخوَّتهم التى كانت من أقوى الروابط فى الوجود ، ولكن حسبنا

أن نقف مع مشهد واحد فقط من المشاهد الأولى للهجرة . لنرقب عن كثب ونشاهد كيف كان تسابق المسلمين على الهجرة . وكيف ضحّوا بأنفسهم وأموالهم وأولادهم ووطنهم وكل عزيز عليهم فى سبيل « الله » ورسوله ، فإن فى الوقوف على ذلك عبرا للمسلمين ودروسا تطلعنا على ما صنعه الإيمان .

ولم تكن الهجرة مع ما فيها من المخاطر المهولة وتجشم الصعاب وفراق الوطن والولد والأهل والمال لم تكن مقصورة على الرجال فحسب .. وإنما كان للنساء المسلمات دورهن العظيم فيها . لقد كان أول المهاجرين أبو سلمة .. وكانت معه زوجه أم سلمة .. وهى أول من خرج مهاجرا من النساء ، ولولا أن أهلها منعوها لكانت أول من وصلت المدينة فهى كما قال موسى بن عقبة أول ظعينة . والظعينة هى المرأة تركب البعير .

وقال ابن عبد البر : أول ظعينة ، قدمت المدينة هى ليلى بنت أبى حثمة زوج عامر بن ربيعة حليف بنى عدى بن كعب . وإنما بنى ابن عبد البر رأيه هذا على أساس أن ليلى أول من وصلت المدينة من النساء ، وأما موسى بن عقبة فرأى أن أول ظعينة هى أم سلمة لأنها أول مهاجرة خرجت من النساء . فماذا كان من نبأ السيدة أم سلمة (رضى الله عنها) فى حادث الهجرة ؟!

لقد كان زوجها أبو سلمة أول مهاجر . إنه هاجر قبل بيعة العقبة الثانية بعام . فقد كان الإذن بالهجرة عقب بيعة العقبة الأولى . فعندما عاد من الحبشة إلى مكة لقى ما لقى من أذى أهلها وبلغه خبر الذين أسلموا من الأنصار وعلم إذن الرسول (ﷺ) لأصحابه فأسرع بتلبية الأمر وكان أول مهاجر إلى المدينة . والتسابق على الاستجابة لما رآه رسول الله (ﷺ) كان شأن الصحابة الأجلاء (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) .

وحاشا «لله» أن يكون ذلك فرارا أو خوفا من الأذى ؛ فقد أدرك الرعيل

الأول مكانة الهجرة .. وما انبثق عنها من إخاء دينى فاق أخوة النسب ، ولهذا كان الميراث آنذاك قائما على أساس الهجرة وأخوة الدين ووشيجته . ولم يكن على أساس قرابة النسب إلا بعد ذلك حيث أصبح للمسلمين قوة ودار ومنعة وتكاملت دولة الإسلام فى المدينة .. قال « الله » تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ ﴾ (١) .

ولنعد إلى نبأ أم سلمة وزوجها ، لقد خرج أبو سلمة بزوجه ومعهما (سلمة) ابنهما . وخرج أبو سلمة بهما مهاجرين يقود بهما بعيره .. فلما رآه رجال بنى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهم عشيرة زوجه وابنة عمه أم سلمة . لما رأوه قاموا إليه ، فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه ، علام نتركك تسير بها فى البلاد . فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوا منه زوجه .

وعندئذ غضب بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة .. فقالوا : لا و «الله» لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، فتجاذبوا سلمة ابنها بينهم حتى خلعوا يده وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسها بنو المغيرة عندهم . وانطلق زوجها أبو سلمة إلى المدينة .

ولنا هنا وقفة . لقد فرَّقوا بينها وبين فلذة كبدها وزوجها ومع هذا فهى مُصِرَّة على الهجرة ، والزوج هاجر بالفعل تاركا زوجه وولده وما ذلك إلا صنع الإيمان وبتحريك العقيدة الإسلامية فتجاهها يرخص كل غال .

---

(٢) الأنفال : ٧٢ .

كما أنهم يعلمون أن الهجرة فرض – حينئذ – وإنها لباقية كذلك حيث كانت أسبابها ، وأما الهجرة التى انتهت بالفتح فى قوله (ﷺ) : « **لاَ هِجرَةَ بعدَ الفتحِ وِلَكِن جِهَادٌ وَنِيَّةٌ** » فالمقصود بها الهجرة إلى النبى (ﷺ) . قال «الله» تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) ﴾ (١)

ولقد كانت السيدة أم سلمة تخرج كل غداة فتجلس بالأبطح تبكى حتى مر عام على حالها وإلى أن مر بها رجل من بنى عمها أحد بنى المغيرة فقال لقومه : **أَلا تُخرجُونَ هذهِ المسكِينةَ . فرَّقْتم بينها وبينَ زوجِهَا وبينَ ولَدِهَا** .. قالت : فقالوا لى : **إلحقى بزوجِكِ إن شِئتِ** ، قالت : وردَّ بنو عبد الأسد إلىَّ – عند ذلك – ابنى .. وارتحلت بعيرها ، وخرجت بابنها إلى المدينة .. وتكمل السيدة الكريمة نبأها فتقول : **وما معى أحد من خلق «الله» فقلت أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجى حتى كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة أخا بنى عبد الدار فقال لى : إلى أين يا بنت أبى أمية ؟** قالت : فقلت : **أريد زوجى بالمدينة** . قال : **وما معك أحد ؟** فقلت : **لا و «الله» إلا «الله» وابنى هذا** . قال : و «الله» **مالك من مترك ، فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معى يهوى بى ، فو «الله» ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ثم استأخر عنى . حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى فحط عنه ثم قيده فى الشجرة ثم تنحى عنى إلى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيرى فقدمه فرحله ثم استأخر**

(١) النساء : ٩٧ .

عنى وقال : اركبى ، **فإذا ركبت واستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقاده حتى نزل بى ، فلم يزل يصنع ذلك بى ، حتى أقدمنى المدينة ، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء قال : زوجك فى هذه القرية** – وكان أبو سلمة بها نازلا – **فادخليها على بركة «الله» ، ثم انصرف راجعا إلى مكة فكانت تقول : و «الله» ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة . وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة .**

ولنا وقفة هامة عند مقالة السيدة أم سلمة (رضى الله تعالى عنها) فقالت : **فقد أصاب آل أبى سلمة ما أصابهم فى أنفسهم وولدهم** ، ومع هذا فقد كان حب الله ورسوله مقدما على أعز ما فى الوجود فبرغم ما أصيبوا به لم يثنهم ذلك عن الهجرة واللحاق برسول الله (ﷺ) والانضام إلى المعسكر الجديد للدعوة الإسلامية للمشاركة فى نصرة العقيدة ونشر الإسلام وتكوين المجتمع .

أما موقف عثمان بن طلحة . رغم أنه كان كافرا آنئذ فهو موقف يدل على أصالة المعدن العربى ، وما جبل عليه العرب من المروءة الصادقة ، ونجدة المستنجد حتى ولو كان على غير دينه .

لقد كان عثمان هذا يوم أن سار بأم سلمة كافرا ، وإنما دخل الإسلام فى هدنة الحديبية ، وقتل عمه عثمان بن أبى طلحة يوم أحد . وكانت معه مفاتيح الكعبة فأعطاها الرسول عليه الصلاة السلام – يوم الفتح – إلى عثمان بن طلحة ابن أبى طلحة وإلى عمه شيبة بن عثمان بن أبى طلحة وهو جد بنى شيبة حجبة البيت ، واستشهد عثمان بأجنادين فى أول خلافة عمر (رضى الله عنه) .

ومن مواقف الهجرة المباركة تنبثق دروس الأخوة الإسلامية والتناصر والإيثار والمروءة والنجدة ودروس أخرى فى التضحية والبذل والفداء ودروس

غيرها فى نصرة المستضعفين من المسلمين وهى تحمل المؤشر القوى لنا فى عصرنا الراهن لنصرة الأقليات الإسلامية ، وإنقاذها ، والوقوف بجانبها . وفى أحكام القرآن لابن العربى يقول : إذا كان فى المسلمين أُسَرَاءُ أو مستضعفون فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة بالبدن بأن لا تبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إذا كان عددنا يحتمل ذلك ، أو نبذل جميع أموالنا فى استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم من ذلك (أ . هـ)

هكذا تُفىء علينا دروس الهجرة ومواقفها من العبر ما يضىء الطريق أمام المجتمع الإسلامى والأمة الإسلامية إلى ما فيه صلاح البلاد والعباد .

مشروعية الجهاد فى سبيل «الله»

ظل الرسول (ﷺ) ، والمسلمون فى العهد المكى ثلاثة عشر عاما صابرين لا يعتدون ولا يقابلون حرب المشركين لهم بحرب ، بل كانوا يستجيبون لأمر «الله» تعالى ولرسوله عليه الصلاة والسلام :

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[1] .

ولطالما شكا المسلمون للرسول (ﷺ) ما يلاقونه من أعدائهم ، فيجيبهم قائلا : **«اصْبِرُوا ؛ فإِنِى لم أُومَر بِقِتَال»** وظل الحال على ذلك حتى تمت الهجرة من مكة إلى المدينة ، وأصبح المسلمون فى منعة وقوة فأذن «الله» تعالى لهم بالجهاد فى أوائل السنة الثانية للهجرة . ولم يشرع فى السنة الأولى للهجرة لأن المسلمين كانوا يقومون بتكوين دولتهم الجديدة ، وتنظيم أحوالهم ، وبناء المسجد النبوى ، والمؤاخاة ، وما كان فى السنة الأولى إلا بعض سرايا كان الهدف منها إرغام المشركين على التفكير فى تغيير سياستهم ونظرتهم تجاه المسلمين حيث كانوا يستضعفون المسلمين ، فكانت هذه السرايا وما فيها من دلالة القوة تدعو بلسان الحال إلى إفساح الطريق أمام الدعوة الإسلامية لتأخذ طريقها إلى قلوب الناس وكان أول ما نزل من القرآن على أرجح الآراء — فى مشروعية الجهاد — قول «الله» تعالى :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن
يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ

---

(١) النحل : ١٢٧ .

صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[1] .

ومر الجهاد بأطوار متدرجة فكان فى أول الأمر مقصورا على قتال الذين قاتلوا المسلمين وعذبوهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم بغير حق :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾[2]

ثم كان الطور الثانى حيث حالفت بعض القبائل قريشا بعد الهجرة وحاولوا مهاجمة المدينة ، بل إن البعض هاجمها بالفعل كما صنع كرز بن جابر الفهرى الذى أغار على سرح المدينة فخرج إليه المسلمون فى غزوة بدر الأولى فلم يدركوه ، ومنهم من تحرش بالمسلمين فبادر الرسول (ﷺ) بالرد عليهم وكان يرسل السرايا لعقابهم ، وكان لرده عليهم أكبر الأثر فى اطلاعهم على الإسلام وتعرفهم على سماحته فدخل الكثير منهم الإسلام .

ثم كان طور آخر حيث تمالأ المشركون فى مكة وخارجها على المسلمين فكان الأمر الإلهى فى القرآن الكريم :

﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾[3]..

ثم إن الرسول (ﷺ) لما كان قد عاهد اليهود وأمنهم على أنفسهم وأموالهم ولكنهم نقضوا العهد وانضموا مع المشركين بل حرضوهم على القتال كما فى

---

(١) الحج : ٣٩ – ٤١ . (٢) البقرة : ١٩٠ . (٣) التوبة : ٣٦ .

غزوة أحد ، لما حدث منهم ذلك أمر «الله» رسوله عليه الصلاة والسلام بقتالهم :

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[1] .

ثم لما تم فتح مكة وراسل الرسول (ﷺ) الملوك والأمراء وأصبحت دعوة الإسلام معروفة ، وتحفزت الروم لغزو بلاد المسلمين ، عندئذ جمع الرسول (ﷺ) الجموع وخرج إليهم فلم يجد أحدا ، ولكنه أراهم قوة الإسلام ، ومنذ ذلك الحين انتقل الجهاد إلى خارج الجزيرة ، وحدثت وقائع كبيرة بعد أن لحق الرسول (ﷺ) بالرفيق الأعلى ، وتمت الفتوحات الإسلامية الكبيرة بفضل « الله » ونصره وتأييده للمسلمين .



---

(١) الأنفال : ٥٨ .

أنــواع الجهـــاد

والجهاد أربعة أنواع : جهاد الكفار ، وجهاد النفس والشيطان ، وجهاد البغاة الخارجين على الإمام ، وجهاد أهل البدع والأهواء الذين لم يخرجوا على الإمام .

● وأول هذه الأنواع قد تخلص فيه النية وتصدق فيه العزيمة فيسمو سموا إيمانيا صادقا يجمع الأنواع كلها وذلك : حين يجاهد فى سبيل «الله» بدافع عقيدته وهو حينئذ يكون قد جاهد نفسه وشيطانه ولم يخالف إمامهُ ولم يتبرم بأوامره ، وارتفع بنفسه عن مستوى جميع الأهواء والبدع .

وهذا النوع من الجهاد يكون باللسان وباليد وبالمال وبالقلب **فالجهاد باللسان** : يكون بإقامة الحجج ودفع الشبه ، يتصدى لذلك الراسخون فى العلم ، الواقفون على أسرار الشريعة ، العارفون بطرق الأدلة وأحوال الناس .

ولقد كان أروع وأعظم سلاح من هذا النوع يجده الرسول (ﷺ) فى القرآن الكريم فيجاهد بالقرآن جهادا كبيرا .

قال تعالى :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾[1] .

والجهاد باليد : وهو قتال الكفار وقد شرع فى السنة الثانية من الهجرة .

والجهاد بالمال : وهو بذله فى تجهيز الجيوش وإعداد السلاح ومداواة جرحى الحرب .

---

(١) [illegible]

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[١] .

والجهاد بالقلب : وهو عدم الرضا عن كفرهم والسخط عليهم وذلك هو البغض فى «الله» ويجمع هذه الفروع كلها حديث الرسول (ﷺ) :

عن أنس (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) :

«جاهِدُوا المشركِينَ بأَموَالِكُمْ وأنفُسِكُمْ وأَلْسِنَتِكُمْ»[٢] .

● **والثانى من أنواع الجهاد : جهاد النفس والشيطان** ، وهذا النوع من الجهاد يكون بمخالفة هوى النفس ودفع ما يوسوس به الشيطان – ويشمل جميع ما يصدر عن المكلف فعلا أو تركا مما يحتاج إلى مجاهدة النفس والشيطان .

وقد أمر «الله» سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن يولوا الشيطان ظهورهم فلا يتبعوا خطواته لأنه يأمر بالفحشاء والمنكر .

قال تعالى :

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾[٣] .

● **والثالث من أنواع الجهاد : جهاد البغاة الخارجين على الإمام** الذين شقوا عصا الطاعة ، وخالفوا الجماعة .

---

(١) التوبة : ٦٠ . (٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائى . (٣) النور : ٢١ .

يدل على فرضية قتال هؤلاء ما رواه عرفجة الأشجعي قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : **«مَنْ أَتَاكُمْ وأَمْرُكُمْ جميعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُم أو يفرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوه»**[1] .

● **والرابع من أنواع الجهاد : جهاد أهل البدع والأهواء** وهؤلاء وإن لم يخالفوا الإمام إلا أن بدعهم يتفاقم خطرها ، وأهواءهم يستشرى شرها فتجب مقاومتهم والأخذ على أيديهم .

وقد بيَّن لنا الرسول (ﷺ) أن من رأى منكرا من هذا القبيل وجب عليه أن يقاومه ما استطاع إلى ذلك سبيلا وأن يغيره بالقوة التى يملكها ، وبالأسلوب الذى يستطيعه .

قال عليه الصلاة والسلام :

«مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِن لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلبه ، وذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمانِ»[2] .



---

(١) رواه أحمد ومسلم . (٢) رواه مسلم .

حِكْمةُ مَشْرُوعِيةِ الجِهَادِ

قال «الله» تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[1]..

وقد روى عبد الرزاق وابن المنذر عن الزهرى، وروى الحاكم فى المستدرك عن حبر القرآن ابن عباس : إنها أول ما نزل فى القتال .

هذا وقد تضمنت الآيات السابقة الحكمة من مشروعية الجهاد وهى تتلخّص فى :

● **الانتصار للنفس ورفع الظلم عن المظلوم** وقد عاش المسلمون طيلة العهد المكى بالصبر والتسامح ، ولكن المشركين زادوا فى الظلم والاعتداء . فكان لابد من مقابلة القوة بمثلها .

---

(١) الحج : ٣٨ ، ٤١ .

﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾[1] ..

- **وتمكين المسلمين من ممارسة أعمالهم الدينية ، والقيام بعبادتهم فى حرية تامة .**
- **وتمكين الدعوة الإسلامية لتأخذ مجراها للقلوب وطريقها فى الحياة** كما جاء بذلك الوحى :

﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[2] .

- **وفى مشروعية الجهاد أمان النفوس ، وتمكين للدين ، وإطلاق لحريات** الناس .. فالمسلمون يرم أن تكون لهم الغلبة فلا خوف على أهل الأديان الأخرى ، وأما لو كان الغلب لغيرهم ضاعت قيم الحياة وموازين الأديان قال تعالى :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[3] .

---

(١) الشورى : ٤١ ، ٤٢ .
(٢) الأنعام : ١٩ .
(٣) الحج : ٤٠ .

حكم الجهاد

اتفق جمهور أهل العلم سلفا وخلفا على أن الجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفى فى رد اعتداء المعتدين ، وظلم المظلومين سقط الطلب عن الباقين ، وإلا أثم الجميع ولا يرتفع الإثم إلا بخروج من فيهم الكفاية .

ثم يصير الجهاد فرض عين فى أحوال :

- **إذا تقابل الفريقان** فيجب على من حضر القتال ، ويحرم عليه الفرار ، بل إنه يكون من أكبر الكبائر .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1] .

وقد جعل «الله» تعالى الفرار من العدو وتوليته الأدبار من أكبر الكبائر ، ولم يبح ذلك إلا متحرفا لقتال ، أو متحيزا إلى فئة .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾[2] .

وروى البخارى ومسلم أن رسول الله (ﷺ) قال :

«اجتَنِبُوا السَّبْعَ الموبِقَاتِ ، قيل : وما هُنَّ يا رسولَ الله ؟ قال : الشِّرْكُ بالله ، والسِّحر ، وقَتْلُ النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الرِّبا ، وأكل مالِ اليتيم ، والتَّوَلِّى يومَ الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» .

---

(١) الأنفال : ٤٥ (٢) الأنفال : ١٥ ، ١٦

- إذا اعتدى الكفار على بلد من بلاد الإسلام وشنوا عليه هجوما . فالجهاد حينئذ واجب عينى على أهل هذا البلد جميعا كما يجب أيضا على إخوانهم المسلمين من البلاد الأخرى أن يزحفوا لمساعدتهم ، وأن يقوموا بمعاونتهم أداء لأخوة الإسلام .

وروى مسلم أن النبى (ﷺ) قال : «**المسلمُ أخو المسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ**» .

- وأيضا إذا أمر ولى الأمر أحدا بالقتال أصبح فرضا .

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[1] .



(١) التوبة : ٣٨ .

بالحِكْمةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ انتشرَ الإسْلامُ لا بالسَّيْفِ كما يَدَّعي المغرضُون

لقد رسم القرآن الكريم منهج الدعوة فى قول «الله» تعالى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1]

وفى العهد المكى مكث رسول الله (ﷺ) يدعو الناس إلى الإسلام فيدخل الناس فى الإسلام عن اقتناع ، لقد دخل الفقراء فى الإسلام كما دخل العبيد وليس لدى الرسول (ﷺ) من المال ما يغرى هؤلاء بل إنهم كانوا يواجهون الاضطهاد والإيذاء من المشركين فما زادهم ذلك إلا إيمانا وتثبيتا . لقد هاجر بعضهم الهجرتين إلى الحبشة ، وهاجر الجميع إلى المدينة ، وتركوا الأهل والوطن والمال اقتناعا بالإسلام وحبا «لله» ولرسوله .

ولم يكن فى هذه الفترة قد شرع الجهاد ، ولم يكن لدى الرسول (ﷺ) والمسلمين من المال أو القوة ما يغرى الناس أو يقهرهم على الدخول فى الإسلام .

ثم إنه لما شرع الجهاد ، شرع – كما سبق – للدفاع عن العقيدة وتمكينها فى الانتشار ، لرد الظلم الذى يقع على المسلمين .

بل إن الإسلام لم ينه عن البر بمن خالفنا فى الدين إذا لم يقاتلونا فى الدين ولم يخرجونا من ديارنا قال تعالى :

---

(١) النحل : ١٢٥ .

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1]

وقد قال « الله » تعالى فى كتابه العزيز :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[2]

وقد روى فى سبب نزول هذه الآية الكريمة أنه كان لرجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف ابنان متنصران قبل مبعث النبى (ﷺ) ، ثم قدما المدينة فى نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما أبوهما وقال : **لا أدعكما حتى تُسْلِمَا** ، فاختصموا إلى النبى (ﷺ) وقال : **يارسولَ الله ، أيدخلُ بَعْضى النارَ وَأنا أَنْظُرُ ؟!** فأنزل «الله» تعالى :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾[3] ..

فخلى سبيلهما ، وقال «الله» تعالى :

﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾[4] ..

وقال جل شأنه :

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[5] ..

---

(١) الممتحنة : ٨ ، ٩ . (٢) البقرة : ٢٥٦ . (٣) البقرة : ٢٥٦ .
(٤) يونس : ٩٩ . (٥) الكهف : ٢٩ .

وتشهد السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف وإنما انتشر بسماحته وحكمته ..

روى الإمام مسلم فى صحيحه أن رسول الله (ﷺ) كان إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال : **«اغزُوا باسْمِ «الله» فى سبيلِ «الله» قاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بـ «الله» اغزُوا ولا تَغُلُوا ولا تغدرُوا ولا تُمثِّلُوا ، ولا تقتُلوا وَليدًا ، وإذا لقيتَ عَدُوَّكَ من المشركِينَ فادْعُهُمْ إلى ثلاثِ خِصال أو خِلال ، فأيتهُنَّ ما أجابُوكَ فاقبل منهم وكُفَّ عنهُمْ ثم ادْعُهم إلى الإسلام فإن أجابُوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهُمْ فإنْ هُمْ أبَوْا فَسَلْهُمْ الجزية فإنْ أجابُوكَ فاقْبَلْ مِنهُمْ وكُفَّ عنهم فإن هُمْ أبَوْا فاسْتَعِنْ بـ «الله» وقَاتِلْهُمْ»** والجزية ليست لإكراههم على الدخول فى الإسلام ولا نوعا من التشدد عليهم وإنما هى مقابل حماية المسلمين لهم وتقديم ما يحتاجون من خدمات ، وروى البلاذرى فى فتوح البلدان أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لواقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الجزية وقالوا : **قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم** فقال أهل حمص : **لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل** – مع أنه على دينهم – **عن المدينة** . ومعاملة الرسول (ﷺ) عبر حياته كلها تتسم بروح التسامح والرأفة ، والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالقوة والسيف ، وهذا نموذج يشهد بتسامح الإسلام ورسول الإسلام وهو موقف رسول الله (ﷺ) من سيد بنى حنيفة الذى أسره المسلمون فى إحدى السرايا وهو : ثمامة بن أثال الحنفى أسره المسلمون وهم لا يعرفونه فأتوا به إلى رسول الله (ﷺ) فعرفه وأكرمه وأبقاه عنده ثلاثة أيام وكان فى كل يوم يعرض عليه الإسلام عرضا كريما فيأبى ويقول : **إن تسأل مالا تعطه وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن**

تنعم تنعم على شاكر فما كان من النبى (ﷺ) إلا أن أطلق سراحه ، فأثرت هذه السماحة فى الرجل ، فذهب واغتسل ثم عاد إلى رسول الله (ﷺ) ودخل الإسلام عن اقتناع واختيار وقال له : يا محمد ، والله ما كان على الأرض من وجه أبغض إلىّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلىّ ، والله ما كان على الأرض من دين أبغض إلىّ من دينك فقد أصبح دينك أحب الدين كله إلىّ و «الله» ما كان من بلد أبغض إلىّ من بلدك فقد أصبح أحب البلاد إلىّ وسُرَّ الرسول (ﷺ) بإسلامه فقد أسلم بإسلامه كثير من قومه .

ومما لا شك فيه أن الذى يكره على شىء لا يثبت عليه وإنما يتخلص منه إذا وجد سبيلا إلى ذلك ، بل يكون عدوا له ولكننا عبر تاريخ الإسلام لم نجد أحدا ارتد سخطة عن دينه بعد أن يدخل فيه ، بل وجدنا المسلمين تعرضوا عبر تاريخهم إلى حروب وانقسامات لأقطارهم وتسلط أعدائهم عليهم ومع هذا فلم نجد أحدا منهم رجع عن دينه بل ثبتوا على الإسلام حتى فتح « الله » عليهم بركات من السماء والأرض وجاءهم نصر « الله » والفتح .

السـرايـا

السرايا جمع سرية ، والسرية هى الفرقة من الجيش التى لا يخرج معها الرسول (ﷺ) ، أما التى يكون الرسول (ﷺ) فيها فتسمى غزوة . وسميت السرية بهذا الاسم لأنها تسرى فى خفية دون ظهور .

وقد استهدفت تلك السرايا إشعار العالم عامة وإشعار أعداء الإسلام خاصة أن المسلمين فى قوة ومنعة ، وليسوا ضعفاء كما كانوا من قبل ، حتى لا تحدّث المشركين أنفسهم بالاعتداء عليهم مرة أخرى .

كما أن فى تلك السرايا عقوبة لأعداء المسلمين وردًّا على ما صنعوه بالمسلمين من إخراجهم من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا «الله» ، وما أخذوه من أموالهم ظلما وعدوانا ، وكأن تلك السرايا كانت بمثابة الإنذار للمشركين إن هم حاولوا الاعتداء على المسلمين أو حاولوا الوقوف والتصدى للدعوة فإن عاقبتهم ستكون أليمة ، ولن يسكت المسلمون على حقهم .

● **سـريـة حـمـزة :**

كانت سرية حمزة بن عبد المطلب فى شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة ، فقد أرسله الرسول (ﷺ) فى ثلاثين راكبا ليعترضوا عيرا لقريش فيها أبو جهل فحجز بينهم مجدى بن عمرو الجهنى فأطاعوه ولم يحدث قتال .

● **سرية عبيدة بن الحارث :**

وكانت فى شهر شوال من السنة الأولى حيث أرسله النبى (ﷺ) فى ثمانين راكبا ليعترضوا عيرا لقريش فتلاقوا ببطن رابغ وكان على العير أبو سفيان ابن حرب فى مائتى رجل فتراموا بالنبال وخاف المشركون أن يكون

للمسلمين كمين فانهزموا وتفرقوا و لم يحدث قتال . وفى هذه السرية أطلق أول سهم فى الإسلام وكان الذى أطلقه عبيدة بن الحارث ، وقيل سعد ابن أبى وقاص .

● **سرية سعد بن أبى وقاص :**

وفى السنة الأولى كذلك فى آخر شهر شوال خرج سعد بن أبى وقاص فى عشرين رجلا ليعترضوا عيرا لقريش ، ولكن العير كانت قد مرت و لم يلقوا أحدا .

غزوة ودان أو الأبواء

هى أول غزوة غزاها الرسول (ﷺ) وكانت فى شهر صفر من السنة الثانية حيث خرج الرسول (ﷺ) وبعض أصحابه ليعترض عيرا لقريش ، واستخلف سعد بن عبادة على المدينة فلما بلغ ودان وجد العير قد فات فوادع النبى بنى ضمرة وحالفهم وهى أول معاهدة عقدها الرسول (ﷺ) مع غير يهود المدينة .

و (الأبواء وودان) مكانان متقاربان بينهما ستة أميال أو ثمانية ، والأبواء قرية من عمل الفرع بينها وبين الجحيفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلا .

غــزوة بــواط

و«بواط» بفتح الموحدة وقد تضم : جَبَل من جبال جهينة بقرب ينبع وقد اتجه رسول الله (ﷺ) يريد قريشا فى شهر ربيع الأول من السنة الثانية واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون حتى بلغ بواط فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى .

غـــزوة العشـــيرة

والعشيرة ببطن ينبع وخرج إليها فى جمادى الأولى يريد قريشا أيضا فوادع فيها بنى مدلج من كنانة ، واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد .

وذكر الواقدى أن هذه السفرات الثلاث كان يخرج فيها ليلقى تجار قريش حين يمرون إلى الشام ذهابا وإيابا .

غــزوة بــدر الأولــى

عندما قدم الرسول (ﷺ) إلى المدينة من غزوة العشيرة مكث ليالى قلائل وإذا بكرز بن جابر الفهرى يغير على سرح المدينة فخرج رسول الله (ﷺ) فى طلبه واستعمل على المدينة زيد بن حارثة ومضى كرز بن جابر دون أن يدركه ، ثم رجع الرسول (ﷺ) إلى المدينة .

ســـرية عبد الله بن جحـــش

كانت سرية عبد الله بن جحش فى شهر رجب من السنة الثانية ، أرسله رسول الله (ﷺ) فى اثنى عشر رجلا من المهاجرين وقيل ثمانية وقيل سبعة ، كل اثنين يعتقبان بعيرًا – أرسله إلى بطن نخلة وهو بستان ابن عامر قرب مكة ، وأمره أن يرصد بها عير قريش ، وأعطاه كتابا وقال له : **«لا تَفْتَحْهُ إلا بعدَ يَوْمَين ، فإذا فتحته فامْضِ لما أَمَرْتُكَ بِهِ ولا تَسْتَكْرِه أَحَدًا مِنْ أصحابِكَ»**
فلما سار بهم يومين فتحه فوجد فيه ما يأتى :
«إذا نظرت كتابى فامْضِ حتَّى تَنْزِلَ نخلةً بينَ مكَّةَ والطائف فترصد بها قُرَيشًا وتعلم لنا من أخبارهم» فلما قرأ الكتاب قال : **سمعا وطاعة** ، وأخبر

أصحابه بما اشتمل عليه هذا الكتاب وقال : **قد نهانى أنْ أستكْرِهَ أحدًا منكم ، فمَنْ كانَ يريدُ الشهادَةَ ، ويرغبُ فيها فلينطلق ، ومن كَرِه ذلكَ فَلْيَرْجِعْ ، فأمَّا أنا فماضٍ لأمرِ رسولِ الله** (ﷺ) ، فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلفْ أحدٌ . وقد تجلت الحكمة الدقيقة فى عدم إخبار السرية بالهدف من إرسالهم قبل أن يغادروا المدينة حتى لا يتسرَّب الخبر إلى أحد المنافقين أو اليهود ، فينقل إلى قريش فتترصدهم فى مكان بعيد وتنال منهم .

وكان البعير الذى يعتقبه سعد بن أبى وقاص وعتبة بن غزوان قد شرد منهما فتخلَّفا فى طلبه ، وسار الركب حتى وصلوا نخلة فمرت بهم عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمى ومعه ثلاثة ، فهاجمها عبد الله والذين معه ، وقتل فى هذه المعركة عمرو بن الحضرمى ، وأسر اثنان من المشركين ، وعاد عبد الله بالقافلة والأسيرين . وقدموا المدينة على رسول الله (ﷺ) .

فلما علم الرسول (ﷺ) أنهم قاتلوا فى رجب قال : « **مَا أمَرْتُكُم بِقِتَالٍ فى الشهر الحَرَام** » ، وأبى أن يأخذ شيئا ، وسقط فى أيدى القوم وعنفهم إخوانهم المسلمون ، وأخذ المشركون يطعنون فى المسلمين ويقولون : **قد استحلَّ محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا الأموال وأسروا الرجال** .. وفى هذه الفترة نزل الوحى يرد عليهم افتراءهم ، ويؤيد تصرف عبد الله ، فقد سبق أن حارب المشركون الإسلام وصدوا عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وأخرجوا المسلمين من بلدهم وتآمروا على قتل الرسول (ﷺ) قال الله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ

﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢١٨)﴾[1] .

وعبد الله بن جحش هو أول من عقدت له الراية فى الإسلام ، وأمه هى عمة الرسول (ﷺ) أمية بنت عبد المطلب ، وقد كان من مهاجرة الحبشة ، وممن شهد بدرا ، وصاهر رسول الله (ﷺ) بأخته زينب بنت جحش ، قال الشعبى : **أول لواء عقد فى الإسلام لواء عبد الله بن جحش وأول مغنم قسم فى الإسلام مغنم عبد الله بن جحش .**



(١) البقرة : ٢١٧ ، ٢١٨ .

غـزوة بـدر الكـبرى

«بـدر» : هو موضع الغزوة المشهورة وهو عبارة عن ماء معروف ، وقرية عامرة على نحو أربع مراحل من المدينة بينها وبين مكة .

وقال ابن قتيبة : بدر : بئر كانت لرجل يسمى بدرا فسميت باسمه .

وقال بعض العلماء : كانت لرجل من بنى غفار ، وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان فى السنة الثانية للهجرة .

سبب الغزوة : لما علم الرسول (ﷺ) ، أن أبا سفيان بن حرب مقبل من الشام فى عير لقريش فيها تجارتهم وأموالهم ، دعا المسلمين لملاقاتهم وقال : **«هذه عِيرُ قريشٍ ، فاخْرُجوا إليها لعلَّ الله أن ينفلكموها»** فخف البعض وتثاقل البعض ظنا منهم أنه لا يريد حربا ، واستخلف النبى (ﷺ) عبد الله ابن أم مكتوم ليصلى بالناس فى المدينة .

ولم يكن تعرض المسلمين لعير قريش إلا جزاء ما صنع المشركون بهم من قبل فقد أخرجوهم من ديارهم وأبنائهم فى مكة ، واستولى المشركون على أموال المسلمين فى مكة وممتلكاتهم ، هذا بالإضافة إلى أن أموال الحربيين تعتبر غير محترمة فللمسلمين الاستيلاء عليها ... ومع هذا فقد شاءت الحكمة الإلٰهية أن تفلت العير ، لتكون المعركة ، والجهاد فى سبيل «الله» من أجل نشر الدعوة الإسلامية . وكان مع رسول الله (ﷺ) ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا منهم نيف وأربعون ومائتان من الأنصار والباق من المهاجرين ولم يتخلف إلا عثمان بن عفان لمرض زوجته السيدة رقية بنت رسول الله (ﷺ) .

والذين تثاقلوا عن الخروج أول الأمر ما كانوا يتوقعون القتال ، لأنهم لم يكونوا على استعداد ، هذا هو السبب لا أنهم كرهوا لقاء قريش قال تعالى :

﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥
يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ
وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ ﴾[1] ..

لقد كانوا فى بادىء الأمر يرغبون فى العير وهى المقصودة بقوله تعالى :

﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾[2] ..

ولكن «الله» تعالى يريد أن يجمع بينكم وبين الطائفة التى لها شوكة وقتال لينصركم عليهم ويظهر دين الحق وترتفع راية الإسلام ، وهو أعلم بعواقب الأمور :

وهكذا شاءت إرادة «الله» تعالى أن تكون ذات الشوكة وهى المعركة والقتال .

ولكن المسلمين ما إن علموا الحقيقة إلا وسارعوا لتلبية النداء .. وكان مع رسول الله (ﷺ) والمسلمين سبعون بعيرا يعتقبونها ، كل ثلاثة يعتقبون على بعير ، عن عبد الله بن مسعود قال : **كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير** – أى يعتقبون – **وكان أبو لبابة وعلى بن أبى طالب زميلى رسول الله (ﷺ)** ، قال : فكانت عقبة رسول الله (ﷺ) ، فقالا له : **نحن نمشى عنك** ، فقال : « **ما أَنْتُما بِأَقْوَى مِنِّى ، وَلاَ أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الأَجْرِ منكما** » رواه أحمد .

وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرا ، وكان حمزة وزيد بن حارثة وأبو كبشة يعتقبون بعيرا .

---

(١) الأنفال : ٥ ، ٦ .   (٢) الأنفال

وسار الجيش الإسلامى خارج المدينة حتى وصل بيوت السقيا وعسكر هناك ، واستعرض رسول الله (ﷺ) الذين خرجوا معه ، فرد كل من لا قدرة له على الجهاد ، ومن هؤلاء الذين ردهم البراء بن عازب ، وعبد الله بن عمر ، عن البراء قال : « **استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر وكان المهاجرون يوم بدر نيفا وستين والأنصار نيفا وأربعين ومائتين** » رواه البخارى .

استشارة الرسول للمسلمين

يقول محمد بن إسحاق رحمه «الله» : لما سمع رسول الله (ﷺ) بأبي سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين إليهم ، وقال : **«هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل «الله» أن ينفلكموها»** ، فانتدب الناس ، فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله (ﷺ) يلقى حربا وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار ، ويسأل من لقى من الركبان تخوفا على أمر الناس حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك .

فاستأجر (ضمضم بن عمرو الغفارى) فبعثه إلى أهل مكة وأمره أن يأتى قريشا ، فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها فى أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعا إلى مكة .

وخرج رسول الله (ﷺ) فى أصحابه حتى بلغ واديا يقال له : ذفران فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل ، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار رسول الله (ﷺ) الناس ، وأخبرهم عن قريش .

فقام أبو بكر (رضى الله عنه) فقال فأحسن ، ثم قام عمر (رضى الله عنه) فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال :

يا رسول الله امض لما أمرك «الله» به ، فنحن معك ، و «الله» لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فو الذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى (بَرْكِ الغِماد) – يعنى مدينة الحبشة – **لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه** ، فقال رسول الله (ﷺ) خيرا ، ودعا له بخير ، ثم قال

رسول الله (ﷺ) « **أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّها النَّاس** » وإنما يريد الأنصار وذلك أنهم كانوا عدد الناس ، وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : **يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمامنا ، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا** ، وكان رسول الله (ﷺ) يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم .

فلما قال رسول الله (ﷺ) ذلك قال له سعد بن معاذ : **والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟**

قال : أجل ، فقال : فقد آمنا بك وصدّقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أمرك «الله» ، فو الذى بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل «الله» يريك ما تقر به عينك ، فَسِرْ بنا على بركة «الله» ، فَسُرَّ رسول الله (ﷺ) بقول سعد ، ونشطه ذلك ثم قال : « **سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ «الله» وَأَبْشِرُوا فَإِنَّ «الله» قَدْ وَعَدَنى إحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ و «الله» لَكَأَنِّى الآنَ أَنْظُرُ إلى مَصَارِعِ القَوْمِ** » .

وقد كان تعداد جيش المشركين تسعمائة وخمسين رجلا معهم مائة فرس وسبعمائة بعير يعتقبونها .

وقد كانت استشارة رسول الله (ﷺ) اختبارا لإيمانهم وقوة يقينهم وحبهم ، ومدى استعدادهم للجهاد فى سبيل «الله» والتضحية والفداء من أجل رفع راية التوحيد .

وهكذا كانت حياته (ﷺ) تتسم بالشورى فى كل أمر لا نص فيه من كلام «الله» سبحانه وتعالى ، والأخذ بمبدأ الشورى هو تطبيق لأمر «الله» تعالى له فى قوله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[1] ..

ولهذا كان رسول الله (ﷺ) يشاور أصحابه فى الأمر إذا حدث ، تطبيبا لقلوبهم ، ففى هذه الغزوة شاورهم فى لقاء العدو ، وشاورهم فى مكان النزول كما سيأتى .

كما شاورهم فى غزوة أحد ، فى أن يقعد فى المدينة أو يخرج إلى العدو فأشار جمهورهم بالخروج إليهم ، فخرج إليهم ، وشاورهم يوم الخندق فى مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ فأبى ذلك عليه سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فترك ذلك ، وشاورهم يوم الحديبية فى أن يميل على ذرارى المشركين فقال له الصديق (رضى الله عنه) : **إنَّا لم نجئ لقتال أحد ، وإنما جئنا معتمرين** ، فأجابه إلى ما قال ، فكان (ﷺ) يشاورهم فى الحروب ونحوها .

وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) فى قول «الله» تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾[2] ..

قال : نزلت فى أبى بكر وعمر وكانا حوارى رسول الله (ﷺ) ووزيريه وأبوى المسلمين .

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

وقد روى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله (ﷺ) قال لأبى بكر وعمر : « **لو اجْتَمَعتما فِى مَشُورَة مَا خَالَفْتُكُمَا** » وروى ابن مردويه عن على بن أبى طالب قال : **سئل رسول الله** (ﷺ) **عن العزم** ؟ فقال : «**مُشَاوَرَةُ أَهْلِ الرَّأْى ثُمَّ اتِّبَاعُهُم**» . وقد قال ابن ماجة عن أبى هريرة عن النبى (ﷺ) قال : « **المستشار مؤتمن** » .



التعــرف علــى أخبــار قريــش

كان أبو سفيان قد أرسل إلى قريش فخرجت عن بكرة أبيها ، ونجا بالعير فأشار عليهم بالرجوع وقال : إنكم قد خرجتم تمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها «الله» فارجعوا .

ورأى كثير منهم ما رآه أبو سفيان من الرجوع ولكن أبا جهل أبى أن يرجعوا وقال : و «الله» لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم عليها ثلاثا ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا .

ولما كان المسلمون على مقربة من بدر ، ركب رسول الله (ﷺ) وصاحبه أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) وبلغا شيخا من العرب يقال له سفيان الضمرى فسأله الرسول (ﷺ) عن قريش وعن محمد وأصحابه فقال : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ؟ فقال له رسول الله (ﷺ) : «**إذا أخبرتنا أخبرناك**» فقال : أوذاك بذاك ؟ فقال : نعم قال الشيخ : فإنه بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن صدق الذى أخبرنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى جمع به الرسول (ﷺ) ، وبلغنى أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان الذى أخبرنى صدقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى به قريش فلما فرغ قال : ممن أنتما ؟ فقال رسول الله (ﷺ) : «**نحن من ماء**» ثم انصرفا عنه فقال الشيخ : ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ، وكلمة (من ماء) من التورية تحتمل معنيين أحدهما قريب وهو المكان المعروف بهذا الاسم والآخر بعيد وهو الماء الذى خلق منه كل إنسان ، وذلك لأن الحرب خدعة .

ثم بعث رسول الله (ﷺ) بعد ذلك على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فى نفر إلى ماء بدر للتعرف على الأخبار فأصابوا إبلا لقريش لها يستسقى عليها غلامان فأتوا بهما ورسول الله (ﷺ) يصلى، فقالا : نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم الماء، فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبى سفيان، فضربوهما فلما أوجعوهما قالا : نحن لأبى سفيان، فتركوهما، فلما فرغ رسول الله (ﷺ) من صلاته قال : **«إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما صدقا و «الله» إنهما لقريش»**.

ثم قال لهما : **«أَخْبِرانى عَنْ قُرَيش»**، فقالا : هم وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى، فقال لهما : **«كَم الْقَومُ ؟»** قالا : كثير، قال : **«مَا عُدَّتُهُم ؟»** قالا : لا ندرى..

قال الرسول (ﷺ) : **«كَم يَنْحَرُونَ كُلَّ يَوم ؟»**

قالا : يومًا تسعًا، ويومًا عشرًا.

فقال رسول الله (ﷺ) : **«القومُ مَا بينَ التسعمائةِ والألفِ»**.

فقال لهما : **«فَمَنْ فِيهِم مِنْ أَشْرَفِ قُرَيش ؟»**

فذكرا عتبة بن ربيعة، وشيبة، وأبا جهل، وأمية بن خلف وسهل بن عمرو وآخرين من صناديد قريش.

فأقبل رسول الله (ﷺ) إلى أصحابه قائلا : **« هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُم أَفْلاَذَ كَبِدِهَا »**.

نـزول المسـلمـين فـى بـدر

وقد مضى المسلمون فى طريقهم إلى أن وصلوا بعدوة الوادى الدنيا ، وهو جانب الوادى القريب من المدينة ، بعيدًا عن الماء ، وكان نزولهم أيضا فى أرض سبخة لا تثبت عليها الأقدام وأصبح القوم وقد ظمئوا ، والبعض أحدث وأصبح الآخر جنبا ، وحاول الشيطان أن يوسوس لهم ويلقى الشك فى بعض النفوس قائلا : ما ينتظر المشركون منكم إلا أن يقطع الظمأ رقابكم ويذهب قواكم .

وهنا تجلت عناية «الله» سبحانه وتعالى ، حيث أبطل كيد الشيطان ، وتدارك سبحانه عباده المؤمنين فأرسل السماء عليهم مدرارا ، فشربوا وارتوى من كان ظمآن ، وتوضأ المحدث ، واغتسل الجنب ، وملأوا الأسقية ولبد المطر الأرض فثبتت عليها الأقدام .

وفى الوقت نفسه كان هذا المطر نقمة على المشركين حيث وحل الأرض تحت أقدامهم فما قدروا على الارتحال وفى هذا يقول «الله» تعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾[1]..

ولما نزل الرسول (ﷺ) هذا المكان قال الحُباب بن المنذر الخزرجى : أرأيت هذا المنزل ، أمنزلا أنزلكه «الله» ليس لنا أن نتقدم أو نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟

فقال الرسول (ﷺ) : «**بَلْ هُوَ الرَّأْىُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَة**» .

---

(١) الأنفال : ١١ .

فقال : يارسول الله فإن هذا ليس بمنزل فامض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فتنزله ثم نغور ما وراءه من الآبار ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله (ﷺ) : «**لقد أشرتَ بالرّأى**» وأخذ (ﷺ) بمشورة الحباب .

كما أشار سعد بن معاذ الأوسى قائلا : يا نبى الله ألا نبنى لك عريشا تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فإن أعزنا «الله» وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبا لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك «الله» بهم ويناصحونك ويجاهدون معك ، فأثنى عليه الرسول (ﷺ) خيرا وأخذ بمشورته وبنى له العريش .

ثم أخذ رسول الله (ﷺ) يطمئن أصحابه قائلا : «**هذا مصرع فلان ومصرع فلان**» – أى من المشركين – وهو **يضع يده على الأرض ، فما تزحزح أحدهم عن موضع يده .**



ليلة اللقاء

● وفى تلك الليلة – ليلة اليوم الذى سيلتقى فيه الجيشان – رأى رسول الله (ﷺ) المشركين قليلا عددهم ، كى يجرؤا عليهم ولا يهابوهم كما قال تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾[1] ..

فأراه «الله» المشركين فى منامه قليلا ، وأخبر النبى (ﷺ) أصحابه بذلك فكان تثبيتا لهم ، ولو أراه إياهم كثيرا ربما اختلفوا فيما بينهم أو خافوا منهم .

كما شاءت إرادة الحكيم الخبير أن يقلل عدد المشركين فى أعين المسلمين ، ويقلل عدد المسلمين فى أعين المشركين ليتجرأ كل فريق فتكون المعركة وإذا أراد «الله» أمرا يسر له الأسباب قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾[2] ..

قال ابن مسعود (رضى الله عنه) : **لقد قُلّلوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبى : تراهم سبعين ؟ قال : لا ، بل هم مائة ، حتى أخذنا رجلا منهم فسألناه فقال : كنا ألفا** . وهكذا أغرى «الله» تعالى كل فريق بالآخر وقلله فى عينه ليطمع فيه لتكون المواجهة .

---

(١) الأنفال : ٤٣ . (٢) الأنفال : ٤٤ .

وأما عندما التحم الجيشان ، فقد أيد «الله» المؤمنين بجنود من الملائكة مردفين ، فكان الكفار ينظرون إلى المؤمنين فيرونهم مثليهم ، كما قال تعالى :

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ ﴾[1] .

(١) آل عمران : ١٣ .

من دروس غزوة بدر الكبرى

وقد كان لهذه الغزوة الهامة التى تعتبر أول معركة التقى فيها المسلمون مع أعدائهم من المشركين لقاء مسلحا – كان لها دروسها وعبرها .. من ذلك :

- أن الإيمان الصادق يصنع الرجال الشجعان الذين يضحون فى سبيل «الله» ومن أجل نصرة دينهم وعقيدتهم .
- أن النصر من عند «الله» العزيز الحكيم ؛ فلا يركن أحد إلى قوته فحسب ولا إلى عدته بل لابد مع إعداد العدة من توثيق الصلة بـ «الله» والدعاء والاستغاثة به .

ثم ما ينبغى على المسلمين من التمسك بدينهم والدفاع عنه ، وتوحيد صفوفهم تجاه أعدائهم ، واعتصامهم جميعا بدين «الله» كما قال جل شأنه :

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1] ..

واستجابة المسلمين لدعوة رسولهم (ﷺ) حين دعاهم وحرضهم ، فهرعوا لندائه ، وآثروه على أعز ما فى حياتهم ولم يهملوا نداءه ولم يتأخروا لحظة فى تلبية دعوته .

- ومن دروس هذه الغزوة : جانب المثالية الذى اتسمت به ومن ذلك حسن معاملة الأسرى وهى سمة تعلمها المسلمون من قرآنهم الذى يقول :

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾[2] ..

وفى هذه الغزوة قال رسول الله (ﷺ) لأصحابه بعد أن وزع بينهم الأسرى ، وعند رجوعهم إلى المدينة قال : « **استوصوا بهم خيرًا** » وقال أبو عزيز بن عمير وكان من أولئك الأسرى : « **كنت فى رهط من الأنصار**

(١) آل عمران : ١٠٣ . (٢) الإنسان : ٨ .

حين أقبلوا بى من بدر ، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز ، وأكلوا التمر ، لوصية رسول الله (ﷺ) إياهم بنا ، فما تقع فى يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها فأستحى فأردها على أحدهم فيردها على ما يمسها » ومن سماحة الإسلام التى هى إحدى العبر من هذه الغزوة : منع التمثيل بالقتلى ، ومنع تعذيب الجرحى ، بل إن رسول الله (ﷺ) أمر فى غزوة بدر بدفن جثث القتلى من المشركين فى القليب وهو بئر جاف ودفنهم فيه .

- ومن أبرز دروس هذه الغزوة : «الشورى» وما لها من أثر فى نجاح القصد والوصول إلى الغاية ، ومما لا شك فيه أن الشورى من سمات الإيمان ولذا ذكرها «الله» تعالى بين الصلاة والإنفاق لأهميتها فقال سبحانه :

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[1] ..

وإذا استشار الإنسان أحدا من الناس فعلى المستشار أن يكون أمينا فى مشورته صادقا فى نصيحته ، وليعلم أن الشورى عندئذ أمانة فإن لم يشر بما هو نافع فقد خان الأمانة كما قال (ﷺ) :

« **المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ** » رواه ابن ماجه .

وعلى القيادة أن تستفيد بخبرة المتخصصين وأن تأخذ بمشورتهم ، كما صنع رسول الله (ﷺ) عندما نزل على رأى الحباب وغير موقع الجيش ، وقد كرم الرسول (ﷺ) الحباب صاحب هذه المشورة وقدر رأيه قائلا له : « **أَشرتَ بِالرَّأى** » .

---

(١) الشورى : ٣٨ .

غزوة بنى سُلَيْم «بالكُدْر»

وبعد غزوة بدر الكبرى ، غزا رسول الله (ﷺ) بنى سُليم واستعمل على المدينة سباع بن عُرْفُطة الغفارى ، أو ابن أم مكتوم .

فبلغ ماء من مياههم ، يُقال له «الكُدر» فأقام عليه ثلاث ليال ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا .. فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وأفدى فى إقامته تلك جلّ الأسارى من قريش . وكان السبب فى هذه الغزوة أن جموع بنى سُليم وعطفان تجمعوا يزيدون مهاجمة المدينة ، وما إن علم الرسول (ﷺ) بما عزموا عليه إلا وخرج إليهم على رأس مائتين من المسلمين .



أُمَّهاتُ المؤمنين

لقد شاءت حكمة العليم الحكيم أن يخص رسوله – صلوات الله وسلامه عليه – ببعض الخصوصيات التى لا يَقْتدِى أحد به فيها ، ومن هذه الخصوصيات زواجه – صلوات الله وسلامه عليه – بأكثر من أربع نساء ، وقد رأى بعض الباحثين أن تعدد زوجاته كان قبل نزول آية التقييد بأربع ، إلى جانب أن أمهات المؤمنين لا يصح زواج أحد ما بواحدة منهن إذا فارقهن الرسول (ﷺ) ؛ لقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾[1] .

ومما يؤكد هذا أن سورة الأحزاب – وهى التى أحلَّ الله فيها لرسوله (ﷺ) هذا العدد – نزلت قبل سورة (الممتحنة) وبعد سورة (الممتحنة) ، نزلت سورة (النساء) ، وقد جاء التقييد بأربع نسوة فى سورة (النساء) .

وأيا ما كان الأمر فإن «الله» تعالى قد خص رسوله (ﷺ) بذلك لحِكَمٍ عظيمة ودقيقة من أهمها أنه كان يريد توثيق الروابط بين القبائل والأسر وكبار الشخصيات الهامة التى يكون لها دورها فى مؤازرة دعوته وكان لكل زواج حكمة خاصة ، فمنه ما أراد «الله» به إبطال عادة كانت قائمة من أيام الجاهلية وهى ظاهرة التبنى وتحريم زوجة المتبنى ، ومنها الحفاظ على كرامة بعض النساء اللاتى استشهد أزواجهن فى الجهاد ، ومنها أنه كان لكل واحدة منهن دور هام فى دعوة الإسلام وفى نشر تعاليم هذا الدين ، وكان الرسول – صلوات

---

(١) سورة الأحزاب : ٥٣

الله وسلامه عليه – يُعنى بِأمرهن وتعليمهن ، فكان يعلم النساء أمور الدين ويُخصّص وقتًا يجلس لهن فيه .

وكانت أمهات المؤمنين على درجة عالية من العلم ، إذا وجد النساء عندهن الإجابة على أمورهن وأحوالهن ، التى يمنعهن الحياء من التصريح بها أمام الرسول عليه الصلاة والسلام ، كالأمور الخاصة بهن .

فكان لأمهات المؤمنين أثر لا ينكر فى دعوة الإسلام، وفى تبليغ الأحكام ..

وهنا تتجلى إحدى الحكم الدقيقة والعميقة من تعدد زوجات رسول الله (ﷺ) ، حيث كان لأمهات المؤمنين هذا الدور المؤثر فى نشر أحكام الإسلام التى تستحى المرأة عادة أن تسأل عنها الرجال ولا يقع هذا الحرج حين تكون المرأة مع بنات جنسها ولنلق نظرة سريعة على أسماء أمهات المؤمنين ثم نردف ذلك ببيان الحكمة من كل زواج .



أمهات المؤمنين

١ – السيدة خديجة (رضى الله عنها)

وهى أولى زوجاته (ﷺ) ، وكل أبنائه منها إلا إبراهيم فإنه من مارية ، زوَّجه إياها أبوها خويلد بن أسد ويقال أخوها عمرو بن خويلد .

٢ – السيدة عائشة (رضى الله عنها)

وهى الصديقة بنت الصديق تزوجها وبنى بها بالمدينة وهى بنت تسع سنين أو عشر سنين ، ولم يتزوج بكرا غيرها زوجه إياها أبو بكر وأصدقها أربعمائة درهم .

٣ – السيدة سودة (رضى الله عنها)

وهى سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤى زوجه إياها سليط بن عمرو ، وقيل : أبو حاطب ابن عمرو ، وأصدقها أربعمائة درهم .

٤ – زينب بنت جحش (رضى الله عنها)

هى زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية زوجه إياها أخوها أبو أحمد ابن جحش ، وأصدقها الرسول (ﷺ) أربعمائة درهم .

٥ – السيدة أم سلمة – هند – (رضى الله عنها)

واسمها هند بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية زوجها إلى الرسول (ﷺ) سلمة بن أبى سلمة ابنها وأصدقها الرسول (ﷺ) فراشا حشوه ليف وقدحا وصحفة ورحى يطحن بها [illegible] .

٦ – السيدة حفصة (رضى الله عنها)

وهى حفصة بنت عمر بن الخطاب ، زوجها أبوها إلى الرسول (ﷺ) وأصدقها أربعمائة درهم .

٧ – السيدة أم حبيبة (رملة ، رضى الله عنها)

وهى رملة بنت أبى سفيان بن حرب زوج الرسول (ﷺ) إياها خالد ابن سعيد بن العاص ، وهما فى الحبشة وأصدقها النجاشى عن رسول الله (ﷺ) أربعمائة دينار .

٨ – السيدة جويرية بنت الحارث (رضى الله عنها)

وهى جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار الخزاعية ، كانت فى سبايا بنى المصطلق من خزاعة ، وقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس الأنصارى فكاتبها على نفسها فأتت رسول الله (ﷺ) تستعينه فى كتابتها ، فقال لها : هل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : ماهو ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ، فقالت : نعم .

٩ – السيدة صفية بنت حُيى (رضى الله عنها)

هى السيدة صفية بنت حُيى بن أخطب ، وتزوجها الرسول (ﷺ) سباها من خيبر وتزوجها ، و أولم وليمة بالسويق والتمر .

١٠ – السيدة ميمونة بنت الحارث (رضى الله عنها)

وهى السيدة ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هزم بن رؤيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة وقد زوجها العباس بن عبد المطلب رسول الله (ﷺ) وأصدقها العباس عن رسول الله (ﷺ) أربعمائة درهم

ويقال إنها التى وهبت نفسها للنبى (ﷺ) ، وقيل : إن التى وهبت نفسها امرأة أخرى .

١١ – السيدة زينب بنت خزيمة (رضى الله عنها)

هى زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف ابن هلال بن عامر بن صعصعة ، وهى التى كانت تكنّى بأم المساكين لرحمتها بهم ، وقد زوج الرسول (ﷺ) إياها قبيصة بن عمرو الهلالى ، وأصدقها أربعمائة درهم .

وهذا العدد من أمهات المؤمنين هن اللاتى بنى الرسول (ﷺ) بهن ، وقد مات قبله منهن ثنتان : خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة ، وتوفى عن الباقيات وهن تسع وهناك اثنتان ولكن لم يدخل بهما وهما :

١ – **أسماء بنت النعمان** الكندية ، تزوجها فوجد سا بياضا فمتعها أى أعطاها ما تتمتع به وردها إلى أهلها .

٢ – **والثانية : عمرة بنت يزيد الكلابية** ، وكانت حديثة عهد بكفر فلما قدمت على رسول الله (ﷺ) استعاذت منه ، فردها إلى أهلها ، ويقال : إن التى استعاذت منه هى كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان .

ومن زوجاته (ﷺ) السيدة «ريحانة»

وهى ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة ، وفى بعض المراجع مثل «الإصابة» أنها ريحانة بنت شمعون بن زيد جاءت فى سبى بنى قريظة ، روى أنها قالت : **«دخل رسول الله (ﷺ) علىّ فدعانى فأجلسنى بين يديه ، فقال إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله (ﷺ) ، لنفسه ، فقلت : فإنى أختار الله ورسوله ، فلما أسلمت أعتقنى وتزوجنى وأصدقنى اثنتى عشرة أوقية ونشا كما كان يصدق نساءه وأعرس بى فى بيت أم المنذر وكان يقسم**

لى كما يقسم لنسائه» . وهناك بعض الروايات التى تقول : إنها رغبت إلى النبى (ﷺ) أن يبقيها على ملك اليمين وأن تكون مملوكة لأنه أهون عليه وعليها[1] .

ومن زوجاته : مارية أم إبراهيم عليه السلام

وكان قد أهدى المقوقس عظيم القبط للرسول (ﷺ) مارية وأختها سيرين ، فأنزلهما الرسول (ﷺ) على أم سليم بنت ملحان ، فعرض رسول الله (ﷺ) عليهما الإسلام فأسلمتا فتزوج الرسول (ﷺ) مارية وأسكنها فى مال له بالعالية وبنى لها منزلا فكان يأتيها فيه ، ووهب سيرين لحسان بن ثابت وولدت له عبد الرحمن ،

قضية تعدد زوجاته .. والردّ على شبهات المبشرين والمستشرقين

وبمناسبة تعداد زوجات الرسول (ﷺ) ، أرى من المناسب إيضاح أهم الحقائق والحكم من وراء زواجه (ﷺ) حتى يكون فى هذا البيان وضوح الحقيقة والرد على بعض المستشرقين والمبشرين وأعداء هذا الدين الكريم حاولوا أن يجعلوا من تعدد الزوجات مفخرا لهذا الدين ..

أولا : لقد عاش سيدنا رسول الله (ﷺ) شبابه بين قومه فكانوا يقولون عنه : الصادق الأمين ، ولم يوجد أعف منه ولا أطهر فهو أعف وأطهر وأشرف من مشى على الأرض لقد عرف بعفة النفس ، وطهارة السيرة ، ونقاء السريرة ، ومكارم الأخلاق ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] .

ثانيا : أن مما يدل على أنه (ﷺ) لم يكترث بالمتعة الجنسية أنه تزوج السيدة خديجة وهى تكبره فى السن فلو كان راغبا فى المتعة الجنسية لتزوج أصغر منه أو مثل سنه ، ولكنه كان يتطلع إلى الخلق والشرف والنبل والطهارة وهى المعانى التى تجلت فى السيدة خديجة (رضى الله عنها) وظل معها حتى توفيت عن خمسة وستين عاما ، وكان قد شارف عمره الخمسين ، ولم يفكر فى فترة شبابه ومطلع حياته : أن يتزوج ولا أن يعدّد زوجاته ، فلو كان طالب متعة جسدية لكانت فترة الشباب والقوة أولى بأن يعدّد الزوجات فيها ولكنه مكث هذه الفترة مع زوجة واحدة مما يدل على أنه ليس طالب شهوة أو متعة ، بل ظل معها ولم يتزوج

---

(١) سورة (نٓ) : ٤ .

عليها حتى جاوز عمره الخمسين ، مع أن تعدد الزوجات – حينئذ – كان مباحا إلى أى عدد كان .

ثالثا : أنه – صلوات الله وسلامه عليه – كان وقته ممتلئا بالعبادة والدعوة وأعباء الرسالة والجهاد فى سبيل «الله» ، فهو فى عناء موصول ، وفى شغل شاغل من أجل الدعوة والكفاح ، فأين مكان التمتع والراحة والقرآن يتنزل عليه : ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً**﴾[1] .

رابعا : استهدف زواجه – صلوات الله وسلامه عليه – توثيق الروابط بالقبائل والأسر والرجال الذين آزروا دعوته ووقفوا إلى جواره ، كما استهدف تعدد زوجاته أن تحمل أمهات المؤمنين فقه المرأة ليشرحنه للنساء ؛ فهن أقدر على الشرح والتفصيل لبنات جنسهن حيث لا يقع الحرج والحياء الذى يحدث للرجل حين يشرح مثل هذه الأحكام الخاصة بفقه النساء للنساء .

والناظر إلى زواجه (ﷺ) كل واحدة من زوجاته يرى أن الزواج كان لحكمة دقيقة وليعلّم المسلمين أمرًا هاما وجديدًا من أمور الإسلام .

- فبعد وفاة **السيدة «خديجة»** (رضى الله عنها) ، تزوج عليه الصلاة والسلام
- **بالسيدة «سودة بنت زمعة»** وكانت تقارب السيدة خديجة فى عمرها حيث قاربت السبعين ، ولزواجه منها سبب وهو أن زوجها كان مسلما ، وتوفى ، ولا مأوى لها بعد موته إلا بيت والدها وكان والدها مشركا ، فخاف رسول الله (ﷺ) عليها أن تُفتن أو أن تؤذى من والدها فتزوجها وهى فى سن السبعين ، وواضح أن التى فى مثل سنِّها وحالها ، تكون الرغبة فى الزواج منها واضحة فى الجانب الإنسانى وفى الحفاظ عليها من الأذى

---

(١) سورة المزمل : ٥ .

وفى تكريمها وتكريم زوجها المسلم الذى مات فى أن تضم إلى أمهات المؤمنين ولم يكن الداعى إلى الزواج متعة جسدية فهى كبيرة السن ولكنها الرحمة والإنسانية والمحافظة على أمثالها ، وتعليم المسلمين جوانب إنسانية مثالية فى مقاصد الزواج فى الإسلام ، وأن الزواج لا يقتصر على الشهوة والمتعة الجسدية فحسب بل إن له مقاصد أخرى هى السكن والمودة والرحمة والحفاظ على المرأة إلى غير ذلك من المقاصد .

● ثم تزوج عليه الصلاة والسلام بالسيدة «عائشة» (رضى الله عنها) ، وكانت صغيرة ، ومن كانت فى سنها لا يكون فيها مطمع لشهوة ، وكان فى زواجه منها زيادة تأكيد ودعم للرابطة التى بينه وبين أول أصحابه (رضوان الله عليهم أجمعين) .

ولقد كان زواجه منها بوحى من رب العالمين سبحانه وتعالى ولحكمة كبرى ظهرت بعد ذلك ، فقد حفظت العدد الكبير من أحاديث رسول الله (ﷺ) من أقواله وأفعاله التى ما كان يطلع عليها إلا هى ونساؤه رضوان الله تعالى عليهن ، فقد روت السيدة عائشة (رضى الله عنها) الكثير من الأحاديث والسنن والأحكام فى الأقوال وفى الأفعال وفى الصفات وخاصة ما يتعلق بفقه المرأة وجوانب الأسرة ، وكانت الحكمة الإلهية التى قيضت لها الزواج فى الصغر ، واضحة لأن الحفظ فى الصغر كالنقش على الحجر . فكانت تحفظ كل ما تسمع من قول ، وما ترى من فعل ، وما يحدث من إقرار ، وما يتضح من وصف وكانت ذات حافظة قوية وذاكرة واعية

● وتزوج رسول الله (ﷺ) السيدة «زينب أم المساكين» ، (رضى الله عنها) وكانت تقوم على رعاية الأيتام والمحتاجين ، والضعفاء والمساكين ، فتزوجها عليه الصلاة والسلام ليعينها على ذلك ، وقد ماتت فى حياته .

● وتزوج عليه الصلاة والسلام السيدة **«حفصة بنت عمر بن الخطاب»** (رضى الله تعالى عنها) ، بعد أن مات زوجها فى إحدى الغزوات وكان سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) – بعد وفاة زوجها – قد عرض زواجها على أبى بكر فسكت ، ثم عرضها على عثمان فسكت أيضا ، وليس فى عرض سيدنا عمر على صاحبيه الزواج من ابنته أية غضاضة أو تنقيص لمنزلتها ، فمثل هذا العرض – شرعا – جائز ، خاصة إذا كان الأب يريد أن يتحرى الرجل الصالح لابنته وفى الأمثال : **«اخطب لبنتك ..»** ثم ذهب سيدنا عمر (رضى الله عنه) إلى سيدنا رسول الله (ﷺ) يقصّ عليه ماجرى ، فقال له رسول الله (ﷺ) : **«سيتزوجها من هو خير من أبى بكر وعثمان وسيتزوج عثمان من هى خير منها»** فتزوج الرسول (ﷺ) حفصة وزوّج ابنته لعثمان (رضى الله عنه) ، وكان فى زواجه (صلوات الله وسلامه عليه) من حفصة تدعيم الروابط والمودة بين أصحابه ، وتكريم لها .



زواجه (ﷺ) من زينب بنت جحش والرد على افتراءات المبشرين والمستشرقين

كانت زينب بنت جحش بنت عمة الرسول (ﷺ) متزوجة من زيد بن حارثة كان قد زوجها منه رسول الله (ﷺ)، وكان زيد يدعى زيد بن محمد حيث كان التبنى لم يحرم بعد، وعاش زيد معها، ثم حدث بينهما خلاف، وأراد رب العزة سبحانه وتعالى أن يجرى أمرا هاما، أراد أن يبطل التبنى - وكان نظاما معروفا قبل الإسلام - وأراد سبحانه أن يكرم المرأة فلا يترفع أحد عن الزواج من امرأة كانت زوجة لمن هو أقل منه حتى ولو كان مولى له من قبل، فأوحى رب العزة سبحانه وتعالى للرسول (عليه الصلاة والسلام) أنه سيتزوج من زينب ..

ولقد حاول أعداء الدين، من المستشرقين والمبشرين، أن يثيروا غبارا على العصمة النبوية، وأن يرموا بالإفك والبهتان، أطهر وأعف إنسان، فزعموا - زورا وبهتانا - أن الرسول (ﷺ) أحبها وأخذها من زوجها ..

وهى فرية باطلة شكلا وموضوعا، فالرسول (ﷺ) هو الذى زوج زينب لزيد بن حارثة، وهى بنت عمته، ولا تخفى عليه، فقد أراد الله تعالى بزواج الرسول (ﷺ) منها بعد ذلك أن يبطل ظاهرة التبنى، فأوحى رب العزة سبحانه لرسوله أنه سيتزوج من زينب، وكان يخشى كلام الناس فى شأن زواجه فيها فلما اشتد الخلاف بين زيد وزينب، واستأذن زيد رسول الله (ﷺ) فى طلاق زينب، قال له: «أمسك عليك زوجك واتق الله» فعاتبه «الله»؛ لأنه كان يعلم من قبل أن «الله» قضى هذا الأمر، وأنزلت آيات القرآن تبطل التبنى وتأمر الرسول (ﷺ) بالزواج من زينب قال سبحانه:

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[1] ..

- وأما زواجه (ﷺ) من **السيدة «جويرية»** (رضى الله عنها) فكان ذلك عقب غزوة بنى المصطلق ، حيث وقع قومها فى الأسر ، فلما أراد الرسول (ﷺ) أن يعتق المسلمون هؤلاء تزوج بجويرية وكانت من الأسرى وهى بنت كبيرهم وزعيمهم ، فأسرع باقى المسلمين يعتقون ما بأيديهم من الأسرى حيث أصبحوا أصهار رسول الله (ﷺ) فعتق بسببها مائة بيت من بيوت العرب .

- وأما زواجه من السيدة **«أم سلمة»** (رضى الله عنها) فمن أجل أن يقوم برعايتها ورعاية أبنائها بعد موت زوجها فى إحدى الغزوات حيث ترك لها عيالا ، فكان زواجه منها رعاية لها وكفالة لأبنائها وسموًا بمقاصد الزواج

- وأما السيدة **«صفية»** (رضى الله عنها) فقد كان والدها ملك اليهود وفى

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٦ – ٤٠ .

الحروب التى دارت بين المسلمين واليهود مات أبوها وأخوها وزوجها ووقعت السيدة صفية وأختها ضمن أسرى غزوة خيبر ، فتزوجها الرسول (ﷺ) حيث رقّ لحالها وأعتقها.

● وأما زواجه (ﷺ) من **«أم حبيبة»** بنت أبى سفيان بن حرب (رضى الله عنها) ، وكانت مسلمة وهاجرت مع زوجها المسلم إلى الحبشة ثم ارتد زوجها فأرسل النبى (ﷺ) إلى النجاشى ملك الحبشة يوكله فى تزويجه إياها ، فوافقت وتزوجها ؛ تقديرا لها وتكريما وإعزازا ، ولم يتركها فى غربتها بلا عائل ، بعد فراق زوجها .

● وأما زواجه من السيدة **«ميمونة»** (رضى الله عنها) فكان تأليفا لقومها .

وهكذا كان عليه الصلاة والسلام فى كل زواج له حكمة إنسانية وهدف معين ، ولم يكن زواجه من أجل متعة جسدية بدليل أن كثيرات من أمهات المؤمنين كن فى عمر كبير ، ومثلها لا تشتهى ، وإنما للسكن والمودة والرحمة ، وتكريم بعض اللاتى استشهد أزواجهن فأراد تكريمهن وضمهن إلى بيت أمهات المؤمنين ، كما كان لأمهات المؤمنين دور أصيل فى الدعوة الإسلامية وتعليم النساء أحكام الدين والفقه ...

هذا وعدد النساء اللاتى توفى رسول الله (ﷺ) وهن فى عصمته تسع نظمهن الحافظ أبو الحسن بن الفضل المقدسى المتوفى عام أحد عشر وستمائة من الهجرة بمصر ، حيث قال :

توفى رسول الله عن تسع نسوة	**إليهنّ تُعزَى المكرمات وتُنسبُ**
فعائشة ميمونة وصفية	**وحفصة تتلوهن هند وزينب**
جويرية مع رملة ثم سودة	**ثلاث وست كلهنّ مهذب**

حجـة الـــوداع

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : فيما أخرجه الإمام مسلم :

مكث رسول الله (ﷺ) بالمدينة المنورة تسع سنين لم يحج ثم أذن فى الناس فى العاشرة أن رسول الله (ﷺ) حاج ، فقدم المدينة بشر كثير فكلهم يلتمس أن يأتم برسول الله (ﷺ) ويعمل مثل عمله .

وخرج رسول الله (ﷺ) من المدينة لخمس ليال بقين من ذى القعدة ، قال جابر - رضى الله عنه : **فلما استوت به ناقته فى البيداء نظرت إلى مدّ بصرى بين يدى رسول الله (ﷺ) من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله (ﷺ) بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن** . وقد روت السيدة عائشة (رضى الله عنها) إحرام رسول الله (ﷺ) فى حجة الوداع حيث قالت :

خرجنا مع رسول الله (ﷺ) فقال : «من أراد منكم أن يُهل بحج وعمرة فليفعل ، ومن أراد أن يُهل بحج فليُهل ، ومن أراد أن يُهلّ بعمرة فليهل».

قالت السيدة عائشة (رضى الله عنها) : **«فأهَلَّ رسول الله (ﷺ) بحج ، وأهل به ناس معه ، وأهل ناس بالعمرة والحج ، وأهل ناس بعمرة ، وكنت فيمن أهل بعمرة»**[1] .

وكان خروج السيدة عائشة هذا فى حجة الوداع ، وسميت بذلك ؛ لأن النبى (ﷺ) ودع الناس فيها ، وكانت سنة عشر من الهجرة .

وقد أباح الرسول (ﷺ) للمسلمين هذه الأنواع الثلاثة - **الإفراد ، والتمتع ، والقران** - ليوضح للمسلمين جوازها ولو أمر بواحد من هذه الأنواع لظن بعض الناس أنه لا يجوز إلا النوع الذى حدده .

---

(١) رواه مسلم .

وأما إحرامه بالحج مفردا فقد أخذ بالأفضل ؛ وأما ما جاء فى بعض الروايات بأنه كان متمتعا فعلى معنى أنه أمر بالتمتع .

وأما ما روى أنه كان قارنا فهذا إخبار عن حالته الثانية لا عن ابتداء إحرامه .

قال الإمام النووى (رحمه الله تعالى) : **والصحيح أنه (ﷺ) كان أولا مفردا ثم أحرم بالعمرة بعد ذلك وأدخلها على الحج فصار قارنا .**

وطريق الجمع بين الروايات والآراء المختلفة التى يقول بعضها إنه (ﷺ) كان مفردا أو قارنا أو متمتعا ، أنه (ﷺ) كان أولا مفردا ثم صار قارنا ، فمن روى الإفراد هو الأصل ومن نوى القران اعتمد آخر الأمرين ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوى وهو الانتفاع والارتفاق .

ودخل رسول الله (ﷺ) مكة من أعلاها من طريق كداء حتى انتهى إلى باب بنى شيبة ، وقال عندما رأى البيت : «اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من عظّمه ممن حجّه واعتمره تشريفا وتكريما ومهابة وتعظيما وبرًّا» وفى عرفات صلى الظهر والعصر جمع تقديم ووقف حتى غربت الشمس ، ثم دفع بعد ذلك إلى المزدلفة وهو يشير بيده اليمنى قائلا :

«أيها الناس السكينة ، السكينة» فصلى فى المزدلفة المغرب والعشاء جمع تأخير ، وبات تلك الليلة فى المزدلفة ثم دفع قبل أن تطلع الشمس إلى منى ، فرمى جمرة العقبة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها ثم انصرف إلى المنحر ، فنحر ثلاثا وستين بدنة ثم أعطى عليًّا فنحر بقية المائة ، ثم ركب رسول الله (ﷺ) فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر ...

خطبـة الــوداع

وفى يوم عرفة ألقى خطبته الجامعة ، وهى خطبة الوداع وهذا نصها :

قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله (ﷺ) على حجه فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التى بين فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : **«أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا ، أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله إنه لا ربا ، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله . وإن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا فى بنى ليث . فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية ، أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس ، إن النسىء زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا . يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله . فيحلوا ما حرم الله . ويحرموا ما أحل الله . وإن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مصر ، الذى بين جمادى وشعبان ، أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقا ، ولهن**

عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا . فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا . وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله . واستحللتم فروجهن بكلمات الله . فاعقلوا أيها الناس قولى . فإنى قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا . أمرا بينا . كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس . اسمعوا قولى واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم . وأن المسلمين أخوة . فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم . اللهم هل بلغت ؟» ..

فذكر لى الناس قالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله (ﷺ) : «اللهم اشهد» .



الرسول (ﷺ) يلحق بالرفيق الأعلى

عندما أراد «الله» تعالى أن يلحق رسوله (صلوات الله وسلامه عليه) بالرفيق لأعلى ، شاء «الله» تعالى له أن يمرض وكل شيء بإرادة «الله» ، وحتى لا يتخيل بعض الناس أن المرض أذى أو أن فيه غضباً على المريض فها هو أشرف الخلق مرض مرض الموت ، واشتد به مرضه ، وخرج يمشي بين رجلين هما الفضل ابن العباس وعلى بن أبي طالب حتى دخل بيت السيدة عائشة (رضى الله عنها) فقال :

«هريقوا عليّ سبع قرب من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم» فأجلسوه فى مخضب[1] حفصة بنت عمر بن الخطاب ثم صبوا عليه الماء حتى جعل يقول : **«حسبكم حسبكم»** وخرج رسول الله (ﷺ) حتى جلس على المنبر ، وكان أول ما تكلم به ، أنه صلى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم فأكثر الصلاة عليهم ثم قال :

«إن عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا والآخرة ، وبين ما عنده فاختار ما عند الله» ففهمها أبو بكر وعرف أن نفسه يريد ، فبكى وقال : **بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا** ، فقال : **«على رسلك ياأبا بكر»** ، ثم قال : **«انظروا الأبواب – اللافظة –** (أى النافذة) **فى المسجد فسدّوها إلا بيت أبى بكر فإنى لا أعلم أحدا كان أفضل فى الصحبة عندى يدًا منه»**[2] .

ولما رجع الرسول (صلوات الله وسلامه عليه) إلى حجرته ، وثقل به المرض وكان يعانى من آلامه وبُرحائه فقالت فاطمة ابنته : **واكرب أبتاه** فقال : **«لا كرب على أبيك بعد اليوم»**[3] .

---

(١) هو إناء يغتسل فيه .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ٢ ص٥٠٣ ط المنار .

(٣) رواه البخارى .

وقال (ﷺ) : **«مروا أبا بكر فليصل بالناس»** فكان أبو بكر يصلى بهم ، حتى جاء فجر يوم الإثنين الذى شاء الله تعالى فيه أن يلحق الرسول (ﷺ) بالرفيق الأعلى ، فخرج عليه الصلاة والسلام إلى الناس عندما كانوا يصلون الصبح ، فرفع الستر وفتح الباب وقام على باب السيدة عائشة (رضى الله عنها) ، فكاد المسلمون يُفتنون فرحًا برسول الله (ﷺ) ، ظنا أنه قد برأ من مرضه ، فأشار عليهم أن يثبتوا وتبسم سرورا بهم وصلى معهم جالسا على يمين أبى بكر ، ثم دخل – بعد ذلك – الحجرة ، وانصرف الناس ، وذهب أبو بكر ، فلما خرج على بن أبى طالب (رضى الله عنه) من عند رسول الله (ﷺ) ، فقال له الناس : **ياأبا الحسن ، كيف أصبح رسول الله (ﷺ) ؟** فأجابهم قائلا : **أصبح بحمد «الله»** بارئا ثم وضع رأسه فى حجر السيدة عائشة (رضى الله عنها) ، ودخل رجل معه سواك فجعل رسول الله (ﷺ) ينظر إليه ففهمت السيدة عائشة (رضى الله عنها) أنه يريد السواك فليّنته وأعطته إياه ، فاستاك به وثقل رأسه ، فنظرت إليه عائشة ، فإذا بصره شاخص وهو يقول : **«بل الرفيق الأعلى من الجنة»** قالت السيدة عائشة (رضى الله عنها) **فقلت : خيرت ، فاخترت ، والذى بعثك بالحق**[1] وفاضت روحه إلى بارئها .. (صلوات الله وسلامه عليه) .

قال ابن إسحاق : قال الزهرى ، وحدثنى سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : **لما توفى رسول الله (ﷺ) ، قام عمر بن الخطاب** (رضى الله عنه) ، **فقال : إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله (ﷺ) قد توفى ، وإن رسول الله (ﷺ) ما مات ولكنه ذهب إلى ربه ، كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم**

---

(١) سيرة ابن هشام .

بعد أن قيل : قد مات ، وو «الله» ليرجعن رسول الله (ﷺ) كما رجع موسى ، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله (ﷺ) مات .

وأقبل أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) فدخل على رسول الله (ﷺ) وهو مسجى بثوبه ، فكشف عن وجهه الشريف ، فقبله وقال : بأبى أنت وأمى ، طبتَ حيا وميتا يارسول الله ، ثم سجاه .. واستقبل الناس فحمد «الله» وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إن من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد «الله» فإن «الله» حى لا يموت ثم تلا الآية الكريمة :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾[1] .

فكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية قد نزلت قبل ذلك .. وقال عمر (رضى الله عنه) : و «الله» ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعُقرت[2] ما تقلنى رجلاى وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها ، وعرفت أن رسول الله (ﷺ) قد مات فصلوات «الله» وسلامه عليك يا خاتم المرسلين ، ويا من بعثك «الله» رحمة للعالمين .



(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٢) دهشت .

من شمائل رسول الله (ﷺ) ومكارم أخلاقه

إن ثمرة الدراسة التحليلية للسيرة النبوية العطرة ، أن نقف على الحياة النبوية الشريفة ، التى تعتبر السيرة بالنسبة لها تجسيدا حيًّا لحياته (ﷺ) فى جميع أطوارها .

وواضح أن حياة رسول الله (ﷺ) ، قد نقلت جميعها بكل تفاصيلها ، نقلت كلياتها وجزئياتها ، وليس فيها شىء سِرِّى ، ولا أمر خفى .

فحياة الكثير من عظماء البشر فيها جوانب معروفة ، نقلها التاريخ وعرفها الناس وتناقلوها ، وفيها جوانب سرية ، وأمور خفية ، لم يذكرها التاريخ ، ولم يعرف أحد من الناس عنها شيئا ، خاصة الأمور الأسرية ، والأمور التى تتعلق بأسرارهم ، أو التى يمكن أن يتوجه النقد إليهم بسببها ، بل ربما أخفى بعض عظماء التاريخ الكثير من صفحات حياتهم لأنهم يعتبرونها شخصية أو لا يحبون أن يعرفها عنهم أحد ...

أما حياة سيدنا محمد بن عبد الله (عليه أفضل الصلاة والسلام) فقد نقلت بحذافيرها ، وجميع أطوارها ما قبل الرسالة وما بعدها وحياته فى السلم وفى الحرب ، وفى النوم وفى اليقظة ، وفى الأسرة وخارج الأسرة ، وفى الجد وفى غيره .. بل إن الأمور التى تعتبر عند البعض أمورا شخصية وأسرته وخاصة نقلت أيضا عن رسول الله (ﷺ) فلم يعد فيها شىء خفى حتى حياته مع زوجاته ، حتى ما كان يقوله عند معاشرة زوجاته : **«بسم الله اللَّهُمَّ جنِّبْنَا الشيطانَ وجنِّبِ الشيطانَ مارزقتنا»** حتى كيفية قضائه لحاجته ، وكيفية اغتساله ، إلى غير ذلك من الأمور ... وبماذا نُقلت ؟ إنها نقلت بأدق طرق

النقل التى لا تعرف الدنيا لها مثيلا ، حتى إن علماء الحديث النبوى وأرباب الرواية ، ابتكروا علما لم يُسبقوا إليه ، وهو علم : (**مصطلح الحديث**) وزنوا به كل خبر جاءهم عن الرسول (ﷺ) بأدق طرق النقل التى لا تعرف الدنيا لها مثيلا ، وإنما نُقلت كل حياته على هذا النحو ؛ لأنه (ﷺ) خاتم للأنبياء والمرسلين ، فلا نبى بعده ولا رسول ، لأن رسالته عامة وخالدة إلى أن يقوم الناس لرب العالمين ، ولأنه (صلوات الله وسلامه عليه) هو الأسوة الحسنة الذى يُقتدى به فى : قوله ، وفى فعله ، وفى تقريره ، وفى صفاته ، كما قال رب العزة سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1] ...

فرسول الله (ﷺ) هو الأسوة الحسنة المستمرة إلى أن تقوم الساعة ، أكمل «الله» على يديه الدين ، وأتم به النعمة ، كما قال «الله» سبحانه وتعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[2] .

وكان متمما لمكارم الأخلاق التى نادى بها مَنْ قبله من الرسل فجاء كمالها وتمامها على يديه ، كما قال (صلوات الله وسلامه عليه) : «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» .

وكما تحدث الرسول (صلوات الله وسلامه عليه) عن موقفه من إخوانه السابقين ، من الأنبياء والمرسلين حين قال : «**مَثَلِى ومَثَلُ الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأجمله وأحسنه إلا موضع لبنة فى زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟! ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**» .

---

(١) سورة الأحزاب : ٢١ . (٢) سورة المائدة : ٣ .

ومن أجل هذا كله نرى أن «الله» تعالى جمع فى رسوله (صلوات الله وسلامه عليه) جميع الشمائل الحميدة ، والمكارم الفريدة ، وما كان عليه الرسل السابقون من هدايات جمعها «الله» له وقال :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾[1] .

ومن قول الإمام على (كرم الله وجهه) فى وصف شمائل الرسول (ﷺ) :

كان رسول الله (ﷺ) يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ، ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ، ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بِشْرَه وخُلُقَه ، ويتفقّد أصحابه ، ويسأل الناس عما فى الناس . ويحسِّن الحسن ويقويه ، ويقبح القبح ويوهيه ، معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا لكل حال عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه .

وقال الحسين (رضى الله عنه) – فسألته – أى سأل الإمام عليًّا (كرم الله وجهه) عن مجلسه (ﷺ) كيف كان ؟ فقال : كان رسول الله (ﷺ) لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر «الله» تعالى ، ولا يوطن الأماكن ، وينهى عن إيطانها ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذلك ، يعطى كل جلسائه نصيبه ، لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه ، من جالَسَه أو فاوضه فى حاجة صابرة حتى يكون هو المنصرف ..

ومن مكارم أخلاقه ، فى معاملة الناس أنه كان يتغافل عن سفه أهل الباطل ، ويقبل ظواهر أقوالهم ، روى أن جماعة من اليهود استأذنوا على رسول الله (ﷺ) ، فقالوا : **السام عليكم ، فقالت عائشة : بل عليكم السام واللعنة ،** فقال (ﷺ) : **«يا عائشة إن الله يحب الرفق فى الأمر كله» ، قالت : ألم**

(١) سورة الأنعام : (٩٠) .

تسمع ما قالوا ؟ قال : «**قد قلت : وعليكم**»[١] . فهم يقصدون «السام» بمعنى الموت ، فأجرى القول على ظاهره منهم ، وقال فى الجواب : و «عليكم» أى عليهم مثل قولهم ..

● وكان عليه الصلاة والسلام **شديد الحياء** ،عن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه) قال : «**كان رسول الله (ﷺ) أشدَّ حياء من العذراء فى خِدْرها ، فإذا رأى شيئا يكرهُهُ عرفناه فى وجْهِهِ**»[٢] وقد عرف العلماء الحياء بأنه خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصر فى حق ذى الحق .

وهو من أهمّ شعب الإيمان ، ولذا خصه الرسول (ﷺ) بالتنبيه عليه ، عن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شُعْبَة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[٣]

وثمرة الحياء : الخير فى كل ما يأتى الإنسان وفى كل أقواله وأفعاله وأحواله عن عمران بن حصين (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : «**الحياء لايأتى إلا بخَيْر**»[٤] .

● **ومن سمات الوقار والسكينة** أنه كان (صلوات الله وسلامه عليه) إذا ضحك تبسَّم ولا يقهقه ، عن عائشة (رضى الله عنها) قالت : «**ما رأيت رسول الله (ﷺ) مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضاحكا حتى تُرى منه لَهَوَاته ، إنما كان يَتَبَسَّمُ**»[٥] ومَعنى كلمة (مستجمعا) أى يبالغ فى الضحك و «اللهوات» جمع لهاة وهى اللحمة التى فى أقصى سقف الفم .

● ومن مكارم أخلاقه (ﷺ) ما رواه أبو هريرة (رضى الله عنه) قال : «**ما**

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه البخارى ومسلم .
(٥) رواه البخارى ومسلم .

عاب رسول الله (ﷺ) طعامًا قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه»(١) .

• ومن شمائله الكريمة ، ومكارم أخلاقه العظيمة : سخاؤه الكثير ، وجوده الذى فاق الرياح المرسلة ، عن أنس (رضى الله عنه) قال : «ما سُئِلَ رسول الله (ﷺ) على الإسلام شيئا إلا أعطاه ، ولقد جاءه رجلٌ فأعطاه غنمًا بين جَبَلَيْنِ ، فرجع إلى قومِه فقال : ياقوم أسلموا فإن محمدًا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ، وإن كان الرجل ليُسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يلبث إلا يسيرا حتى يكون الإسلام أَحَبَّ إليه من الدنيا وما عليها»(٢) .

وعن عائشة (رضى الله عنها) أنهم ذبحوا شاة ، فقال النبى (ﷺ) : «ما بقى منها ؟» قالت : ما بقى منها إلا كتفها قال : «بقى كلُّها غيرَ كتفها»(٣) .

• ومن مكارم أخلاقه (ﷺ) : حِلْمُه وصَفْحُه ، عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال: كنت أمشى مع رسول الله (ﷺ) وعليه بُرْدٌ نَجْرانيٌّ غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى فَجبذه بردائه جبْذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله (ﷺ) قد أثرت بها حاشية البرد من شدّة جبذته ، ثم قال : يامحمد مُرْ لى من مالِ الله الذى عندك ، فالتفت إليه رسول الله (ﷺ) ثم ضحك ثم أمر له بعطاء(٤) . وهذا الحلم والصفح من أهم العوامل التى أثرت فى قلوب الناس وجعلتهم يلتفون حوله ، فلو كان فظا أو غليظا لانفضُّوا من حوله .

ومن ذلك أيضا : ما رواه ابن مسعود (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : «لا يُبَلِّغنِى أحَدٌ عن أحَدٍ من أصحابى شيئا ، فإنى أحبُّ

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الترمذى . (٤) رواه أحمد والبخارى ومسلم .

أن أخْرُجَ إليهم وأنا سلِيمُ الصَّدْرِ، قال عبد الله : **فأُتِيَ رسول الله (ﷺ) بمال فقسمه ، فانتهيت إلى رجلين جالسين وهما يقولان : والله ما أراد محمد بِقسمته التى قسمها وجه الله ولا الدار الآخرة ، فتثبَّتُّ حين سمعتهما ، فأتيت رسول الله (ﷺ) وأخبرته فاحمرّ وجهه وقال : «دعْنى عنك ، فقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصَبرَ»[1]** . فإذا كان رسول الله (ﷺ) وهو أكمل الخلق ، وأطهر الناس وهو المعصوم ، ومع هذا لا يحب أن يبلغه أحد عن أحد شيئا حتى لا يتأثر بكلام الناس بعضهم عن بعض ، فما بالنا بنا نحن سائر البشر ونحن غير معصومين ، لاشك أن نقل الكلام يُوغر الصدور ويشيع الضغائن ، ويمزق أواصر الود بين الناس .

وهذا التوجيه النبوى إلى جانب هذا يرشد بعض الناس الذين يتلمسون نقائص الناس ، ويتصيدون أخبارهم وزلّاتهم ، وبعض المسئولين يتجسسون على إخوانهم ويحاولون إلْصاق بعض التهم بهم ، يرشدهم هذا التوجيه النبوى إلى البعد عن مثل هذا السلوك بل إن بلغهم البعض شيئا عن الآخرين لا يكون الواحد منهم رجلا أُذُنا يسمع كل ما يقال ، ويصدق كل ما يسمع ، ويتحامل على الآخرين ظلما وعدوانا .. بل حتى لو حدث ما قيل فعليه أن يقتدى برسول الله (ﷺ) الذى قال لمن نَقَل إليه : **«دَعْنى عنك ، فقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر»** .

- **ومن مكارم أخلاقه (ﷺ) : تواضعه** ، فقد كان عليه الصلاة والسلام جمّ التواضع ، عن جرير بن عبد الله (رضى الله عنه) قال : **أُتِيَ النبى (ﷺ) برجل تُرْعِدُ فرائصه ، قال : فقال له : «هَوِّنْ عليك ، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديدَ فى هذه البطحاء»** ثم تلا جرير ابن عبد الله البَجَلى :

---

(١) رواه أحمد وأبو داود .

﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾[١] .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : **«اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة»** فقالت عائشة (رضى الله عنها) : **لِمَ يارسولَ الله ؟!**

قال : **«إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا ، ياعائشة ، لا تردّى المسكين ولو بشق تمرة ، ياعائشة ، أحبى المساكين وقرّبيهم فإن الله يقربك يوم القيامة»**[٢] .

● هذا وإن شمائل رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) ، ومكارم أخلاقه لا تحصى ومحامده لا تستقصى ، ولا أحد يستطيع أن يجمع شمائله ومحامده ، ولا أن يثنى عليه ﷺ بما هو أهله ، بعد أن أثنى عليه رب العزة سبحانه وتعالى فى قوله جل شأنه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٣] .

ورحم الله القائل :

يامصطفى من قبل نشأة آدم ... والكون لم يفتح له إغلاق

أيروم مخلوقٌ ثناءك بعدما ... أثنى على أخلاقك الخلّاق ؟

وخير ما وصفت به أخلاقه وصفا جامعا : ما جاء عن سعد بن هشام ابن عامر أنه أتى السيدة عائشة (رضى الله عنها) يسألها ، فقال : **يأم المؤمنين أنبئينى عن خُلق رسول الله (ﷺ) ؟ قالت : ألستَ تقرأ القرآن ؟ قلتُ : بلى ، قالت : «فإن خلق نبى الله (ﷺ) كان القرآن»**[٤] .

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم والطبرانى فى الأوسط . سورة (ق) : ٤٥ .

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه .

(٣) سورة القلم : ٤ .

(٤) رواه أحمد والحاكم والنسائى وأبو داود .

الرسـول (ﷺ) فـى بيتـه

لقد وصف «الله» تعالى رسوله (صلوات الله وسلامه عليه) بالرأفة والرحمة وهما وصفان عامان وشاملان لجميع الناس للقريب والبعيد من المؤمنين، حيث قال جل شأنه : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[١] .

وركز بعثته للأمة، وحدَّد رسالته إليها فى الرحمة بالعالمين حيث قال جل شأنه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[٢] .

والرحمة بالجميع يدخلَ فيها – دخولا أوليًّا – الرحمة بالأهل والزوجات والأبناء، فكان (صلوات الله وسلامه عليه) رحيما بأهله، طيب العشرة مع أمهات المؤمنين، وسائر الأهل والأقربين ويدعو المسلمين أن يكونوا كذلك مع أهليهم، ويوضح لهم أن حسن معاملة الأهل دلالة على خيريّة الإنسان، فيقول (صلوات الله وسلامه عليه) :
«خيرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلهِ، وأنا خيرُكُمْ لأَهْلِى»[٣] .

ويربط بين كمال الإيمان وحسن الخلق وملاطفة الأهل فيقول صلوات الله وسلامه عليه : **«إنَّ مِنْ أكْمَلِ المؤمنينَ إيمانًا أحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وألطَفُهُمْ بأهْلِهِ»**[٤] .

ومن حسن معاشرته لأهله، ومؤانسته أنه كان يسابق السيدة عائشة (رضى الله عنها)، وقد سابقها مرة فسبقته، حتى إذا مضى وقت، قال لها : **«تعالى أسابقك»**، تقول السيدة عائشة (رضى الله عنها) : **وكنت بدنت وسمنت فسبقنى، وجعل يضحك** (ﷺ) **ويقول : «هذه بتلك»**[٥] وكان بسّاما

---

(١) سورة التوبة : ١٢٨ . (٢) سورة الأنبياء : ١٠٧ .
(٣) رواه الترمذى . (٤) رواه الترمذى .
(٥) رواه أحمد وأبو داود عن عائشة (رضى الله عنها) .

يضفى على بيته الفرح والسرور ، فقد سئلت السيدة عائشة (رضى الله عنها) : **كيف كان (ﷺ) إذا خلا فى بيته ؟** فقالت : **كان ألين الناس بسّاما ضحاكا**[١] .

ويضرب (صلوات الله وسلامه عليه) أروع الأمثلة على حبه لأهله ، وحنانه وعطفه ومساعدته لأهله ، وذلك بأن كان يقوم بمهنة أهله فى تواضع جم ، فلا يترفع على عمل من الأعمال فى بيته ، فيقوم بخدمة نفسه ، ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم ...

عن الأسود (رضى الله عنه) قال : سألت عائشة (رضى الله عنها) : **ما كان النبى (ﷺ) فى أهله ؟**

قالت : **كان فى مهنة أهْلِهِ ، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة**[٢] بل إنه (صلوات الله وسلامه عليه) ، لا يجد حرجا من بعض الأعمال التى يأتيها فى بيته بنفسه ، ربما لا يأتيها بعض الناس ، عن السيدة عائشة (رضى الله عنها) ، أنها سُئِلت : **ما كان رسول الله (ﷺ) يعمل فى بيته ؟** قالت : **كان يخيط ثوبه ، ويخصف نعله ، ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم**[٣] .

وكان عليه الصلاة والسلام وفِيًّا لزوجته السيّدة خديجة (رضى الله عنها) ، فكان يذكرها بالخير والتقدير ، بعد وفاتها ، وكانت السيدة عائشة (رضى الله عنها) تغار منها ، حتى لقد قالتْ له مرة : **هل كانت إلا عجوزا أبدلك الله خيرا منها ؟** فغضب ، وقال : «**لا والله ما أبدلنى الله خيرا منها آمنت بى إذ كَفَر الناسُ ، وصَدَّقَتنِى إذ كذبنى النَّاسُ ، وواسَتْنِى بمالها إذ حَرَمَنى النَّاسُ ، ورَزَقَنى الله منها الولَدَ دون غيرها من النساء**»[٤] ومن وفائه للسيدة

(١) رواه ابن سعد .
(٢) رواه البخارى وأحمد ، والترمذى .
(٣) رواه أحمد ، والبيهقى فى دلائل النبوة .
(٤) رواه البخارى .

خديجة (رضي الله عنها) بعد وفاتها ، أنه كان يكرم صديقاتها ، فكان إذا جاءته هدية قال : **«اذهبوا بها إلى بيت فلانة ، فإنها كانت صديقة لخديجة ، إنها كانت تحب خديجة»** ، وكان (صلوات الله وسلامه عليه) يذبح الشاة فيهديها إلى خلائل خديجة .

ودخلت عليه امرأة فهشَّ لها وأحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال : **«إنها كانت تأتينا أيام خديجة ، وإنَّ كرم العهد من الدين»** .

كما كان وفيًّا لمرضعته حليمة السعدية ، فقد وفدت عليه بعد غزوة حنين ، فلما رآها قال : **«مرحبا بأمي وبسط لها رداءه وأجلسها عليه»** .

وكان (صلوات الله وسلامه عليه) محبا للأبناء والأحفاد ، حانيا عليهم ، رفيقا بهم ورحيما ، ومن رحمته ما رواه أنس (رضي الله عنه) **أن رسول الله (ﷺ) دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله (ﷺ) تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يارسول الله ؟** فقال : **«ياابن عوف إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى فقال : إن العينَ تَدْمَعُ ، والقلبَ يَحْزَنُ ، ولا نقول إلا ما يرضى رَبَّنَا وإنَّا لفراقك ياإبراهيم لمحزونون»**[1] .

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : **قَبَّل رسول الله (ﷺ) الحسن والحسين ابني علي ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي ، فقال الأقرع : إن لي عشرة ما قبلت منهم أحدًا قط ، فنظر إليه رسول الله (ﷺ)** ، ثم قال : **«من لا يَرْحَمْ لا يُرحم»**[2] .

وعن البراء (رضي الله عنه) قال : **رأيت رسول الله (ﷺ) والحسن على عاتقه يقول (ﷺ) : «اللهم إني أُحِبُّه فأحبه»**[3] .

---

(١) رواه البخاري . (٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي .

وكان الحسن والحسين ريحانتيه (ﷺ) يحبها حبا جما ، فهما أحب أهل بيته إليه ، عن أنس (رضى الله عنه) قال : **سئل النبى** (ﷺ) : **أى أهل بيتك أحب إليك ؟** قال : «**الحسن والحسين**»[1] وكان يقول لفاطمة : «**أدعى لى ابنَىَّ» ويضمهما إليه (رضى الله عنهما)** .

وكان (صلوات الله وسلامه عليه) يعاشر زوجاته معاشرة حسنه تتسم بالحلم والصبر وسعة الصدر ، حتى كن يراجعنه الكلام وكانت الوصية بالأهل من آخر ما وصى به الرسول (ﷺ) حيث قال : «**الصلاة الصلاة ، وما ملكَتْ أيمانُكُم لا تكلفوهم مالا يطيقون ، الله الله فى النساء ؛ فإنهنَّ عَوَانٍ** – (أى أسراء) – **فى أيدِيكم ، أخذتُموهن بأمانةِ الله واستحلَلْتُم فروجهن بكلمة الله**»[2] .

وقال الإمام أبو حامد الغزالى (رحمه الله) : **واعلم أنه ليس حسن الخلق معها** – أى المرأة – **كف الأذى عنها ، بل احتمال الأذى منها ، والحلم عند طيشها وغضبها ، اقتداء برسول الله** (ﷺ) ، **فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام ، وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل** .. اهـ . ومن وصاياه : قوله (ﷺ) : «**استوصوا بالنساءِ خيرًا** ...»[3] .

ولقد وضَّح الرسول (صلوات الله وسلامه عليه) أن أفضل النفقة ما كان على الأهل ، حيث قال : «**دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرًا الذى أنفقته على أهلك**»[4] .

ويخبرنا رسولنا (صلوات الله وسلامه عليه) أن اللقمة إذا وضعها الإنسان فى فم زوجته يؤجر عليها .. وقد يكون ذلك للمداعبة وإدخال السرور عليها ،

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه النسائى وابن ماجه .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مسلم .

فقد قال (صلوات الله وسلامه عليه) لسيدنا سعد بن أبى وقاص (رضى الله عنه) : **«وإنَّكَ لن تنفِقَ نفقةً تبتغى بها وجهَ الله إلا أُجرْتَ عليها حتى اللُّقْمَة تضَعُهَا فى فم امرأتك»**[١] ومن ملاطفته وإدخاله السرور على أهله وتسامحه أنه سمح للحبشة يلعبون فى المسجد بالحراب والسيدة عائشة (رضى الله عنها) واقفة خلفه تنظر إليهم ..

قالت السيدة عائشة (رضىَ الله عنها) : سمعت أصوات الناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون ، فقال لى رسول الله (ﷺ) : **«أتحبين أن ترى لعبهم ؟»** قلت : **نعم ، فأرسل إليهم فجاءوا ، وقام رسول الله (ﷺ) بين البابين فوضع كفه على الباب ، ومدّ يده ووضعت دقنى على يده ، وجعلوا يلعبون وأنظر ، وجعل رسول الله (ﷺ) يقول «حسبك» وأقول : اسكت ، مرتين أو ثلاثا** . ثم قال : **«ياعائشة حسبك»** فقلت : **نعم ، فأشار إليهم فانصرفوا**[٢] .

وهكذا نرى حياته (صلوات الله وسلامه عليه) ، تتسم بالرحمة فى كل جوانبها حياته الأسرية ، وحياته فى الخارج ، وصدق «الله» إذ يقول :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[٣] .

صلوات الله وسلامه عليك ياصاحب السيرة العطرة ، وعلى آلك وصحبك أجمعين .

ونضرع إلى «الله» تعالى أن ينفع بهذه السيرة التى تمثل أشرف سيرة فى الوجود .. وأن يغفر لى ولوالدى وللمؤمنين إنه سميع قريب مجيب ، وآخر دعوانا أن الحمد «لله» رب العالمين وصلى «الله» على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه آمين .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

أبو بكر الصديق

رضى الله عنه

أبو بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، اسمه : عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب، القرشى، التيمى، يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرة.

قال النووى[1] فى تهذيبه : وما ذكرناه ـ من أن اسم أبى بكر [الصديق] عبدالله ـ هو الصحيح المشهور، وقيل: اسمه عتيق، والصواب الذى عليه كافة العلماء أن عتيقاً لقب له لا اسم، ولقب عتيقا لعتقه من النار، كما ورد فى حديث رواه الترمذى، وقيل : لعتاقة وجهه ـ أى حسنه وجماله ـ قاله مصعب بن الزبير والليث بن سعد، وجماعة، وقيل : لأنه لم يكن فى نسبه شىء يعاب به.

قال مصعب بن الزبير وغيره : وأجمعت الأمة على تسميته بالصديق؛ لأنه بادر إلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولازم الصدق، فلم تقع منه هناة ما، ولا وقفة فى حال من الأحوال، وكانت له فى الإسلام المواقف الرفيعة منها قصته [يوم] ليلة الإسراء، وثباته، وجوابه للكفار فى ذلك، وهجرته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتركه عياله وأطفاله، وملازمته فى الغار وسائر الطريق، ثم كلامه يوم بدر ويوم الحديبية حين اشتبه على غيره الأمر فى تأخر دخول مكة. ثم بكاؤه حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة [فاختار الآخرة] ثم ثباته يوم وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام وخطبته الناس وتسكينهم، ثم قيامه فى قضية البيعة لمصلحة المسلمين، ثم اهتمامه [وثباته] فى بعث جيش أسامة بن زيد إلى الشام وتصميمه فى ذلك، ثم قيامه فى قتال أهل الردة ومناظرته للصحابة حتى حجهم بالدلائل، وشرح الله صدورهم لما شرح

---

(١) الكلام من هنا إلى آخر ما ذكر المؤلف منقول عن كتاب « تهذيب الأسماء واللغات » للإمام النووى (٢-١٨١ مصر) وقد راجعنا ما هنا على ما هناك.

له صدره من الحق – وهو قتال أهل الردة – ثم تجهيزه الجيوشَ إلى الشام لفتوحه وإمْدَادِهم [بالأمداد] ، ثم ختم ذلك بمهم من أحسن مناقبه وأجل فضائله ، وهو استخلافه على المسلمين عمر رضى الله عنه [وتفَرُّسُه فيه ، ووصيته له ، واستيداعه الله الأمة ، نخلفه الله عز وجل فيهم أحْسَنَ الخلافة ، وظهر لعمر الذى هو حسنة من حسناته وواحدة من فَعَلاَته تمهيد الإسلام ، وإعزاز الدين ، وتصديق وعد الله تعالى بأنه يظهره على الدين كله] ، وكم للصديق من مناقب ومواقف وفضائل لا تحصى ؟ هذا كلام النووى .

وأقول : قد أردت أن أبسط ترجمة الصديق بعض البسط ، ذاكراً فيه جملة كثيرة مما وقفت عليه من حاله ، وأرتِّب ذلك فصولا .

فصـــل

فى اسمـه ، ولقبه

تقدمت الإشارة إلى ذلك . قال ابن كثير : اتفقوا على أن اسمـه عبد الله ابن عثمان ، إلا ماروى ابن سعد عن ابن سيرين أن اسمه عتيق[1] ، والصحيح أنه لقبه . ثم اختلف فى وقت تلقيبه به ، وفى سببه ، فقيل : لعتَاقَة وجهه – أى لجماله – قاله الليث بن سعد ، وأحمد بن حنبـل ، وابن مَعِين ، وغيرهم ، وقال أبو نعيم الفضل بن دكين : لقدمه فى الخير ، وقيل : لعتاقة نسبه – أى : طهارته إذ لم يكن فى نسبه شىء يُعَابُ به – وقيل : سمى به أولا ، ثم سمى بعبد الله . وروى الطبرانى عن القاسم بن محمد أنه سأل عائشة – رضى الله عنها ! – عن اسم أبى بكر ، فقالت : عبد الله ، فقال : إن الناس يقولون عتيق ، قالت : إن

---

(١) العتيق فى اللغة : القديم ، والجميل ، والمحرر بعد الرق ، ومن الأول قالوا لبيت الله الحرام الذى بمكة « البيت العتيق » وتقول : عتق هذا الشىء عتقاً وعتاقة ، تريد أنه قدم .

أبا قُحافه كان له ثلاثة أولاد سماهم : عتيقاً ، ومعتقاً ، ومعيتقاً . وأخرج ابن مَنْده ، وابن عساكر عن موسى بن طلحة ، قال : قلت لأبي طلحة : لم سمي أبو بكر عتيقاً ؟ قال : كانت أمه لا يعيش لها ولد ، فلما ولدته استقبلت به البيت ، ثم قالت : اللهم إن هذا عتيق من الموت فهبه لي . وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال : إنما سمي عتيقاً لحسن وجهه . وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : اسمُ أبي بكر الذي سماه به أهله عبدُ الله ، ولكن غلب عليه اسم عَتِيق ، وفي لفظ : ولكنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سماهُ عتيقاً . وأخرج أبو يعلى في مسنده ، وابن سعد ، والحاكم وصححه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : والله إني لفي بيتي ذاتَ يوم ورسولُ الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه في الفناء والستر بيني وبينهم إذ أقبل أبو بكر ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « من سَرَّه أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر » ، وإن اسمه الذي سماه أهله عبد الله فغلب عليه اسم عتيق . وأخرج الترمذي والحاكم ، عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل على رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال : يا أبا بكر ، أنت عتيق الله من النار ، فمن يومئذ سمي عتيقاً . وأخرج البزار والطبراني ، بسند جيد عن عبد الله بن الزبير ، قال : كان اسم أبي بكر عبد الله ، فقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام « أنت عتيق الله من النار » فسمي عتيقاً .

وأما الصديق فقيل : كان يلقب به في الجاهلية ؛ لما عرف منه من الصدق ذكره ابن مسدي . وقيل : لمبادرته إلى تصديق رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما كان يُخبر به . قال ابن إسحاق عن الحسن البصري وقتادة : وأول ما اشتهر به صبيحة الإسراء . وأخرج الحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : جاء المشركون إلى أبي بكر ، فقالوا : هل لك إلى صاحبك ؟ يزعم أنه أُسْرِيَ به الليلةَ إلى بيت المقدس ، قال : أوَ قَالَ ذلك ؟ قالوا : نعم ، فقال : صدق ، إني لأصدِّقه بأبْعَدَ من ذلك بخبر السماء غدوة وروحة ؛ فلذلك سمي الصديق ، وإسنادهُ جيد ،

وقد ورد ذلك من حديث أنس وأبي هريرة ، أسندها ابن عساكر ، وأم هانيء ، أخرجه الطبراني .

قال سعيد بن منصور في سننه : حدثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة ، قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به فكان بذي طُوًى ، قال : ياجبريل إن قومي لا يصدقوني[1] ، قال : يصدقك أبو بكر ، وهو الصدِّيقُ ، وأخرجه الطبراني في الأوسط موصولا عن أبي وهب عن أبي هريرة .

وأخرج الحاكم في المستدرك عن النَّزَّال بن سَبْرَةَ قال : قلنا لعليّ : ياأمير المؤمنين أخبرنا عن أبي بكر ، قال : ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل ، وعلى لسان محمد ، كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة ، رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا ، إسناده جيد .

وأخرج الدارقطني والحاكم عن أبي يحيى ، قال : لا أُحْصِي كم سمعت عليًّا يقول على المنبر : إن الله سمى أبا بكر على لسان نبيه صِدِّيقًا .

وأخرجه الطبراني بسندٍ جيد صحيح عن حكيم بن سعد قال : سمعت عليًّا يقول ويحلف : لأنزل الله اسم أبي بكر من السماء الصديق .

وفي حديث أُحُد « اسْكُنْ فإنما عليك نبي ، وصديق ، وشهيدان » .

وأم أبي بكر بنتُ عَمِّ أبيه ، اسْمُهَا : سَلْمَى بنت صَخْر بن عامر بن كَعْب ، وتكنى أم الخير ، قاله الزهري ، أخرجه ابن عساكر .

فصل

في مولده ، ومَنْشَئِه

وُلد بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وأشهر ؛ فإنه مات وله ثلاثة وستون سنة .

---

(١) « لا يصدقوني » إن قرأته بتخفيف النون مكسورة كان فيه حذف نون الرفع لاجتماعها مع نون الوقاية ، وهو أحد ثلاثة أوجه ، وثانيها الجمع بينهما مع الفك ، وثالثها إدغامها

قال ابن كثير : وأما ماأخرجه خليفة بن الخياط ، عن يزيد بن الأصم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر : أنا أكبر أو أنت؟ قال : أنت أكبر وأنا أسَنُّ منك، فهو مرسل غريب جداً ، والمشهور خلافه ، وإنما صح ذلك عن العبّاس .

وكان منشؤهُ بمكة ، لا يخرج منها إلا لتجارة ، وكان ذا مال جزيل في قومه ، ومروّة تامة ، وإحسان ، وتفضّل فيهم ، كما قال ابن الدُّغُنَّة(١) : إنك لتَصِلُ الرحم ، وتصدق الحديث ، وتكسب المعدوم [وتحمل الكَلّ] وتعين على نوائب الدهر ، وتَقْرِي الضيف .

قال النووي : وكان من رؤساء قريش في الجاهلية، وأهل مشاورتهم ، ومحبباً فيهم ، وأعلم لمعالمهم ، فلما جاء الإسلام آثره على ما سواه، ودخل فيه أكمل دخول .

وأخرج الزبير بن بكار وابن عساكر عن معروف بن خربوذ قال : إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أحدُ عَشَرةٍ من قريش اتصل بهم شرفُ الجاهلية والإسلام ؛ فكان إليه أمر الدِّيَاتِ والغرم ، وذلك أن قريشاً لم يكن لهم ملك ترجع الأمور كلها إليه ، بل كان في كل قبيلة ولاية عامة تكون لرئيسها ، فكانت في بني هاشم السقاية ، والرِّفَادة ، ومعنى ذلك أنه لا يأكل ولا يشرب أحد إلا من طعامهم وشرابهم . وكانت في بني عبد الدار : الحجابة ، واللواء ، والنَّدْوة - أي : لا يدخل البيتَ أحد إلا بإذنهم ، وإذا عقدت قريش راية حرب عقدها لهم بنو عبد الدار ، وإذا اجتمعوا لأمرٍ إبراماً أو نقضاً لا يكون اجتماعهم إلا بدار النَّدْوة ، ولا ينفذ إلا بها ، وكانت لبني عبد الدار .

فصــــل

كان أبو بكر رضي الله عنه أعَفّ الناس في الجاهلية

أخرج ابن عساكر بسندٍ صحيحٍ عن عائشة رضي الله عنها قالت: والله ما قال أبو بكر

(١) قال له ذلك حين شاهده خارجاً من مكة يريد الهجرة إلى الحبشة ، فرده وجعله في جواره ، وانظر سيرة ابن هشام .

شعراً قطُّ في جاهلية ولا إسلام ، ولقد ترك هو وعثمان شُرْبَ الخمر في الجاهلية .

وأخرج أبو نُعَيْم بسندٍ جيدٍ عنها ، قالت : لقد كان حرَّم أبو بكر الخمر على نفسه في الجاهلية .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن الزبير قال : ماقال أبو بكر شعراً قط .

وأخرج ابن عساكر عن أبي العالية الرياحيِّ ، قال : قيل لأبي بكر الصديق في مجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل شربت الخمر في الجاهلية؟ فقال : أعوذ بالله ، فقيل : ولم ؟ قال : كنت أصُونُ عِرْضِي ، وأحفظ مروءتي ، فإن مَنْ شرب الخمر كان مضيعاً في عرضه ومروءته ، قال : فبلغ ذلك رسولَ الله عليه الصلاة والسلام ، فقال : صدق أبو بكر ، صدق أبو بكر ، مرتين ، مُرْسَل غريب سنداً ومتناً .

فصـــل

في صفته رضي الله عنه

أخرج ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قال لها : صفي لنا أبا بكر ، فقالت : رجل أبيض ، نحيف ، خفيف العارضَيْن ، أجْنَأ[1] ، لا يستمسك إزارُهُ يسترخي عن حِقْويه[2] ، مَعْرُوق الوجه[3] ، غائر العينين ، ناتىء الجبهة ، عاري الأشاجع[4] هذه صفته

وأخرج عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر كان يخضب بالحناء والكَتَم[5] .

وأخرج عن أنس قال : قدم رسول الله عليه الصلاة والسلام المدينةَ وليس في أصحابه أشْمطُ غير أبي بكر ، فلفها بالحناء والكَتَمِ[5] .

---

(١) الأجنأ : الذي في ظهره انحناء يسير .

(٢) الحقو - بالكسر - الكشح : والحقوان : تثنيته .

(٣) معروق الوجه : لحم وجهه قليل

(٤) الأشاجع : أصول الأصابع ، واحدها أشجع .

(٥) الأشمط : الأشيب ، ولفها ، سترها ، وأراد شيبته ، والكتم ، بفتح الكاف والتاء جميعاً - نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر ، وإذا غليت أصوله كان منه حبر

فصـــل

فى إسلامه رضى الله عنه

- أخرج الترمذى وابن حِبَّان فى صحيحه عن أبى سعيد الخُدْرِىّ قال : قال أبو بكر : أَلَسْتُ أحقَّ الناس بها ؟ أى الخلافة ، ألست أول من أسلم ؟ ألست صاحب كذا ؟ ألست صاحب كذا ؟

وأخرج ابن عساكر من طريق الحارث عن علىّ رضى الله عنه ، قال : أول من أسلم من الرجال أبو بكر .

وأخرج ابنُ أبى خَيْثَمة بسند صحيح عن زيد بن أرْقَمَ قال : أول من صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق .

وأخرج ابن سعد عن أبى أرْوَى الدَّوْسِى الصحابى رضى الله عنه ، قال : أول من أسلم أبو بكر الصديق .

وأخرج الطبرانى فى الكبير ، وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد ، عن الشعبى ، قال : سألت ابن عباس : أىُّ الناس كان أوّل إسلاماً ؟ قال : أبو بكر الصديق ، ألم تسمع قول حسان :

إذا تذكَّرْتَ شَجْواً من أخى ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعَلاَ
خير البرية ، أتقاها وأعدلها ، ... إلا النبىّ ، وأوفاها بما حَمَلاَ
والثانىَ التالىَ المحمودَ مشهدُه ... وأوّل الناس منهم صدَّق الرُّسُلاَ

وأخرج أبو نعيم عن فُرَات عن السائب قال : سألت ميمون بن مهران ؛ قلت : علىّ أفضل عندك أم أبو بكر وعمر ؟ قال : فارتعد[1] حتى سقطت عصاه من يده ، ثم قال : ما كنت أظن أن أبقى إلى زمان يعدل بهما ، لله درُّهما ! كانا رأسَ الإسلام . قلت : فأبو بكر كان أول إسلاماً أم علىّ ؟ قال : والله لقدآمن أبو بكر بالنبى صلى الله عليه وسلم زمن بَحِيرًا الراهب[2] حين مرَّ به ، واختَلَف فيما

(١) ارتعد : ارتجفت أعضاؤه ورعش جسمه .

(٢) بحيرا : رجل من رهبان النصارى ، رأى النبى صلى الله عليه وسلم حين خرج مع عمه فى تجارة أهل مكة إلى الشام فبشر بنبوته .

بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه ، وذلك كله قبل أن يولد عليّ .

وقد قال «إنه أول مَنْ أسلم» خلائقُ من الصحابة والتابعين وغيرهم ، بل ادعى بعضهم الإجماع عليه . وقيل : أول من أسلم عليٌّ ، وقيل : خديجة . وجُمِع بين الأقوال بأن أبا بكر أول من أسلم من الرجال ، وعليّ أول من أسلم من الصبيان ، وخديجة أول من أسلمت من النساء ، وأول من ذكر هذا الجمع الإمامُ أبو حنيفة رحمه الله ، أخرجه عنه .

وأخرج ابن أبي شيبة وابن عساكر ، عن سالم بن أبي الجَعْدِ ، قال : قلت لمحمد بن الحنفيَّةِ : هل كان أبو بكر أوّلَ القوم إسلاماً ؟ قال : لا ، قلت : فبِمَ علا أبو بكر وسَبَقَ حتى لا يذكر أحد غير أبي بكر ؟ قال : لأنه كان أفضلهم إسلاماً [مِنْ] حين أسلم حتى لحق بربه .

وأخرج ابن عساكر بسند جيد عن محمد بن سعد بن أبي وَقَّاص أنه قال لأبيه سعد : أكان أبو بكر الصديق أوّلكم إسلاماً ؟ قال : لا ، ولكنه أسلم قبله أكثر من خمسة ، ولكن كان خَيْرَنا إسلاماً .

قال ابن كثير : والظاهر أن أهل بيته صلى الله عليه وسلم آمنوا قبل كلّ أحد : زوجته خديجة ، ومولاه زيد ، وزوجةُ زيدٍ أمُّ أيْمَن ، وعليّ ، وورقة ، انتهى .

وأخرج ابن عساكر عن عيسى بن يزيد ، قال : قال أبو بكر الصديق : كنتُ جالساً بفناء الكعبة ، وكان زيد بن عمرو بن نُفَيْل قاعداً ، فمرّ به أمية ابن أبي الصَّلْتِ ، فقال : كيف أصبحت ياباغيَ الخير ؟ قال : بخير ، قال : وهل وجدت ؟ قال : لا ، فقال :

كلُّ دينٍ يومَ القيــامة إلا   ماقَضَى الله في الحقيقة بُورُ[1]

أما إن هذا النبي الذي يُنْتَظَر منا أو منكم ، قال : ولم أكن سمعتُ قبل ذلك بِنَبِيّ ينتظر ويبعث ، قال : فخرجت إلى وَرَقَةَ بن نَوْفَل ، وكان كثير النظر

(١) كذا ، ولعله « في الحنيفة » والبور : الهالك الباطل ، وهو خبر « كل » ، وفي الديوان : كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور .

إلى السماء ، كثير هَمْهَمَة الصدر ، فاستوقفته ، ثم قصصت عليه الحديث ، فقال:
نعم ياابن أخى ، إنَّا أهلُ الكتب والعلوم ، إلا أن هذا النبيّ الذى ينتظر من
أوْسَطِ العرب نسباً - ولى علم بالنسب - وقومك أوسط العرب نسباً . قلت: ياعم
وما يقول النبيّ ؟ قال : يقول ماقيل له ، إلا أنه لايَظلم ، ولا يُظلَم ، ولا يَظَّالم.
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت به وصدقته .

وقال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن الحصين التميمى .
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مادعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت
له عنه كَبْوَة وتردُّد ونظر ، إلا أبا بكر ، ماعتَّم عنه حين ذكرته ، وماتردد
فيه - عتم : أى تَلَبَّثَ .

قال البيهقى : وهذا لأنه كان يرى دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم،
ويسمع آثاره قبل دعوته ، فحين دعاه كان قد سَبَق له فيه تفكر ونظر ، فأسلم
فى الحال ؛ ثم أخرج عن أبى ميسرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا
برز سمع مَنْ يُنَاديه : يامحمد ، فإذا سمع الصوت وَلَّى هارباً ، فأسَرَّ ذلك إلى أبى
بكر ، وكان صديقاً له فى الجاهلية » .

وأخرج أبو نُعيم وابن عساكر ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « ما كلمت فى الإسلام أحداً إلا أبى على ، وراجعنى الكلام ،
إلا ابن أبى قُحافة ، فإنى لم أكلمه فى شىء إلا قبله واستقام عليه » .

وأخرج البخارى عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« هل أنتم تاركون لى صاحبي[1] ؟ « هل أنتم تاركون لى صاحبي » ، إنى قلت:

(١) الحديث فى البخارى ، ويروى النحاة هذا الحديث (هل أنتم تاركو لى صاحبى) بحذف النون ، ويذكرون أن النون قد تحذف للتخفيف وإن لم تكن إضافة ، ونظير ذلك قول الشاعر :

الحافظو عورة العشيرة ، لا يأتيهم من ورائهم وطف

بحذف النون من (الحافظو) ونصب (عورة العشيرة) .

أيها الناس ، إنى رسول الله إليكم جميعاً ، فقلتم : كَذَبْتَ ، وقال أبو بكر : صَدَقْتَ »

فصـــل

فى صحبته ، ومَشَاهده

قال العلماء : صحب أبو بكر النبي عليه الصلاة والسلام من حين أسلم إلى حين توفى ، لم يفارقه سَفَراً ولا حضراً ، إلا فيما أذن له عليه الصلاة والسلام فى الخروج فيه من حج وغَزْوٍ ، وشهد معه المشاهد كلها ، وهاجر معه ، وترك عياله وأولاده رغبةً فى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو رفيقه فى الغار ، قال تعالى : (ثانى اثنين إذ هُمَا فى الغارِ ؛ إذْ يقول لِصاحِبه لاتَحْزَن إنَّ اللهَ مَعَنَا) ، وقام بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير موضع ، وله الآثار الجميلة فى المشاهدِ ، وثَبَتَ يوم أُحُد ويوم حُنَيْن ، وقد فرَّ الناسُ ، كما سيأتى فى فصل شجاعته .

أخرج ابن عساكر عن أبى هريرة قال : تباشرت الملائكة يوم بَدْر ، فقالوا : أما ترَوْن الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ؟

وأخرج أبو يعلى ، والحاكم ، وأحمد ، عن عليّ قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ولأبى بكر : « مع أحدكما جبريل ، ومع الآخر ميكائيل » .

وأخرج ابن عساكر عن ابن سيرين أن عبد الرحمن بن أبى بكر كان يوم بَدْر مع المشركين ، فلما أسلم قال لأبيه : لقد أَهْدَفْتَ لى يوم بدر ، فانصَرَفْتُ عنك ولم أقتلك ، فقال أبو بكر : لكنك لو أهْدَفْتَ لى لم أنصرف عنك .

قال ابن قتيبة : معنى أهدفت أشْرَفْتَ ، ومنه قيل للبناء المرتفع : هدف .

فصـــل

فى شجاعته ، وأنه أشْجَعُ الصحابة رضى الله عنه !

أخرج البزار فى مسنده عن عليّ أنه قال : أخبرونى مَنْ أشْجَعُ الناس ؟ فقالوا : أنت ، قال : أما إنى مابارزت أحداً إلا انتصفت منه ، ولكن أخبرونى بأشجع

الناس ؟ قالوا : لانعلم ، فَمَنْ ؟ قال : أبو بكر ، إنه لما كان يوم بدر ، فجعلنا لرسول الله عليه الصلاة والسلام عريشاً، فقلنا : مَنْ يكون مع رسول الله عليه الصلاة والسلام لئلا يهوى إليه أحد من المشركين ؟ فوالله مادنا منَّا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله عليه الصلاة والسلام ، لايهوى إليه أحد إلا هَوَى إليه ؛ فهو أشجع الناس ، قال علىٌّ رضى الله عنه : ولقد رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام وأخذته قريش ، فذا يَجْبَأه[1] ، وهذا يُتَلْتِلُه[2] ، وهم يقولون : أنت الذى جعلت الآلهة إلهاً واحداً ؟ قال : فوالله مادنا منَّا أحد إلا أبو بكر : يضرب هذا ، ويجأ هذا ، ويتلتل هذا ، وهو يقول : ويلكم ! أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ، ثم رفع علىٌّ بردة كانت عليه ، فبكى حتى اخْضَلَّتْ لحيته ، ثم قال : أنشدكم الله ، أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر ؟ فسكت القوم ، فقال : ألا تجيبونَنِى ؟ فوالله لساعة من أبى بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكتم إيمانه ، وهذا رجل أعلَنَ إيمانه .

وأخرج البخارى عن عُرْوة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ماصنع المشركون برسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال : رأيت عُقْبة بن أبى مُعَيط جاء إلى النبى عليه الصلاة والسلام وهو يصلى ، فوضع رداءَهُ فى عنقه ، فخنقه به خَنْقاً شديداً ، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه ، فقال : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ .

وأخرج الهيثم بن كليب فى مسنده عن أبى بكر ، قال : لما كان يوم أُحد انصرف الناس كلهم عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فكنت أول من فَاءَ[3] ، وسيأتى تتمةُ الحديثِ فى مسند مارواه .

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : لما اجتمع أصحاب

(١) جبأه يجبؤه — من باب فتح — أى فجأه وبغته .

(٢) تلتله : حركه وقلقله وزعزعه من مكانه وزلزله (٣) فاء : رجع .

النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ، ألحَّ أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور ، فقال : يا أبا بكر ، إنا قليل ، فلم يزل أبو بكر يُلِحُّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرّق المسلمون في نواحي المسجد ، كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ، فكان أولَ خطيبٍ دعا إلى الله وإلى رسوله ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين ، وضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ، وسيأتي تتمة الحديث في ترجمة عمر رضي الله عنه .

وأخرج ابن عساكر عن عليّ رضي الله عنه قال : لمّا أسلم أبو بكر أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

فصـــل

في إنفاقِه مالَهُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه أجوَدُ الصحابة

قال الله تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأتْقَى ، الذي يؤتي ماله يَتَزَكَّى ﴾ إلى آخر السورة . قال ابن الجوزي : أجمعوا على أنها نزلت في أبي بكر .

وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما نفعني مالٌ قط ما نفعني مالُ أبي بكر » فبكى أبو بكر ، وقال : هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله ؟ .

وأخرج أبو يَعْلَى من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً مثله .

قال ابن كثير : وروى أيضاً من حديث عليّ ، وابن عباس ، وأنس ، وجابر بن عبد الله ، وأبي سعيد الخُدْري . رضي الله عنهم ! وأخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلا . وزاد : « وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يَقضِي في مال أبي بكر كما يَقضِي في مال نفسه » .

وأخرج ابن عساكر من طرق عن عائشة رضى الله عنها ، وعروة بن الزبير « أن أبا بكر رضى الله عنه أسلم يوم أسلم وله أربعون ألف دينار - وفى لفظ : أربعون ألف درهم - فأنفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وأخرج أبو سعيد بن الأعرابى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: أسلم أبو بكر رضى الله عنه يوم أسلم وفى منزله أربعون ألف درهم ؛ فخرج إلى المدينة فى الهجرة وماله غير خمسة آلاف ، كل ذلك ينفقه فى الرقاب[1] والعون على الإسلام .

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر أعتق سبعة كلهم يعذب فى الله .

وأخرج ابن شاهين فى السنة ، والبغوى فى تفسيره ، وابن عساكر عن ابن عمر قال : « كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم ، وعنده أبو بكر الصديق ، وعليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال ، فنزل عليه جبريل عليه السلام ، فقال : يا محمد ، مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال؟ فقال: ياجبريل أنفق ماله علىّ قبل الفتح ، قال : فإن الله تعالى يقرأ عليه السلام ، ويقول : قل له : أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط ؟ فقال أبو بكر : أسخط على ربى ؟ أنا عن ربى راض ، أنا عن ربى راض ، أنا عن ربى راض » . غريب ، وسنده ضعيف جداً .

وأخرج أبو نعيم عن أبى هريرة وابن مسعود مثله ، وسندهما ضعيف أيضاً .

وأخرج ابن عساكر نحوه من حديث ابن عباس .

وأخرج الخطيب بسند واهٍ أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : هبط علىّ جبريل عليه السلام وعليه طنفسة[2] وهو متخلل بها ، فقلت له : ياجبريل ماهذا ؟ قال : إن الله تعالى أمر الملائكة أن تتخلل فى السماء كتخلل أبى بكر فى الأرض .

---

(١) فى الرقاب : أى فى عتق الضعفاء الذين أسلموا وهم تحت يد الكفار .

(٢) الطنفسة - بكسر الطاء والفاء وسكون النون بينهما - الثوب أو البساط .

قال ابن كثير : وهذا منكر جداً ، وقال : ولولا أن هذا والذى قبله يتداوله كثيرٌ من الناس لكان الإعراض عنهما أولى .

وأخرج أبو داود والترمذى ، عن عمر بن الخطاب ، قال : «أمرنا رسول الله عليه الصلاة والسلام أن نتصدق ، فوافق ذلك مالا عندى ، قلت : اليوم أسبق أبا بكر - إنْ سبقته يوماً [1] - فجئت بنصف مالى ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : ما أبقيْتَ لأهلك ؟ قلت : مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال : يا أبا بكر ما أبقيْتَ لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، فقلت : لا أسبقه فى شيء أبداً » . قال الترمذى [هذا حديث] حسن صحيح .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن الحسن البصرى : أن أبا بكر أتى النبى صلى الله عليه وسلم بصدقته فأخفاها ، فقال : يا رسول الله هذه صدقتى ولله عندى مَعَادٌ ، وجاء عمر بصدقته فأظهرها ، فقال : يا رسول الله هذه صدقتى ولى عند الله مَعَادٌ ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ما بين صدقتيكما كما بين كلمتيكما » إسناده جيد لكنه مرسل .

وأخرج الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ما لأحد عندنا يَدٌ إلا وقد كافأناه ، إلا أبا بكر ، فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة ، وما نفعنى مال أحد قَطُّ ما نفعنى مالُ أبى بكر »

وأخرج البزار عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : جئت بأبى قُحافة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « هَلاَّ تركت الشيخ حتى آتيه ، قال : بل هو أحق أن يأتيك ، قال : إنا نحفظه لأيادى [2] ابنه عندنا » .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ما أحد عندى أعظم يداً من أبى بكر ، وَاسانِى بنفسه وماله ، وأنكحنى ابنته » .

---

(١) (إن) هنا نافية ، يريد ما سبقته .

(٢) الأيادى : جمع الأيدى التى هى جمع اليد ، والمراد بها النعمة .

فصــل

فى علمه ، وأنه أعلم الصحابة ، وأذكاهم

قال النووى فى تهذيبه ، ومن خطه نقلت : استدلّ أصحابنا على عظم عِلْمه بقوله — رضى الله عنه ؟ — فى الحديث الثابت فى الصحيحين : والله لأقاتلنّ مَنْ فرق بين الصلاة والزكاة ، والله لو منعونى عِقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ، واستدل الشيخ أبو إسحاق بهذا وغيره فى طبقاته على أنّ أبا بكر الصديق رضى الله عنه أعْلَمُ الصحابة ؛ لأنهم كلهم وَقَفُوا عن فهم الحكم فى المسألة إلاهو ، ثم ظهر لهم بمُبَاحثته لهم أن قوله هو الصواب ، فرجعوا إليه .

وروينا عن ابن عمر أنه سئل : مَنْ كان يُفتِى الناس فى زمن رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ فقال : أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، ما أعلم غيرهما .

وأخرج الشيخان عن أبى سعيد الخدرى قال : خطب رسولُ الله عليه الصلاة والسلام الناسَ وقال : إن الله تبارك وتعالى خَيَّرَ عبداً بين الدنيا وبين ماعنده ، فاختار ذلك العبد ماعندالله تعالى ، فبكى أبو بكر وقال : نَفْدِيكَ بآبائنا وأمهاتنا ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عبد خُيِّرَ ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن من أمَنّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذاً خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر ، ولكن أُخُوَّة الإسلام ومودّته ، لا يبقَيَنَّ بابٌ إلا سُدَّ إلا باب أبى بكر » هذا كلام النووى(1) .

وقال ابن كثير : كان الصديق رضى الله عنه أقرأ الصحابة ــ أى أعلمهم بالقرآن ــ لأنه عليه الصلاة والسلام قَدَّمه إماماً للصلاة بالصحابة رضى الله عنه مع قوله : « يؤمُّ القومَ أقرؤهم لكتاب الله » .

وأخرج الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « لا ينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمَّهم غيره » .

(1) انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووى (٢/١٩٠) .

وكان – مع ذلك – أعلمهم بالسنة ، كما رجع إليه الصحابةُ في غير موضع يبرّزُ عليهم بنقل سنن عن النبي صلى الله عليه وسلم ، يحفظها هو ويستحضرها عند الحاجة إليها ، ليست عندهم ، وكيف لا يكون كذلك وقد واظبَ على صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام من أول البعثة إلى الوفاة ؟ وهو مع ذلك من أذكى عباد الله وأعقلهم ، وإنما لم يُرْوَ عنه من الأحاديث المسندة إلا القليل لقصر مدته[1] ، وسُرْعة وفاته بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلاّ فلو طالت مدته لكثر ذلك عنه جداً ، ولم يترك الناقلون عنه حديثاً إلا نقلوه ، ولكن كان الذين في زمانه من الصحابة لا يحتاج أحد منهم أن ينقل عنه ما قد شاركه هو في روايته ؛ فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم .

وأخرج أبو القاسم البغوى عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر إذا ورَدَ عليه الخصم نظر في كتاب الله ، فإن وجد فيه ما يقضى به بينهم قضى به ، وإن لم يكن في الكتاب وعَلِمَ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الأمر سنةً قضى بها ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أتانى كذا وكذا ، فهل علمتم أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع إليه النفرُ كلهم يذكر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فيه قضاء ، فيقول أبو بكر : الحمد لله الذى جعل فينا من يحفظ عن نبينا ، فإن أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام جَمَعَ رءوسَ الناس وخيارهم فاستشارهم ، فإن أجمع أمرهم على رأى قضى به .

وكان عمر رضى الله عنه يفعل ذلك ، فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر : هل كان لأبى بكر فيه قضاء ؟ فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به ، وإلا دعا رءوسَ المسلمين ، فإذا اجتمعوا على أمر قضى به .

وكان الصديق – رضى الله عنه ! – مع ذلك – أعلم الناس بأنساب العرب ، لاسيما

---

(١) ومع قصر مدته فقد كان مشغولا أعظم الشغل بحروب المرتدين من العرب ومانعى الزكاة ، ذلك مع أنه كان على ثقة من أن بين الصحابة من يقوم مقامه في فتيا الناس

قريش ، أخرج ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن شيخ من الأنصار قال : كان جُبَير بن مُطعِم من أنسَبِ قريش لقريش والعرب قاطبة ، وكان يقول : [إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق ، وكان أبو بكر الصديق من أنسَبِ العرب .

وكان الصديق مع ذلك غايةً في علم تأويل الرؤيا ، وقد كان يَعْبُرُ الرؤيا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال محمد بن سيرين ـ وهو المُقَدَّمُ في هذا العلم بالاتفاق كان أبو بكر أعْبَرَ هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، أخرجه ابن سعد .

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس وابن عساكر عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أمرت أن أُوَوِّل الرؤيا [وأن أُعَلِّمها] أبا بكر » .

قال ابن كثير : وكان من أفصح الناس وأخطبهم ، قال الزبير بن بكار : سمعت بعض أهل العلم يقول : أفصح خطباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنهما ! وسيأتي في حديث السقيفة قولُ عمر رضي الله عنه : وكان من أعلم الناس بالله وأخوفهم ، له وسيأتي من كلامه في ذلك وفي تعبير الرؤيا ومن خطبه جملة في فصل مستقل .

ومن الدلائل على أنه أعْلَمُ الصحابة حديثُ صلح الحديبية حيث سأل عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك الصلح ، وقال : علام نُعْطِي الدَّنِيَّةَ[1] في ديننا ؟ فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ذهب إلى بكر فسأله عما سأل رسول الله عليه الصلاة والسلام [فأجابه كما أجابه النبي عليه الصلاة والسلام][2] سواء بسواء ؛ أخرجه البخاري وغيره .

وكان مع ذلك أسَدَّ الصحابة رأياً وأكملهم عقلا ، أخرج تمام الرازي في فوائده وابن عساكر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : « أتاني جبريل فقال : إن الله يأمرك أن تستشير أبا بكر » وأخرج

(١) الدنية : أصلها ؛ الدنيئة ، خففت الهمزة فصارت ياء ثم أدغمت الياء في الياء ، وهي صفة لموصوف محذوف : أي الخصلة الدنيئة . ومعناها الخصلة الخسيسة الوضيعة . (٢) زيادة يقتضيها السياق ، ووجدتها كذلك في الخطية الموثقة

الطبرانى وأبو نعيم وغيرهما عن معاذ بن جبل « أن النبى عليه الصلاة والسلام لما أراد أن يسرح معاذاً إلى اليمن استشار ناساً من أصحابه فيهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وأسيد بن حُضَير ، فتكلم القوم كلٌّ إنسان برأيه ، فقال : ما ترى يا معاذ ؟ قال : أرى ما قال أبو بكر ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام : « إن الله يكره فوق سمائه أن يُخَطَّأ أبو بكر » . ورواه ابن أبى أسامة فى مسنده « إن الله يكره فى السماء أن يخطأ أبو بكر الصديق فى الأرض » وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن سَهْل بن سَعْد الساعِدِىّ قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن الله يكره أن يخطأ أبو بكر » رجاله ثقات .

فصـــل

قال النووى فى تهذيبه : الصِّدِّيقُ أحد الصحابة الذين حفظوا القرآن كله ، وذكر هذا أيضاً جماعة منهم ابن كثير فى تفسيره ، وأما حديث أنس « جَمَع القرآن فى عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام أربعةٌ » فمراده من الأنصار كما أوضحته فى كتاب الإتقان ، وأما ما أخرجه ابن أبى داود عن الشعبى قال : مات أبو بكر الصديق رضى الله عنه ولم يجمع القرآن كله ، فهو مدفوع ، أو مؤول على أن المراد جمعه فى المصحف على الترتيب الذى صنعه عثمان رضى الله عنه .

فصـــل

فى أنه أفضل الصحابة وخيرهم

أجمع أهل السنة أن أفضل الناس ـ بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام ـ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على ، ثم سائر العشرة ، ثم باقى أهل بدر ، ثم باقى أهل أُحُدٍ ، ثم باقى أهل[1] البَيْعَة ، ثم باقى الصحابة ؛ هكذا حكى الإجماع عليه أبو منصور البغدادى .

(١) يريد الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان ، تحت الشجرة ، وذلك فى يوم الحديبية كما هو مفصل فى كتب السيرة .

وروى البخارى عن ابن عمر قال : كنا نُخَيِّر بين الناس فى زمان رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فنخير أبا بكر ، ثم عمر [بن الخطاب] ، ثم عثمان [ابن عفان رضى الله عنهم] ، رواه الطبرانى فى الكبير ، فيعلم بذلك النبى عليه الصلاة والسلام ، ولا ينكره .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر قال : « كنا وَفِينَا رسول الله عليه الصلاة والسلام نفضِّلُ أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليا » .

وأخرج ابن عساكر عن أبى هريرة قال : كنا معاشر أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ـ ونحن متوافرون ـ نقول : أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نسكت .

وأخرج الترمذى عن جابر بن عبد الله قال: قال عمر لأبى بكر : ياخير الناس بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال أبو بكر : أما إنك إن قلت ذلك فلقد سمعته يقول : ماطلعت الشمس على رجل خير من عمر .

وأخرج البخارى عن محمد بن على بن أبى طالب قال : قلت لأبى : أى الناس خير بعد النبى عليه الصلاة والسلام ؟ قال : أبو بكر ، قلت : ثم من؟ قال : عمر ، وخشيت أن يقول عثمان فقلت : ثم أنت ؟ قال : ماأنا إلا رجل من المسلمين .

وأخرج أحمد وغيره عن على قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، وعمر ، قال الذهبى : هذا متواتر عن على ، فلعن الله الرافضة ماأجْهَلَهم .

وأخرج الترمذى والحاكم عن عمر بن الخطاب قال : أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى النبى عليه الصلاة والسلام .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن عمر صعد المنبر ثم قال: ألا إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، فمن قال غير هذا فهو مُفْتَرٍ[1] ، عليه

(١) المفترى ، فى اللغة : الكاذب الذى يختلق الكلام ، وقد وقع فى لسان الشرع بمعنى القاذف لغيره ، والقاذف يحد بضربه ثمانين جلده .

ما على المفترى ، وأخرج أيضاً عن ابن أبى ليلى قال : قال على : لا يُفَضِّلُنى أحد على أبى بكر وعمر إلا جلدته حَدَّ المُفْتَرى .

وأخرج عبد الرحمن بن حميد فى مسنده وأبو نعيم وغيرهما من طرق عن أبى الدَّرْدَاء « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ماطلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبى بكر ، إلا أن يكون نبى » وفى لفظ « على أحد من المسلمين بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر » .

وقد ورد أيضاً من حديث جابر ، ولفظه « ماطلعت الشمس على أحد منكم أفضل منه » أخرجه الطبرانى وغيره ، وله شواهد من وجوه أخَرَ تَقْضى له بالصحة أو الحسن ، وقد أشار ابن كثير إلى الحكم بصحته .

وأخرج الطبرانى عن سلمة بن الأكْوَعِ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أبو بكر الصديق خير الناس ، إلا أن يكون نبى » وفى الأوسط عن سعد ابن زرارة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رُوحَ القدُس جبريل أخبرنى أن خير أمتك بعدك أبو بكر » .

وأخرج الشيخان عن عمرو بن العاص قال : قلت يارسول الله ، أى الناس أحَبُّ إليك ؟ قال : عائشة ، قلت : من الرجال ؟ قال : أبوها ، قلت : ثم مَنْ ؟ قال : ثم عمر بن الخطاب ؟ وقد ورد هذا الحديث بدون « ثم عمر » فى رواية أنس وابن عمرو وابن عباس .

وأخرج الترمذى والنسائى والحاكم عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لعائشة : أىُّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحَبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : أبو بكر ، قلت : ثم مَنْ ؟ قالت : ثم عمر ، قلت : ثم من ؟ قالت : أبو عبيدة بن الجراح .

وأخرج الترمذى وغيره عن أنس قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام

لأبى بكر وعمر : هذان سَيِّدَا كُهُولِ [1] أهل الجنة من الأولين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين » وأخرج مثله عن على .

وفى الباب عن ابن عباس ، وابن عمر ، وأبى سعيد الخُدْرِىّ ، وجابر بن عبد الله .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن عمار بن ياسر قال : مَنْ فَضَّلَ على أبى بكر وعمر أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أزْرَى على المهاجرين والأنصار .

وأخرج ابن سعد عن الزهرى قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام لحسان بن ثابت : هل قلت فى أبى بكر شيئاً ؟ قال : نعم ، فقال : قُل وأنا أسمع ، فقال :

وثانىَ اثنين فى الغار المنيف وقد   طاف العدوُّ به إذ صَعَّدَ الجَبَلاَ

وكان حِبَّ رسول الله قد علموا   من البرية لم يَعْدِلْ به رجلا

فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نَوَاجِذُهُ [2] ، ثم قال : صدقت يا حسان هو كما قلت .

فصـــل

قال أحمد والترمذى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « أَرْحَمُ أمتى بأمتى أبو بكر ، وأَشَدُّهم فى أمر الله عمر ، وأَصْدَقُهم حياء عثمان ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وأفْرَضُهُم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أُبَىُّ بن كعب ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » ، وأخرجه أبو يعلى من حديث ابن عمر ، وزاد فيه « وأقضاهم علىّ » وأخرجه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث شداد بن أوس ، وزاد « وأبو ذر أزْهَدُ أمتى وأصدقها وأبو الدرداء أعْبَدُ أمتى وأتقاها ، ومعاوية بن أبى سفيان أحْلَمُ أمتى وأجودها » .

---

(١) الكهول : جمع كهل ، وهو الرجل الذى وخطه الشيب ، أو هو الذى بلغ أربعاً وثلاثين سنة .

(٢) النواجذ : جمع ناجذ ، وهو أقصى الأضراس فى الفم ، وذلك كناية عن أنه فتح فمه فى الضحك ، والمراد أنه ضحك ضحكا بالغاً .

وقد سئل شيخنا العلامة الكافيجى عن هذه التفضيلات: هل تنافى التفضيل السابق؟ فأجاب بأنه لامُنافاةَ.

فصـــل

فيما أنزل من الآيات فى مدحه، أو تصديقه، أو أمْر من شأنه.

أعلم أنى رأيت لبعضهم كتاباً فى أسماء مَنْ نزل فيهم القرآن غير مُحَرَّر، ولا مستوعب، وقد ألّفت فى ذلك كتاباً حافلا مستوعباً محرّراً، وأنا ألخص هنا مايتعلق منه بالصديق رضى الله عنه:

قال تعالى: (ثَانِىَ اثنين إذ هما فى الغَارِ، إذ يقُولُ لِصَاحِبِهِ: لاتَحْزَنْ إنَّ الله مَعنا، فأنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عليهِ) أجمع المسلمون على أن الصاحب المذكور أبو بكر، وسيأتى فيه أثر عنه.

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله تعالى: (فأنزل الله سكينته عليه) قال: على أبى بكر؛ إن النبى عليه الصلاة والسلام لم تزل السكينة عليه[1].

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن مسعود أن أبا بكر اشترى بلالا من أمية ابن خَلَفٍ، وأبى بن خلفٍ، ببُرْدة وعشر أوَاقٍ، فأعتقه لله، فأنزل الله: (واللَّيْلِ إذا يَغْشى) إلى قوله: (إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) سعى أبى بكر، وأمية، وأبىّ.

وأخرج ابن جرير عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: كان أبو بكر يُعْتِقُ على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال أبوه: أى بُنَىَّ، أراك تُعْتِقُ أناساً ضعافاً، فلو أنك تعتق رجالا جلداً يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك؟ قال: أى أبَتِ، أنا أريد ماعند الله، قال: فحدثنى بعض أهل بيتى أن هذه الآية نزلت فيه ﴿ فأمّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقَى ﴾ إلى آخرها.

(١) يريد أن الضمير فى (عليه) يرجع إلى أبى بكر ألبتة، ولايجوز أن يرجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنه صلوات الله عليه لم تتخل عنه السكينة وقتاً ما حتى يقال عنه (فأنزل الله سكينته عليه).

وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني عن عُرْوة أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أعتق سبعة كلهم يعذَّب في الله، وفيه نزلت (وسَيُجنبها الأتقى) إلى آخر السورة

وأخرج البزار عن عبد الله بن الزُّبير قال : نزلت هذه الآية (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) إلى آخر السورة في أبي بكر الصديق ، رضى الله عنه .

وأخرج البخاري عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر لم يكن يَحْنَثُ في يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين .

وأخرج البزار وابن عساكر عن أسيد بن صَفْوان ـ وكانت له صحبة ـ قال: قال عليّ : (والذى جاء بالحق) محمد (وصدق به) أبو بكر الصِّدِّيق ، قال ابن عساكر : هكذا الرواية (بالحق) ولعلها قراءة لعلى .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس في قوله تعالى : (وشاورهم في الأمر) قال: نزلت في أبي بكر وعمر .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شَوْذب قال : نزلت (ولمن خاف مقام ربه جَنَّتَانِ) في أبي بكر رضى الله عنه، وله طرق أخرى ذكرتها في أسباب النزول.

وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر وابن عباس في قوله تعالى : (وصالح المؤمنين) قال : نزلت في أبي بكر وعمر .

وأخرج عبد الله بن أبي حميد في تفسيره عن مجاهد قال : لما نزلت (إن الله وملائكته يصلون على النبي) قال أبو بكر : يارسول الله ، ما أنزل الله عليك خيراً إلا أشركنا فيه، فنزلت هذه الآية (هو الذى يصلى عليكم وملائكته).

وأخرج ابن عساكر عن على بن الحسين أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعلى (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين) .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عيينة قال: عاتب الله المسلمين كلهم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أبا بكر وحده؛ فإنه خرج من المعاتبة، ثم قرأ (إلا تنصروه فقد نصره الله ؛ إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار) .

فصل

فى الأحاديث الواردة فى فضله مقروناً بعمر ، سوى ماتقدم

أخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بَيْنَا رَاعٍ فى غنمه عَدَا عليه الذئبُ فأخذ منها شاة، فطلبه الراعى ، فالتفت إليه الذئب فقال : مَنْ لها يوم السبع يوم لا راعى لها غيرى ؟ وبينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتَتْ إليه فكلّمَتْهُ، فقالت : إنى لم أُخْلَقْ لهذا ، ولكنى خلقت للحَرْثِ، قال الناس : سبحان الله بقرة تتكلم ؟ ! قال النبى صلى الله عليه وسلم : فإنى أومِنُ بذلك وأبو بكر وعمر، وماثَمَّ أبو بكر وعمر» أى لم يكونا فى المجلس ، شهد لهما بالإيمان بذلك لعلمه بكمال إيمانهما .

وأخرج الترمذى عن أبى سعيد الخُدْرِى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مامن نبى إلا وله وزيرانِ من أهل السماء ووزيرانِ من أهل الأرض؛ فأما وزيرايَ من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيرايَ من أهل الأرض فأبو بكر وعمر » .

وأخرج أصحاب السنن وغيرهم عن سعيد بن زيد قال : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: « أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة ، وعثمان فى الجنة، وعلىّ فى الجنة » وذكر تمام العَشَرة .

... أبى سعيد قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

وأخرج الترمذى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس، فيهم أبو بكر وعمر ، فلا يرفع إليه أحد منهم بصره ، إلا أبو بكر وعمر ؛ فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسّمان إليه ويتبسّم إليهما » .

وأخرج الترمذى والحاكم عن ابن عمر أن رسول الله عليه الصلاة والسلام « خرج ذات يوم فدخل المسجد ، وأبو بكر وعمر أحَدُهما عن يمينه والآخَرُ عن شماله ، وهو آخذ بأيديهما ، وقال : « هكذا نُبْعَثُ يوم القيامة » وأخرجه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة .

وأخرج الترمذى والحاكم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا أول من تنشقُّ عنه الأرضُ ؛ ثم أبو بكر ، ثم عمر » .

وأخرج الترمذى والحاكم وصححه عن عبد الله بن حنطب أن النبى عليه الصلاة والسلام رأى أبا بكر وعمر فقال : « هذان السَّمْعُ والبَصَرُ » . وأخرجه الطبرانى من حديث ابن عمر وابن عمرو .

وأخرج البزار والحاكم عن أبى أَرْوى الدَّوْسى ، قال كنت عند النبى عليه الصلاة والسلام [جالساً] فأقبل أبو بكر وعمر ، فقال : « الحمد لله الذى أيَّدَنى بكما » . وورد أيضاً من حديث البَرَاء بن عازب ، أخرجه الطبرانى فى الأوسط .

وأخرج أبو يَعْلَىٰ عن عَمَّار بن ياسر قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « أتانى جبريلُ آنفاً ، فقلت : ياجبريل ، حدثنى بفضائل عمر بن الخطاب ، فقال : لو حدثتك بفضائل عمر منذ[1] مالبث نوحٌ فى قومه ما نَفِدَتْ فضائل عمر ، وإنَّ عُمَرَ حسنة من حسنات أبى بكر » .

وأخرج أحمد عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال لأبى بكر وعمر : « لو اجتمعتما فى مَشُورة ماخالفتكما » وأخرجه الطبرانى من حديث البَرَاء بن عازب .

(١) لعله (مدة مالبث نوح) أى ٩٥٠ عاماً .

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أنه سُئِل : مَنْ كان يُفتى فى زمن رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ فقال : « أبو بكر وعمر ، ولا أعلم غيرهما » .

وأخرج عن القاسم بن محمد قال : كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلىٌّ يُفْتُونَ فى عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « إن لكل نبى خاصَّةً من أمته ، وإن خاصتى من أصحابى أبو بكر وعمر » .

وأخرج ابن عساكر عن علىّ قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « رحم الله أبا بكر ! زَوَّجنى ابنته ، وحَمَلنى إلى دار الهجرة ، وأعتق بلالا . رحم الله عمر ! يقول الحق وإن كان مُرًّا ، تَرَكه الحق وماله من صديق . رحم الله عثمان ! تَستحييه الملائكة . رحم الله عليًّا ! اللهمّ أدِرِ الحقّ معهُ حيثُ دار »

وأخرج الطبرانى عن سهل رضى الله عنه قال : لما قدم النبى عليه الصلاة والسلام من حَجَّة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: « أيها الناس، إن أبا بكر لم يَسُؤْنِى قطُّ ، فاعرفوا له ذلك ، أيها الناس ، إنى راضٍ عنه ، وعن عمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، والمهاجرين الأوَّلين ، فاعرفوا ذلك لهم » .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن ابن أبى حازم قال : جاء رجل إلى علىٍّ بن الحسن ، فقال : ما كان منزلةُ أبى بكر وعمر من رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ قال : كمنزلتهما منه الساعة .

وأخرج ابن سعد عن بسطام بن مسلم قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لأبى بكر وعمر : « لايتأمَّرْ عليكما أحَدٌ بعدى[1] » .

(١) يؤخذ من هذا الحديث أن أبا بكر يكون خليفة رسول الله ، ثم يكون عمر خليفة أبى بكر ، وانظر ص ٦١ .

وأخرج ابن عساكر عن أنس مرفوعاً : « حبُّ أبي بكر وعمر إيمـ ـ ، وبُغْضُهما كفر » .

وأخرج عن ابن مسعود قال : حب أبي بكر وعمر ومعرفتهما من السُّنَّةِ .

وأخرج عن أنس مرفوعاً : « إني لأرجو لأمتي في حبهم لأبي بكر وعمر ماأرجو لهم في قول : لا إِلَهَ إلا الله » .

فصـــل

في الأحاديث الواردة في فضله وَحْده ، سوى ماتقدم

أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ أَنْفَق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دُعِيَ من أبواب الجنة : ياعبد الله هذا خير ؛ فمن كان من أهل الصـلاة دُعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريَّانِ » فقال أبو بكر : ماعلى من يُدْعَى من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يُدْعَى منها كلها أحد يارسول الله ؟ قال : « نعم ، فأرجو أن تـكون منهم ياأبا بكر » .

وأخرج أبو داود والحاكم وصححه عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : أما إنك يا أبا بكر أولُ من يدخل الجنة من أمتي » .

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسـول الله عليه الصلاة والسلام : « إن من أَمَنِّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذاً خليلا غَيْرَ ربي لاتخذْتُ أبا بكر خليلا ، ولـكن أخوة الإسلام » .

وقد ورد هذا الحديث من رواية ابن عباس ، وابن الزبير ، وابن مسعود ، وجندب بن عبد الله ، والبراء ، وكعب بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، وأنس ،

وأبى واقد الليثى ، وأبى المعلى ، وعائشة ، وأبى هريرة ، وابن عمر - رضى الله عنهم - وقد سَرَدْتُ طرقهم فى الأحاديث المتواترة .

وأخرج البخارى عن أبى الدرداء قال : كنت جالساً عند النبى عليه الصلاة والسلام إذ أقبل أبو بكر فسلم ، وقال : إنه كان بينى وبين عمر بن الخطاب شىء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لى ، فأبى علىّ ، فأقبلت إليك ، فقال : يغفر الله لك يا أبا بكر ، ثلاثاً ، ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبى بكر فلم يجده ، فأتى النبىّ عليه الصلاة والسلام ، فجعل وجه النبى عليه الصلاة والسلام يتمعّرُ حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه ، فقال : يارسول الله ، والله أنا كنت أظلم منه ، مرتين . فقال النبى عليه الصلاة والسلام : « إن الله بَعَثَنِى إليكم فقلتم كَذَبْتَ وقال أبو بكر صَدَقْتَ ، وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركون لى صاحبى ؟ » مرتين . فما أوذِىَ بعدها .

وأخرج ابن عدىّ من حديث ابن عمر رضى الله عنه نحوه ، وفيه « فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : لاتؤذونى فى صاحبى ؛ فإن الله بَعَثَنِى بالهدى ودين الحق ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت ، ولولا أن الله سماه صاحباً لاتخذته خليلا ، ولكن أخوة الإسلام » .

وأخرج ابن عساكر عن المقدام قال : اُسْتَبَّ عَقِيلُ بن أبى طالب وأبو بكر ، قال : وكان أبو بكر نسّاباً ، غير أنه تَحَرَّجَ من قرابته من النبى عليه الصلاة والسلام فأعرض عنه وشكا إلى النبى عليه الصلاة والسلام ، فقام رسول الله عليه الصلاة والسلام فى الناس ، فقال : « ألا تَدَعُونَ لى صاحبى ؟ ماشأنكم وماشأنه ؟ فوالله مامنكم رجلٌ إلا على بَاب بيته ظُلْمة ، إلا باب أبى بكر ، فإن على بابه النور ، فوالله لقد قلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت ، وأمسكتم الأموال وجاد لى بماله ، وخَذَلْتمونى وواسانى واتبعنى » .

وأخرج البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « مَنْ جرّ ثَوْبَهُ خُيَلَاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » فقال أبو بكر : إن أحَدَ شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك [منه] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك لَسْتَ تصنع ذلك خُيَلَاء ».

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «مَنْ أصبح منكم اليوم صائماً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن تبع منكم جنَازة ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن عاد اليوم منكم مريضاً ؟ قال أبو بكر : أنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مااجتمعن في امرىء إلاّ دَخَلَ الجنة » .

وقد ورد هذا الحديث من رواية أنس بن مالك ، وعبدالرحمن بن أبي بكر ، فحديث أنس أخرجه البيهقي في الأصل ، وفي آخره «وَجَبَتْ لك الجنة» وحديث عبدالرحمن أخرجه البزار ، ولفظه «صَلَّى رسولُ الله عليه الصلاة والسلام صلاة الصبح ثم أقبل على أصحابه بوجهه ، فقال : من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ فقال عمر : يارسول الله لم أحدث نفسي بالصوم البارحة فأصبحت مُفْطِراً ، فقال أبو بكر : ولكني حدثت نفسي بالصوم البارحة فأصبحت صائماً ، فقال : هل أحد منكم اليوم عاد مريضا ؟ فقال عمر : يارسول الله لم نبرح فكيف نعود المريض ؟ فقال أبو بكر : بَلَغَني أن أخي عبد الرحمن بن عوف شاكٍ فجعلت طريقي عليه لأنظر كيف أصبح ، فقال : هل منكم أحد أطعم اليوم مسكيناً ؟ فقال عمر : صلينا يارسول الله ولم نبرح ، فقال أبو بكر : دَخَلْتُ المسجد فإذا سائل فوجدت كسرة من خبز الشعير في يد عبد الرحمن فأخذتها ودفعتها إليه ، فقال : أنت فأبشر بالجنة ، ثم قال كلمة أرْضَى بها عمر ، وزَعَمَ عمر أنه لم يُردخيراً قَطُّ إلا سَبَقَه إليه أبو بكر » .

وأخرج أبو يعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنت في المسجد أصلي ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر ، فوجدني أدعو ، فقال:

سَلْ تُعْطَه ، ثم قال : « مَنْ أحب أن يقرأ القرآن غضًّا طريًّا فليقرأ بقراءة ابن أم عبد » فرجعت إلى منزلى ، فأتانى أبو بكر فبَشَّرَنى ، ثم أتى عمر فوجد أبا بكر خارجاً قد سبقه ، فقال : « إنك لَسَبَّاقٌ بالخير » .

وأخرج أحمد بسندٍ حَسَن عن ربيعة الأسلَمى رضى الله عنه ، قال : جرى بينى وبين أبى بكر كلام ، فقال لى كلمة كرهتها ، وندم فقال لى : يا ربيعة رُدَّ على مثلها حتى يكون قِصَاصاً ، قلت : لا أفعل ، قال : [أبو بكر] لتقولَنَّ أو لأستعدِيَنَّ عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ما أنا بفاعل ، فانطلق أبو بكر [رضى الله عنه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وانطلقت أتْلُوه] وجاء أناس من أسْلَمَ فقالوا لى : رحم الله أبا بكر ! فى أى شىء يستعدى عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى قال لك ما قال ؟ فقلت : أتدرون مَنْ هذا ؟ [هذا] أبو بكر الصديق ، هذا ثانى اثنين ، وهذا ذو شَيْبَة المسلمين ، إياكم لا يلتفت فيراكم تنصرون عليه فيغضب ، فيأتى رسول الله عليه الصلاة والسلام فيغضب لغضبه ، فيغضب الله (عز وجل) لغضبهما ، فيهلك ربيعة [قالوا : ما تأمرنا ؟ قال: ارجعوا] وانطلق أبو بكر (رضى الله عنه) وتبعته وَحْدِى ، حتى أتى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، لحدثه الحديث كما كان ، فرفع إلىَّ رأسه فقال : يا ربيعة مالك والصديق؟ فقلتُ : يا رسول الله كان كذا وكذا ، فقال لى كلمة كرهتها ، فقال لى : قل كما قُلْتُ حتى يكون قصاصاً ، فأبيت ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : أجلْ ! لا تردُّ عليه ، ولكن قل : غفر الله لك يا أبا بكر ، فقلت : غفر الله لك يا أبا بكر [قال الحسن : فولّى أبو بكر رضى الله عنه وهو يبكى] » .

وأخرج الترمذى – وحسَّنه – عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر : « أنت صاحبى على الحوْض ، وصاحبى فى الغار » .

وأخرج عبد الله بن أحمد رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « أبو بكر صاحبى وَمُؤْنسى فى الغار » إسناده حسن .

وأخرج البيهقى عن حُذَيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن فى الجنة طَيْرًا كأمثال البَخَاتِىِّ ، قال أبو بكر : إنها لناعمة يا رسول الله ، قال : أنعَمُ منها مَنْ يأكلها ، وأنت ممن يأكلها » ، وقد ورد هذا الحديث من رواية أنس .

وأخرج أبو يعلى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « عُرِجَ بى إلى السماء ، فما مَرَرْتُ بسماء إلا وجدت فيها اسمى محمد رسول الله وأبو بكر الصديق خَلْفِى » إسناده ضعيف ، ولكنه ورد أيضاً من حديث ابن عباس ، وابن عمر ، وأنس ، وأبى سعيد ، وأبى الدرداء ، رضى الله عنهم ! بأسانيد ضعيفة يشدُّ بعضُها بعضا .

وأخرج ابن أبى حاتم وأبو نُعَيْم عن سعيد بن جُبَيْر رضى الله عنه قال : قرأت عند النبى صلى الله عليه وسلم : (يا أيتها النفس المطمئنة) فقال أبو بكر : يارسول الله إن هذا لحسن ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « أما إنَّ المَلَك سيقولها لك عند الموت » .

وأخرج ابن أبى حاتم عن عامر بن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه قال : لما نزلت (ولو أنا كتبنا عليهم أنِ اقتُلُوا أنفسكم) الآية ، قال أبو بكر : يارسول الله لو أمرتَنِى أن أقتل نفسى لفعلت ، فقال : « صدقت » .

وأخرج أبو القاسم البغوى : حدثنا داود بن عمر ، حدثنا عبد الجبار بن الورد عن ابن أبى مُلَيْكة ، قال : دخل رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه غَدِيراً فقال : ليسبح كل رجل إلى صاحبه ، قال : فسبح كل رجل ، حتى بقى رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبو بكر ، فسبح رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى أبى بكر

حتى أعتنقه»، وقال: «لو كنت متخذاً خليلاً حتى ألقى الله لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكنه صاحبي». تابَعَهُ وكيع عن عبدالجبار بن الورد، أخرجه ابن عساكر، وعبدُ الجبار ثقة، وشيخه ابن أبي مُلَيْكة إمامٌ، إلا أنه مرسل، وهو غريب جداً.

قلت: أخرجه الطبراني في الكبير، وابن شاهين في السنة من وجهٍ آخر موصولا عن ابن عباس.

وأخرج ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق، وابن عساكر من طريق صَدَقَةَ ابن ميمون القرشي عن سليمان بن يَسَار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خصال الخير ثلثمائة وستون خَصْلَةً، إذا أراد الله بعبدٍ خيراً جعل فيه خصلة منها يدخل بها الجنة» قال أبو بكر: يارسول الله أفيَّ شيء منها؟ قال: نعم جمعا من كل».

وأخرج ابن عساكر من طريق أخرى، عن صَدَقَةَ القرشي، عن رجل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خصال الخير ثلثمائة وستون» فقال فقال أبو بكر: يارسول الله، لي منها شيء؟ قال «كلها فيك، فهنيئاً لك يا أبا بكر».

وأخرج ابن عساكر من طريق مجمع بن يعقوب الأنصاري عن أبيه قال: إن كانت حلقة النبي صلى الله عليه وسلم لتشتبك حتى تصير كالأسوار، وإن مجلس أبي بكر منها لفارغ، مايطمع فيه أحد من الناس، فإذا جاء أبو بكر جلس ذلك المجلسَ، وأقبل عليه النبيُّ عليه الصلاة والسلام بوجهه، وألقى إليه حديثه، وسمع الناس.

وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «حُبُّ أبي بكر وشكره واجبٌ على كل أمتي».

وأخرج مثله في حديث سهل بن سعد.

وأخرج عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً «الناسُ كلهم يحاسَبُونَ

فصـــل

فيما ورد من كلام الصحابة والسلف الصالح في فضله

أخرج البخاري عن جابر رضي الله عنه ، قال : قال عمر بن الخطاب : أبو بكر سيدنا .

وأخرج البيهقي في شُعَب الإيمان عن عمر رضي الله عنه ، قال : لو وُزِنَ إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرَجَحَ بهم .

وأخرج ابن أبي خَيْثَمة ، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ، عن عمر رضي الله عنه قال : إن أبا بكر كان سابقاً مُبَرِّزاً .

وقال عمر : لوددت أني شعرة في صدر أبي بكر ، أخرجه مُسَدَّد في مسنده.

وقال : وددت أني من الجنة حيث أرى أبا بكر ، أخرجه ابن أبي الدنيا ، وابن عساكر .

وقال : لقد كان ريحُ أبي بكر أطْيَبَ من ريح المسك ، أخرجه أبو نعيم .

وأخرج ابن عساكر عن عليّ أنه دخل على أبي بكر وهو مُسَجًّى، فقال : ما أحَدٌ لقي الله بصحيفة أحب إليَّ من هذا المسجَّى .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « حدثني عمر بن الخطاب أنه ماسَبَق[1] أبا بكر إلى خير قَط إلا سَبَقَه به » .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن علي قال : والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قَط إلا سَبَقَنَا إليه أبو بكر .

وأخرج في الأوسط أيضاً عن جحيفة ، قال : قال عليّ : خيرُ الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر، لايجتمع حُبِّي وبغض أبي بكر وعمر في قلب مؤمن .

وأخرج في الكبير عن ابن عمر [illegible]

---

(1) لعل الأصل « ماسابق أبا بكر - إلخ » .

[illegible] قال : [illegible]
[illegible] وجدنا أبا بكر لها أهلا .

فصـــل

فى مبايعته رضى الله عنه

روى الشيخان أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطب الناس مرجِعَهُ من الحج ، فقال فى خطبته : قد بلغنى أن فلانا منكم يقول : لو مات عمر بايعت فلاناً فلا يغترنَّ امرؤ أن يقول: إن بيعة أبى بكر كانت فَلْتَةً [وتمت] ألا وإنها قد كانت كذلك ، إلا أن الله وَقَى شَرَّها ، وليس فيكم اليوم من تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر ، وإنه كان من خيرنا حين توفى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وإن علياً والزبير ، ومَنْ معهما تخلَّفُوا فى بيت فاطمة ، وتخلفت الأنصار عنَّا بأجمعها فى سقيفة بنى ساعدة ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر فقلت له : ياأبابكر ، انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ،فانطلقنا نؤمهم حتى لقيَنَا رجلان صالحان فذكرا لنا الذى صنع القوم ،فقالا : أين تريدون يامعشر المهاجرين ؟ قلت : نريد إخواننا من الأنصار فقالا :لاعليكم ألا تقربوهم واقضُوا أمركم يامعشر المهاجرين ، فقلت : والله لنأتينهم فانطلقنا حتى جئناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا هم مجتمعون ، وإذا بين ظهرانيهم رجل مُزَمَّل ، فقلت :مَنْ هذا ؟ قالوا : سعد بن عُبادة : فقلت: ماله ؟ قالوا : وَجِع ، فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ،وقال : أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا ، وقد دَفَّتْ دَافَّةٌ منكم تريدون أن تختزلونا من أصلنا وتغصبونا من الأمر[1]. فلما سكت أردت أن أتكلم وقد كنت زَوَّرْتُ[2] مقالةً أعجبتنى أردت أن أقولها بين يَدَىْ أبى بكر ، وقد كنت أدارى منه بعض الحد ، وهو كان أحلَمَ منى وأوْقَرَ ، فقال أبو بكر : على رِسْلِكَ

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٤/٣٣٨ .

(٢) زورت مقالة : أعددتها فى نفسى ورأوت فيها .

فكرهت أن أغضبه ، وكان أعلم منى ، والله ماترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلا قال فى بداهته [مثلها] وأفضل [منها] حتى سكت ، فقال : أما بعد فماذكرتم فيكم من خير فأنتم أهله ، ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين [فبايعوا] أيهما شئتم ، فأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح [وهو جالس بيننا] فلم أكره مما قال غيرها ، وكان والله أن أقدَّمَ فتضربَ عنقى لا يقرّبنى ذلك من إثم أحبُّ إلى من أن أتأمّرَ على قوم فيهم أبو بكر ، فقال قائل من الأنصار : أنا جُذَيْلُها المحكَّكُ وعُذَيْقُها المرجَّبُ ، منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش ، وكثر اللغط وارتفعت الأصوات ، حتى خشيت الاختلاف ، فقلت : أبْسُطْ يدك ياأبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته وبايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، أما والله ماوجدنا فيما حضرنا أمراً هو أوفق من مبايعة أبى بكر ، خشينا إن فارقْنا القومَ ، ولم تكن بيعة ، أن يحدثوا بعدنا بيعة ، فإما أن نبايعهم على مالا نَرْضى ، وإما أن نخالفهم فيكون فيه فساد .

وأخرج النسائى وأبو يعلى والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، فأتاهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : يامعشر الأنصار ، ألستم تعلمون أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد أمرَ أبا بكر أن يؤمّ الناس ؟ فأيكم تَطِيبُ نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟ فقالت الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر .

وأخرج ابن سعد والحاكم والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى ، قال : قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام واجتمع الناس فى دار سعد بن عُبادة وفيهم أبو بكر وعمر ، فقام خطباء الأنصار ، فجعل الرجل منهم يقول : يامعشر المهاجرين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استعمل رجلا منكم قَرَنَ معه رجلا منا ، فنرى أن يلى هذا الأمر رجلان منا ومنكم ، فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك ،

فقام زيد بن ثابت فقال : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ، ونحن كنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ، ثم أخذ بيد أبى بكر فقال : هذا صاحبكم فبايعه عمر ، ثم بايعه المهاجرون والأنصار ، وصعد أبو بكر المنبر ، فنظر فى وجوه القوم ، فلم ير الزبير ، فدعا بالزبير فجاء ، فقال : قُلْتَ ابن عمة رسول الله عليه الصلاة والسلام وحَوَاريُّهُ أردت أن تشق عصا المسلمين ، فقال : لاتثريب ياخليفة رسول الله ، فقام فبايعه ، ثم نظر فى وجوه القوم فلم يَرَ عليا فدعابه فجاء، فقال : قلتَ ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وختَنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين ، فقال : لاتثريب ياخليفةَ رسول الله ، فبايعه .

وقال ابن إسحاق فى السيرة : حدثنى الزهرى قال: حدثنى أنس بن مالك ، قال : لما بويعَ أبو بكر فى السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحبِ رسول الله وثانى اثنين إذهما فى الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة ، ثم تكلم أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس فإنى قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ، الصِّدْق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوىٌّ عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لايدع قومٌ الجهادَ فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قَطُّ إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

وأخرج موسى بن عقبة فى مَغَازيه والحاكم وصححه من عبد الرحمن بن عوف قال : خطب أبو بكر ، فقال : والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط، ولا كنت راغباً فيها ، ولا سألتها الله فى سر ولا علانية، ولكنى أشفقت من الفتنة ،

ومالى فى الإمارة من راحة ، لقد قُلِّدت أمراً عظيماً مالى به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله ، فقال على والزبير : ما غضبنا إلا لأنا أُخِّرْنا عن المشورة ، وإنا نرى أبا بكر أحَقَّ الناس بها ، إنه لصاحب الغار ، وإنا لنعرف شَرَفَهُ وخيره ، ولقد أمره رسول الله عليه الصلاة والسلام بالصلاة بالناس وهو حَيٌّ .

وأخرج ابن سعد عن إبراهيم التيمى قال : لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتى عمر أبا عُبَيْدَةَ بن الجراح فقال : ابْسُطْ يدك لأبايعك؛ إنك أمين هذه الأمة على لسان النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو عبيدة لعمر : ما رأيت لك فَهَّة قبلها منذ أسلمت ! أتبايعنى وفيكم الصديق وثانى اثنين ؟ الفَهَّةُ : ضعف الرأى .

وأخرج ابن سعد أيضاً عن محمد أن أبا بكر قال لعمر : ابْسُطْ يدك لأبايعك ، فقال له عمر : أنت أفضل منى ، فقال له أبو بكر : أنت أقوى منى ، ثم كرر ذلك ، فقال عمر : فإن قوتى لك مع فضلك ، فبايعه .

وأخرج أحمد عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال : توفى رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبو بكر فى طائفة من المدينة ، فجاء فكشف عن وجهه ، فقبله وقال : فداك أبى وأمى ، ما أطيَبَكَ حياً وميتاً ، مات محمد ورب الكعبة - فذكر الحديث - قال : وانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان حتى أتَوْهُمْ ، فتكلم أبو بكر ، فلم يترك شيئاً أنزل فى الأنصار ولا ذكَرَه رسول الله عليه الصلاة والسلام فى شأنهم إلا ذكره ، وقال : لقد علمتم أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : لو سَلَكَ الناسُ وادياً وسلكت الأنصار وادياً لسلكت وادى الأنصار ، ولقد علمتَ ياسعد أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال وأنت قاعد : «قريش وُلاَةُ هذا الأمر ، فَبَرُّ الناسِ تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم » فقال له سعد : صدقت ، نحن الوزراء ، وأنتم الأمراء .

وأخرج ابن عساكر عن أبى سعيد الخُدْرى قال : لما بويع أبو بكر رأى

من الناس بعض الانقباض ، فقال : أيها الناس ، مايمنعكم [ألست أحقكم بهذا الأمر ؟ ألست أول من أسلم ؟ ألست ؟ فذكر خصالا] .

وأخرج أحمد عن رافع الطائى ، قال : حدثنى أبو بكر عن بيعته ، وماقالته الأنصار ، وماقاله عمر ، قال : فبايعونى وقَبِلْتُهَا منهم ، وتَخَوَّفْتُ أن تكون فتنة يكون بعدها رِدَّةٌ .

وأخرج ابن إسحاق وابن عابد فى مغازيه عنه أنه قال لأبى بكر : ماحَمَلَكَ على أن تلى أمر الناس وقد نهيتنى أن أتأمَّرَ على اثنين ؟ قال : لم أجد من ذلك بُدًّا ، خَشِيتُ على أمة محمد عليه الصلاة والسلام الفُرْقَةَ .

وأخرج أحمد عن قيس بن أبى حازم قال : إنى لجالس عند أبى بكر الصديق بعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام بشهر ، فذكر قصته ، فنودى فى الناس « الصَّلَاةَ جامِعَةً » فاجتمع الناس ، فصعد المنبر ، ثم قال : أيها الناس، لوددت أن هذا كفانيه غيرى ، ولئن أخذتمونى بسُنَّة نبيكم ماأطيقها ، إن كان لمعصوماً من الشيطان، وإن كان لينزل عليه الوحى من السماء .

وأخرج ابن سعد عن الحسن البصرى قال : لما بويع أبو بكر قام خطيباً فقال: أما بعد ؛ فإنى وُلِّيتُ هذا الأمر وأنا له كاره ، ووالله لوددت أن بعضكم كفانيه، ألا وإنكم إنْ كلفتمونى أن أعمل فيكم بمثل عمل النبى عليه الصلاة والسلام لم أقُمْ به كان النبى عليه الصلاة والسلام عبداً أكرمه الله بالوحى وعَصَمَهُ به ، ألا وإنما أنا بشر ، ولست بخير من أحدكم ، فراعونى ، فإذا رأيتمونى استقمت فاتبعونى، وإذا رأيتمونى زُغْتُ فقومونى ، واعلموا أن لى شيطاناً يعترينى ، فإذا رأيتمونى غضبت فاجتنبونى ، لاأؤثر فى أشعاركم وأبشاركم .

وأخرج ابن سعد والخطيب فى رواية مالك عن عروة قال : لما ولى أبو بكر خطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فإنى قد وُلِّيتُ أمركم ، ولست بخيركم ، ولكنه نزل القرآن ، وسن النبى عليه الصلاة والسلام السنن

وعُلمنا فعلمنا ؛ فاعلموا أيها الناس أن أكيَسَ الكَيْسِ التُّقَى، وأعجز العجز الفجور وأن أقواكم عندى الضعيفُ حتى آخذ له بحقه ، وأن أضعفكم عندى القويُّ حتى آخذ منه الحق ، أيها الناس إنما أنا متبع، ولست بمبتدع ؛ فإذا أحسنتُ فأعينونى وإن أنا زُغتُ فقومونى ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

قال مالك : لا يكون أحد إماماً أبداً إلا على هذا الشرط .

وأخرج الحاكم فى مستدركه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام ارتجَّتْ مكة ، فسمع أبو قحافة ذلك ، فقال : ماهذا؟ قالوا : قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام ، قال : أمر جَلَلٌ[1] ، فمن قام بالأمر بعده ؟ قالوا : ابنُكَ ، قال : فهل رضيت بذلك بنو عبد مَنَاف وبنو المغيرة ؟ قالوا : نعم ، قال : لا واضع لما رَفَعْتَ ، ولا رافع لما وضعت .

وأخرج الواقدى من طرق عن عائشة ، وابن عمر ، وسعيد بن المسيب، وغيرهم رضى الله عنهم أن أبا بكر بويع يوم قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين لاثنتَىْ عشرَةَ ليلةً خلت من ربيع الأول سنة إحدى عَشْرَةَ من الهجرة .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن ابن عمر قال : لم يجلس أبو بكر الصديق فى مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام على المنبر حتى لقى الله، ولم يجلس عمر فى مجلس أبى بكر حتى لقى الله ، ولم يجلس عثمان فى مجلس عمر حتى لقى الله .

فصل

فيما وقع فى خلافته

والذى وقع فى أيامه من الأمور الكبار : تنفيذُ جيش أسامة ، وقتال أهل الردَّة ، ومانعى الزكاة ، ومُسَيْلمة الكذاب ، وجَمْعُ القرآن .

أخرج الإسماعيلى عن عمر رضى الله عنه قال : لما قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام ارتدَّ من ارتد من العرب وقالوا : نصلى ولا نزكى ، فأتيت أبا بكر ، فقلت :

(١) أمر جلل : عظيم جداً فادح لا يقوى أحد على احتماله .

ياخليفة رسول الله تألَّفِ الناسَ وارْفُقْ بهم فإنهم بمنزلة الوَحْشِ ، فقال : رَجَوْتُ نُصْرَتَكَ وجئتنى بخذلانك ، جباراً فى الجاهلية خواراً فى الإسلام ، بماذا عَسِيتُ أن أتألفهم؟ بشعر مفتعل أو بسحر مُفْتَرَى؟ هيهات هيهات ! مضى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وانقطع الوحى ، والله لأجاهدنَّهم مااستمسك السيف فى يدى ، وإن منعونى عِقَالاً ، قال عمر : فوجدته فى ذلك أمضى منى وأحزم وآدب الناس على أمور هانت على كثير من مؤنتهم حين وليتهم .

وأخرج أبو القاسم البغوى ، وأبو بكر الشافعى فى فوائده ، وابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما توفى رسول الله عليه الصلاة والسلام اشْرَأَبَّ النفاق ، وارتدَّتِ العرب ، وانحازت الأنصار ، فلو نزل بالجبال الراسيات مانزل بأبى لَهَاضَهَا ، فما اختلفوا فى نقطة إلا طار أبى بِغَنَائِها وفَضْلِها ، قالوا : أين يُدْفَنُ النبى عليه الصلاة والسلام ؟ فما وجدنا عند أحد من ذلك علما ، فقال أبو بكر : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : مامن نبى يقبض إلا دفن تحت مضجعه الذى مات فيه ، قالت : واختلفوا فى ميراثه ، فما وجدوا عند أحَدٍ من ذلك علماً ، فقال أبو بكر : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : إنا معشر الأنبياء لا نورث ؟ ماتركناه صدقة .

[قال الأصمعى : الهَيْضُ الكسر للعظم ، والاشرئباب رَفْعُ : الرأس].

قال بعض العلماء : وهذا أول اختلاف وقع بين الصحابة رضى الله عنهم ، فقال بعضهم : ندفنه بمكة بلده الذى ولد بها ، وقال آخرون : بل بمسجده ، وقال آخرون : بل بالبقيع ، وقال آخرون : بل فى بيت المقدس مَدْفَنِ الأنبياء ، حتى أخبرهم أبو بكر بما عنده من العلم .

قال ابن زنجويه : وهذه سنة تَفَرَّدَ بها الصديقُ من بين المهاجرين والأنصار ورجعوا إليه فيها .

وأخرج البيهقى وابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : والذى لا إله

إلاّ هو لولا أن أبا بكر استخلف ما عُبِدَ الله ، ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة . فقيل له : مه يا أبا هريرة ، فقال : إن رسول الله عليه الصلاة والسلام وَجَّه أسامة ابن زيد فى سبعمائة إلى الشام ، فلما نزل بذى خشب قبض النبى عليه الصلاة والسلام وارتدت العرب حول المدينة ، واجتمع إليه أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام فقالوا : رُدَّ هؤلاء ، تُوَجِّه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ؟ فقال : والذى لا إلٰه إلا هو لو جَرَّت الكلاب بأرْجُلِ أزواج النبى عليه الصلاة والسلام ماردت جيشاً وَجَّهه رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا حللت لواء عَقَده ، فوجَّهَ أسامة ، فجعل لايمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ماخرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن نَدَعُهم حتى يَلْقَوْا الروم ، فَلَقُوهم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين ، فثبتوا على الإسلام .

وأخرج عن عروة قال : جعل رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول فى مرضه : أنفِذُوا جيش أسامة ، فسار حتى بلغ الجُرْفَ ، فأرسلت إليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول : لاتَعْجَل ؛ فإن رسول الله عليه الصلاة والسلام ثَقُلَ ، فلم يبرح حتى قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام . فلما قبض رجع إلى أبى بكر ، فقال : إن رسول الله عليه الصلاة والسلام بعثنى وأنا على غير حالكم هذه ، وأنا أتخوَّفُ أن تكفر العرب ، وإن كفرت كانوا أول من يُقَاتَلُ ، وإن لم تكفر مضيْتُ ، فإن معى سَرَوَات الناس وخيارهم ، فخطب أبو بكر الناس ، ثم قال : والله لأنْ تخطفنى الطيرُ أحبُّ إلى من أن أبدأ بشىء قبل أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فبعثه .

قال الذهبى : لما اشتهرت وفاة النبى عليه الصلاة والسلام بالنواحى ارتَدَّتْ طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ، ومنعوا الزكاة ، فنهض أبو بكر الصديق لقتالهم ، فأشار عليه عمر وغيره أن يفتر عن قتالهم ، فقال : والله لومنعونى عِقَالاً ـ أو عَنَاقاً ـ كانوا يؤدونها إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام لقاتلتهم على منعها فقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « أُمِرْتُ أن

أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ؛ فمن قالها عَصَمَ ماله ودمه إلا بحقها وحسابُهُ على الله » فقال أبو بكر : والله لأقاتلن مَنْ فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال وقد قال : « إلا بحقها » قال عمر : فوالله ماهو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفْتُ أنه الحق أخرجه [الشيخان وغيرهما].

وعن عروة قال : خرج أبو بكر في المهاجرين والأنصار حتى بلغ نقعاً حذاء نجدٍ ، وهربت الأعراب بذراريهم ، فكلم الناس أبا بكر ، وقالوا : ارجع إلى المدينة وإلى الذرية والنساء ، وأمِّرْ رجلا على الجيش ، ولم يزالوا به حتى رجع ، وأمَّرَ خالد بن الوليد ، وقال له : إذا أسْلَمُوا وأعْطَوُا الصدقة ، فمن شاء منكم أن يرجع فليرجع ، ورجع أبو بكر إلى المدينة .

وأخرج الدارقطني عن ابن عمر قال : لما برز أبو بكر واستوى على راحلته أخذ علي بن أبي طالب بزمامها . وقال : إلى أين ياخليفة رسول الله ؟ أقول لك ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : شِمْ سَيْفَكَ ، ولا تَفْجَعْنَا بنفسك ، وارجع إلى المدينة ، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً .

وعن حنظلة بن علي الليثي أن أبا بكر بعث خالداً وأمره أن يقاتل الناس على خمس ، مَنْ ترك واحدة منهن قاتله كما يقاتل من ترك الخمس جميعاً : على شهادة أنْ لا إلهَ إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، وسار خالد ومن معه في جمادى الآخرة ، فقاتل بني أسد : وغَطَفَان ، وقتل من قتل وأسر من أسر ، ورجع الباقون إلى الإسلام ، واستشهد بهذه الواقعة من الصحابة عُكَّاشة بن محصن ، وثابت بن أقرم .

وفي رمضان من هذه السنة ماتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين ، وعمرها أربع وعشرون سنة .

قال الذهبي : وليس لرسول الله عليه الصلاة والسلام نَسَبٌ إلا منها ؛ فإن عَقِبَ ابنته زينب انقرضوا ، قاله الزبير بن بكار ، وماتت قبلها بشهر أمُّ أيمن .

وفى شوال مات عبد الله بن أبى بكر الصديق .

ثم سار خالد بجموعه إلى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب فى أواخر العام ، والتقى الجمعان ، ودام الحصار أياماً ، ثم قُتِلَ الكذابُ لعنه الله ، قتله وَحْشِيٌّ قاتل حمزة واستشهد فيها خلق من الصحابة : أبو حذيفة بن عتبة ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وشجاع بن وهب ، وزيد بن الخطاب ، وعبد الله بن سهل ، ومالك بن عمرو ، والطُّفَيْلُ بن عمرو الدَّوْسى ، وزيد بن قيس ، وعامر بن البكير ، وعبد الله بن مخرمة والسائب بن عثمان بن مظعون ، وعَبَّاد بن بشر ، وَمَعْنُ بن عدى ، وثابت بن قيس ابن شماس ، وأبو دُجانَةَ سماك بن حرب ، وجماعة آخرون تتمة سبعين .

وكان لمسيلمة يوم قتل مائة وخمسون سنة ، ومولده قبل مولد عبد الله والد النبى عليه الصلاة والسلام .

وفى سنة اثنتى عشرة بعث الصديقُ العلاءَ بن الحَضْرَمى إلى البحرين ، وكانوا قد ارتدوا ، فالتقوا بجواثى ، فنصر المسلمون ، وبعث عكرمة بن أبى جهل إلى عمان ، وكانوا قد ارتدوا ، وبعث المهاجر بْنَ أبى أمية إلى أهل النجير ، وكانوا قد ارتدوا ، وبعث زياد بن لبيد الأنصارى إلى طائفة من المرتدة .

وفيها مات أبو العاص بن الربيع زوجُ زينب بنت النبى عليه الصلاة والسلام والصَّعْبُ بن جَثَّامة الليثى ، وأبو مَرْثَد الغنوى .

وفيها بعد فراغ قتال أهل الردة بعث الصديقُ رضى الله عنه خالد بن الوليد إلى أرض البصرة فغزا الأُبُلَّةَ ، فافتتحها وافتتح مدائن كسرى التى بالعراق صُلحاً وحَرْباً ، وفيها أقام الحج أبو بكر الصديق ، ثم رجع فبعث عمرو بن العاص والجنود إلى الشام ، فكانت وقعة أَجْنَادِينَ فى جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ونُصِر المسلمون ، وبشر بها أبو بكر وهو بآخر رَمَق ، واستشهد بها عكرمة بن أبى جهل ، وهشام بن العاص فى طائفة .

وفيها كانت وقعة مَرْج الصفر ، وهزم المشركون ، واستشهد بها الفضل بن العباس فى طائفة .

ذكر جمع القرآن

أخرج البخارى عن زيد بن ثابت قال: أرسل إلىّ أبو بكر مَقْتَلَ أهل اليمامة، وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استَحَرّ يوم اليمامة بالناس، وإنى لأخْشَى أن يستحرّ القتل بالقُرّاء فى المواطن؛ فيذهب كثير من القرآن إلا أن يجمعوه، وإنى لأرى أن يجمع القرآن، قال أبو بكر: فقلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعنى فيه حتى شرح الله لذلك صدرى، فرأيت الذى رأى عمر- قال زيد: وعمر عنده جالس لا يتكلم - فقال أبو بكر: إنك شابٌّ عاقل، ولا نتّهمك، وقد كنتَ تكتب الوحى لرسول الله عليه الصلاة والسلام؛ فتتبع القرآن فاجمعه؛ فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىّ مما أمرنى به من جمع القرآن، فقلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبى عليه الصلاة والسلام؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شَرَحَ الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من الرِّقاع والأكتاف والعُسُب وصُدُور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خُزَيمة بن ثابت، لم أجدهما مع غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخرها.

فكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى تَوَفّاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها.

وأخرج أبو يعلى عن على، قال: أعظم الناس أجراً فى المصاحف أبو بكر؛ إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين.

فصــــل

فى أوّليّـــــاته

منها أنه أوّل من أسلم، وأول مَنْ جمع القرآن، وأول من سماه مُصْحَفاً، وتقدم دليل ذلك، وأول من سمى خليفة.

أخرج أحمد عن أبى بكر بن أبى مُلَيْكة قال: قيل لأبى بكر : ياخليفة الله، قال : أنا خليفة النبى عليه الصلاة والسلام ، وأنا راضٍ به .

ومنها : أنه أول من ولى الخلافة وأبوه حى، وأول خليفة فَرَض له رَعِيَّتُه العَطَاء .

أخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها، قالت : لما استخلف أبو بكر قال: لقد علم قومى أن حِرْفَتِى لم تكن تعجز عن مؤونة أهلى ، وشغلت بأمر المسلمين فسيأكل أهل أبى بكر من هذا المال ، ويحترف للمسلمين .

وأخرج ابن سعد عن عطاء بن السائب قال : لما بويع أبو بكر أصبح وعلى ساعده أبْرَادٌ ، وهو ذاهبٌ إلى السوق، فقال عمر : أين تريد ؟ قال: إلى السوق، قال : تصنع ماذا ، وقد وُلِّيتَ أمر المسلمين ؟ قال : فمن أين أُطعم عيالى؟ فقال : انطلق ، يفرض لك أبو عبيدة ، فانطلقا إلى أبى عبيدة ، فقال: أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ، ليس بأفْضَلهم ولا أوْكَسِهم ، وكسوة الشتاء والصيف، إذا أخْلَقْتَ شيئاً رددته وأخذت غيره، فَفَرَضا له كل يوم نصف شاة، وما كساه فى الرأس والبطن .

وأخرج ابن سعد عن ميمون قال : لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين ، فقال : زيدونى ؛ فإن لى عيالا وقد شغلتمونى عن التجارة ، فزاده خمسمائة .

وأخرج الطبرانى فى مسنده عن الحسن بن على بن أبى طالب قال: لما احتضر أبو بكر قال : ياعائشة ، أنظرى اللِّقْحَةَ التى كنا نشرب من لبنها ، والجَفْنَةُ التى كنا نصطبغ فيها، والقطيفة التى كنا نلبسها ! فإنا كنا ننتفع بذلك حين كنا نَلِى أمر المسلمين ، فإذا مُتُّ فارددبه إلى عمر ، فلما مات أبو بكر أرسلت به إلى عمر، فقال عمر : رحمك الله يا أبا بكر ! لقد أتعبت مَنْ جاء بعدك .

وأخرج ابن أبى الدنيا عن أبى بكر بن حفص قال : قال أبو بكر ـ لما احتضر ـ لعائشة رضى الله عنها: يابنية ، إنا وُلينا أمر المسلمين فلم نأخذ لنا ديناراً

ولا درهما ، ولكنا أكلنا من جَرِيش طعامهم فى بطوننا ، ولبسنا من خَشِن ثيابهم على ظهورنا ، وإنه لم يبق عندنا من فَىْء المسلمين قليل ولا كثير إلاّ هذا العبدُ الحبشىّ ، وهذا البعير الناضح ، وجُرْد هذه القطيفة ، فإذا مُتُّ فابعثى بهن إلى عمر .

ومنها : أنه أول من اتخذ بيت المال .

أخرج ابن سعد عن سهل بن أبى خَيْثَمة وغيره أن أبا بكر كان له بيت مال بالسُّنْح ليس يحرسه أحد ، فقيل له : ألا تجعل عليه من يحرسه ؟ قال عليه قُفْلٌ ، فكان يعطى مافيه حتى يفرغ ، فلما انتقل إلى المدينة حوّله فجعله فى داره ، فقدم عليه مال ، فكان يقسمه على فقراء الناس فيسوّى بين الناس فى القَسْم ، وكان يشترى الإبل والخيل والسلاح فيجعله فى سبيل الله ؛ واشترى قطائف أتى بها من البادية ففرّقها فى أرامل المدينة ، فلما توفى أبو بكر ودفن دعا عمر الأمناء ودخل بهمْ فى بيت مال أبى بكر منهم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ، ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه شيئاً لا ديناراً ولا درهماً .

قلت : وبهذا الأثر يردُّ قول العسكرى فى الأوائل : إن أول من اتخذ بيت المال عمر ، وإنه لم يكن للنبى عليه الصلاة والسلام بيت مال ، ولا لأبى بكر رضى الله عنه ، وقد رددته عليه فى كتابى الذى صنفته فى الأوائل ، ثم رأيت العسكرى تنبه له فى موضع آخر من كتابه ، فقال : إن أول من ولى بيت المال أبو عبيدة بن الجراح لأبى بكر .

ومنها قال الحاكم : أول لقب فى الإسلام لقبُ أبى بكر رضى الله عنه «عتيق»

فصل

أخرج الشيخان عن جابر رضى الله عنه قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا » فلما جاء مال البحرين بعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام قال أبو بكر : مَنْ كان له عند النبى عليه الصلاة والسلام

دَيْنٌ أو عِدَةٌ فليأتنا ، فجئت وأخبرته ، فقال : خذ ، فأخذتُ فوجدتها خمسمائة ، فأعطاني ألفاً وخمسمائة .

فصـــل

في نُبَذٍ من حلمه وتواضعه

أخرج ابن عساكر عن أنيسة قالت : نزل فينا أبو بكر ثلاثَ سنينَ قبل أن يستخلف ، وسنة بعد ما استخلف ، فكان جَوَاري الحيِّ يأتينه بغنمهن فيحلبهن لهن .

وأخرج أحمد في الزهد عن ميمون بن مهران ، قال : جاء رجل إلى أبي بكر فقال : السلام عليك يا خليفة رسول الله ، قال : مَنْ بين هؤلاء أجمعين .

وأخرج ابن عساكر عن أبي صالح الغفاري : أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزاً كبيرة عَمْيَاء في بعض حواشي المدينة من الليل ، فيستقي لها ، ويقوم بأمرها ؛ فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت ، فجاءها غير مرة كيلا يُسْبَقَ إليها ، فَرَصدَه عمر ، فإذا هو بأبي بكر الذي يأتيها — وهو يومئذ خليفة — فقال عمر : أنت هو لَعَمْرِي .

وأخرج أبو نعيم وغيره عن عبد الرحمن الأصبهاني قال : جاء الحسن بن علي إلى أبي بكر وهو على منبر النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال : انزل عن مجلس أبي ، فقال : صدقت إنه مجلس أبيك ، وأجلسه في حجره ، وبكى ، فقال عليّ : والله ما هذا عن أمري ، فقال : صدقْتَ ، والله ما أتهمك .

فصـــل

أخرج ابن سعد عن ابن عمر قال : استعمل رسول الله عليه الصلاة والسلام أبا بكر على الحج في أول حجة كانت في الإسلام ، ثم حج رسول الله عليه الصلاة والسلام في السنة المقبلة ، فلما قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام واسْتُخْلِفَ أبو بكر استعمل عمر بن الخطاب على الحج ، ثم حج أبو بكر من قابل ، فلما قبض

أبو بكر واستُخلِفَ عمرُ استعمل عبدَ الرحمن بن عوف على الحج ، ثم لم يزل عمر يحج سِنِيه كلها حتى قبض، فاستخلف عثمان، واستعمل عبد الرحمن بن عوف على الحج .

فصـــل

في مرضه ، ووفاته ، ووصيته ، واستخلافه عُمَرَ

أخرج سيف والحاكم عن ابن عمر قال : كان سبب موت أبي بكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كَمِدَ[1] فما زال جسمه يَضْوَى حتى مات. يَضْوَى : أي ينقص[2] .

وأخرج ابن سعد والحاكم بسند صحيح عن ابن شهاب أن أبا بكر والحارث ابن كَلَدَة كانا يأكلان خزيرة[3] أهديت لأبي بكر ، فقال الحارث لأبي بكر : ارفع يدك ياخليفة رسول الله ، والله إن فيها لسمَّ سنة ، وأنا وأنت نموت في يوم واحد ، فرفع يده ، فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة .

وأخرج الحاكم عن الشعبي قال : ماذا نتوقَّعُ من هذه الدنيا الدَّنيَّة وقد سُمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسُمَّ أبو بكر ؟

وأخرج الواقدي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت . كان أوَّل بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خَلَوْنَ من جمادى الآخرة ، وكان يوماً بارداً ، فَحُمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة ، وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بَقِين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ، وله ثلاث وستون سنة .

وأخرج ابن سعد وابن أبي الدنيا عن أبي السفر ، قال : دخلوا على أبي بكر في مرضه ، فقالوا : ياخليفة رسول الله ، ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك ؟ قال : قد نظر إلي ، فقالوا : ماقال لك ؟ قال : قال : إني فَعَّالٌ لما أريد .

---

(١) كمد يكمد كفرح حزن حزناً مكتوماً . (٢) ضوى كفرح : هزل وضعف.

(٣) الخزيرة : لحم يقطع قطعاً صغيرة ويصب عليه ماء حتى إذا نضج ذر عليه دقيق.

وأخرج الواقدي من طرق أن أبا بكر لما ثقل دعا عبد الرحمن بن عوف ، فقال : أخبرني عن عمر بن الخطاب ؟ فقال : ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني ، فقال أبو بكر : وإن ، فقال عبد الرحمن بن عوف : هو والله أفضل من رأيك فيه ، ثم دعا عثمان بن عفان ، فقال : أخبرني عن عمر ؟ فقال : أنت أخبرنا به ، فقال : على ذلك ، فقال : اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله ، وشاور معهما سعيد بن زيد ، وأسيد بن الحضير ، وغيرهما من المهاجرين والأنصار ، فقال أسيد : اللهم أعلمه الخير بعدك ، يرضى للرضا ويسخط للسخط ، الذي يسر خير من الذي يعلن ، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه .

ودخل عليه بعض الصحابة ، فقال له قائل منهم : ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عُمَر علينا وقد ترى غلظته ؟ فقال أبو بكر : بالله تخوّفني؟ أقول : اللهم إني استخلفت عليهم خيرَ أهلك ، أبلغ عني ما قلتُ مَنْ وَرَاءك. ثم دعا عثمان ، فقال : اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قُحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها ، حيث يُؤْمِنُ الكافر ، ويوقن الفاجر ، ويصدق الكاذب ، إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا ، وإني لم آلُ الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً ، فإن عَدَلَ فذلك ظني به وعلمي فيه ، وإن بدَّل فلكل امرىء ما اكتسب ، والخيرَ أردتُ ، ولا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » ثم أمر بالكتاب فَخَتَمه ، ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوماً ، فبايع الناسُ ورَضُوا به ، ثم دعا أبو بكر عمر خالياً ، فأوصاه بما أوصاه ، ثم خرج من عنده ، فرفع أبو بكر يديه ، وقال : اللهم إني لم أردْ بذلك إلا صلاحهم ، وخِفْتُ عليهم الفتنة ، فعملت فيهم بما أنت أعلم به ، واجتهدت لهم رأياً ، فوليت عليهم خيرهم ، وأقواهم عليهم ،

وأحرصهم على ماأرشدهم ، وقد حضرنى من أمرك ماحضر ، فاخْلُفْـنى فيهم ، فهم عبادك ، ونَوَاصِيهم بيدك ، أَصْلِـحِ اللهمَّ وُلاَتهم ، واجعله من خلفائك الراشدين ، وأصلح له رعيته .

وأخرج ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود ، قال : أفْرَسُ الناس ثلاثة : أبو بكر حين استخلف عمر ، وصاحبة موسى حين قالت : استأجره ، والعزيز حين تَفَرَّسَ فى يوسف فقال لامرأته : أكرمى مَثْوَاه .

وأخرج ابن عساكر عن يَسَار بن حمزة ، قال : لما ثَقُـلَ أبو بكر أشْرَفَ على الناس من كُوَّةٍ ، فقال : أيها الناس ، إنى قد عهدت عهداً ، أفترضون به؟ فقال الناس : رضينا ياخليفة رسول الله ، فقام على ، فقـال : لانَرْضى إلا أن يكون عمر ، قال : فإنه عمر .

وأخرج أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت : إن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال : أىُّ يوم هذا ؟ قالوا : يوم الاثنين ، قال : فإن مت من ليلتى فلاتنتظروا بى لغد ، فإنَّ أحبَّ الأيام والليالى إلىَّ اقربُهَا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج مالك عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بـكر نحلها جَـدَّاد عشرين وَسْقًا من ماله بالغابة ، فلماحضرته الوفاة قال : يابنَيَّة ، والله مامن الناس أحد أحبُّ إلىَّ غنى منك ، ولاأعزَّ عَلَىَّ فقراً بعدى منك ، وإنى كنت نحلتك جَدَّاد عشرين وَسْقاً ، فلو كنت جددته واحترزته كان لك ، وإنما هو اليوم مالُ وارثٍ ، وإنما هو أخواك وأختاك فاقسموه على كتاب الله ، فقالت : ياأبت ، والله لو كان كذا وكذا لتركته ، إنما هى أسماء ؛ فمن الأخرى ؟ قال : ذو بطن ابنة خارجة[1] ، أراها جارية ، وأخرجه ابن سعد ، وقال فى آخره : ذات بطن ابنة خارجة ، قد أُلْقِىَ فى روعى أنها جارية ، فاستوصى بها خيراً ، فولدت أمَّ كلثوم .

وأخرج ابن سعد عن عروة أن أبا بـكر أوصى بخُمْس ماله ، وقال : آخذ من مالى ماأخذ الله من فىء المسلمين .

---

(١) يريد مافى بطن امرأته ابنة خارجة .

وأخرج من وجه آخر عنه قال : لأن أوصي بالخمس أحبّ إلىّ من أن أوصي بالربع ، وأن أوصي بالربع أحبّ إلىّ من أن أوصي بالثلث ، ومن أوصى بالثلث لم يترك شيئاً .

وأخرج سعيد بن منصور فى سننه عن الضحاك أن أبا بكر وعليًا أوْصَيا بالخمس من أموالهما لمن لا يرث من ذوى قرابتهما .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن عائشة رضى الله عنها قالت : والله ما ترك أبو بكر ديناراً ولا درهماً ضرب الله سكته .

وأخرج ابن سعد وغيره عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما ثقل أبو بكر تمثلتُ بهذا البيت :

لعمرك ما يُغْني الثَّراء عن الفتى   إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه ، وقال : ليس كذلك ، ولكن قولى : (وجاءت سكرةُ الموت بالحقّ ، ذلك ما كنت منه تَحِيدُ) ؛ انظروا ثَوْبَيَّ هذين فاغسلوهما وكفنونى فيهما ، فإن الحيَّ أحْوَجُ إلى الجديد من الميت .

وأخرج أبو يعلى عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخلت على أبى بكر وهو فى الموت ، فقلت :

من لا يزال دمعه مقنعاً   فإنه فى مرة مدفوق[1]

فقال : لا تقولى هذا ، ولكن قولى : (وجاءتْ سكرةُ الموتِ بالحقّ ، ذلك ما كنتَ منه تَحِيدُ) ثم قال : فى أىّ يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : يوم الإثنين ؛ قال : أرجو فيما بينى وبين الليل ، فتوفى ليلة الثلاثاء ، ودفن قبل أن يُصْبح .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد ، عن بكر بن عبد الله المزنى ، قال : لما احتضر أبو بكر قعدت عائشة رضى الله عنها عند رأسه ، فقالت :

(١) المقنع : المحبوس ، ووقع فى النهاية « لا بد يوما أنه يهراق »

وكل ذى إبل يوماً سيُورِدها   وكل ذى سَلَبٍ لابدّ مسلوبُ[1]

فهمها أبو بكر ، فقال : ليس كذلك ياابنتاه ، ولكنه كما قال الله :

(وجاءت سكرةُ الموت) الآية .

وأخرج أحمد عن عائشة ـ رضى الله عنها ! ـ أنها تمثلت بهذا البيت ، وأبو بكر يقضى :

وأبيَضَ يُستَسقى الغَمَامُ بوجهه   ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ للأرامل

فقال أبو بكر : ذاكِ رسولُ الله عليه الصلاة والسلام .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد ، عن عُبادة بن قيس ، قال : لما حضرت أبا بكر الوفاة قال لعائشة : اغسلى ثوبَىَّ هذين وكفنينى بهما ؛ فإنما أبوك أحد رجلين : إما مكسو أحسن الكسوة ، أو مسلوب أسوأ السلب .

وأخرج ابن أبى الدنيا عن ابن أبى مليكة أن أبا بكر أوصى أن تغسله امرأته أسماء بنت عُمَيس ، ويُعينُها عبد الرحمن بن أبى بكر .

وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيّب أن عمر ـ رضى الله عنه ـ صلى على أبى بكر بين القبر والمنبر ، وكبّر عليه أربعاً .

وأخرج عن عروة ، والقاسم بن محمد أن أبا بكر أوصى عائشة أن يدفن إلى جنب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فلما توفى حُفِر له ، وجعل رأسه عند كَتِفِ رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وألصق اللحد بقبر رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وأخرج عن ابن عمر قال : نزل فى حُفْرَةِ أبى بكر : عمر ، وطَلْحة ، وعثمان ، وعبد الرحمن بن أبى بكر .

وأخرج من طرق عدة : أنه دفن ليلا .

وأخرج عن ابن المسيب أن أبا بكر لما مات ارتجّت مكة ، فقال أبو قحافة :

---

(١) فى الأصل « وكل ذى إبل يوما موروثها »

ماهذا ؟ قالوا : مات ابنك ، قال: رُزْء جَليل ، مَنْ قام بالأمر بعدهُ ؟ قالوا : عمر ، قال : صاحبه .

وأخرج عن مجاهد أن أبا قُحَافة ردَّ ميراثه من أبى بكر على ولد أبى بكر ، ولم يعش أبو قحافة بعد أبى بكر إلا ستة أشهر وأياماً . ومات فى المحرم سنة أربعَ عشرَةَ ، وهو ابن سبع وتسعين سنة .

قال العلماء : لم يل الخلافة أحد فى حياة أبيه إلا أبو بكر ، ولم يرث خليفةً أبوه إلا أبا بكر .

وأخرج الحاكم عن ابن عمر قال : ولى أبو بكر سنتين وسبعة أشهر .

وفى تاريخ ابن عساكر بسنده عن الأصمعى قال : قال خُفَاف بن نَدْبة السُّلَمى يبكى أبا بكر :

ليس لحى فاعْلَمَنَّهُ بَقَا ... وكل دُنْيا أمرها للفنا
والملك فى الأقوام مستودَعٌ ... عارية ؛ فالشرط فيه الأدَا
والمرء يسعى وله راصد ... تندبه العين ونار الصدا
يَهْرَمُ أو يقتل أو يقهره ... يشكوه سُقْمٌ ليس فيه شِفَا
إن أبا بكر هو الغيث إن ... لم تزرع الجوزاء بَقْلاً بما
تالله لا يدرك أيامه ... ذو مئزرٍ نَاشٍ ، ولا ذو رِدَا
مَنْ يَسْعَ كى يدرك أيامه ... مجتهداً شَذَّ بأرض فضا

فصل

فيما روى عنه من الحديث المسنَد

قال النووى فى تهذيبه : روى الصديق عن رسول الله عليه الصلاة والسلام مائة حديث واثنين وأربعين حديثاً ، وسبب قلة روايته - مع تقدم صحبته وملازمته النبى عليه الصلاة والسلام - أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها .

﴿ قلت ﴾ : وقد ذكر عمر رضى الله عنه فى حديث البيعة السابق أن أبا بكر لم يترك شيئاً أنزل فى الأنصار أو قد ذكره رسول الله عليه الصلاة والسلام فى شأنهم إلا ذكره ، وهذا أدلُّ دليل على كثرة محفوظه من السنة ، وسَعَةِ علمه بالقرآن ، وروى عنه عمر [بن الخطاب] وعثمان [بن عفان] وعلى ، وابن عوف ، وابن مسعود ، وحُذَيفة ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وابن عمرو ، وابن عباس ، وأنس ، وزيد بن ثابت ، والبَرَاء بن عازب ، وأبو هريرة ، وعُقْبة بن الحارث ، وعبدالرحمن ابنُه ، وزيد بن أرْقَم ، وعبدالله بن مغفل ، وعقبة بن عامر الجهنى ، وعمران بن حُصَيْن ، وأبو بَرْزَة الأسلمى ، وأبو سعيد الخدرى ، وأبو موسى الأشعرى ، وأبو الطفيل الليثى ، وجابر بن عبد الله ، وبلال ، وعائشة ابنته ، وأسماء ابنته ، ومن التابعين أسلم مولى عمر ، وواسط البجلى ، وخلائق .

وقد رأيت أن أسْرُد أحاديثه هنا على وجه وجيز ، مبيناً عقب كل حديث من خَرَّجه ، وسأفردها بطرقها فى مسند إن شاء الله تعالى .

(الأول) حديث الهجرة الشيخان وغيرهما (الثانى) حديث البحر « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » الدارقطنى (الثالث) حديث « السواك مطهرة للفم مَرْضَاة للرب » أحمد (الرابع) حديث « أن رسول الله عليه الصلاة والسلام أكل كتفاً ثم صلى ولم يتوضأ » البزار ، وأبو يعلى (الخامس) حديث « لا يتوضَّأَنَّ أحدكم من طعام أكله حل له أكله » البزار (السادس) حديث « نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام عن ضرب المصلين » أبو يعلى ، والبزار (السابع) حديث « إن آخر صلاة صلاها النبى عليه الصلاة والسلام خلفى فى ثوب واحد » أبو يعلى (الثامن) حديث « مَنْ سره أن يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عَبْدٍ » أحمد (التاسع) حديث « أنه قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام : علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى ، قال : قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى ؛ إنك أنت الغفور الرحيم » البخارى ، ومسلم

(العاشر) حديث «مَنْ صلى الصبح فهو فى ذمة الله فلا تخفروا الله فى عهده ، فمن قتله طلبه الله حتى يكبه فى النار على وجهه » ابن ماجه (الحادى عشر) حديث «ماقبض نبى قط حتى يؤمه رجل من أمته » البزار (الثانى عشر) حديث « مامن رجل يُذْنِبُ ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلى ركعتين فيستغفر الله إلا غفر له » أحمد ، وأصحاب السنن الأربعة ، وابن حِبَّان (الثالث عشر) حديث « ماقبض الله نبياً إلا فى الموضع الذى يحب أن يدفن فيه» الترمذى (الرابع عشر) حديث «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» أبو يعلى (الخامس عشر) حديث « إن الميت يُنْضَحُ عليه الحميم ببكاء الحى » أبو يعلى (السادس عشر) «اتقُوا النار ولو بشق تمرة ؛ فإنها تُقيم العوج ، وتدفع ميتة السوء ، وتقع من الجائع موقعها من الشبعان » أبو يعلى (السابع عشر) حديث فرائض الصدقات بطوله ، البخارى وغيره (الثامن عشر) حديث عن ابن أبى مليكه قال: « كان ربما سقط الخُطَام من يد أبى بكر الصديق فيضرب بذراع ناقته فينيخها ، فقالوا له : أفلا أمرتنا نناولكه ؟ فقال : « إن حِبِّى رسول الله عليه الصلاة والسلام أمرنى أن لا أسأل الناس شيئاً ؟ » أحمد (التاسع عشر) حديث « أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام أسماء بنت عُمَيس حين نُفِست بمحمد بن أبى بكر أن تغتسل وتُهِلّ » البزار ، والطبرانى (العشرون) «سئل رسول الله عليه الصلاة والسلام : أى الحج أفضل؟ فقال : العَجُّ والثَّجُّ » الترمذى وابن ماجه (الحادى والعشرون) حديث «أنه قبل الحجر وقال : لولا أنى رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقبلك ماقبلتك » الدارقطنى (الثانى والعشرون) حديث « أن رسول الله عليه الصلاة والسلام بعث ببراءة إلى أهل مكة : لايحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عُرْيان » الحديث أحمد (الثالث والعشرون) حديث « مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على ترعة من ترع الجنة» أبو يعلى (الرابع والعشرون) حديث انطلاقه عليه الصلاة والسلام إلى دار أبى الهيثم بن التَّيِّهَان بطوله ، أبو يعلى .

(الخامس والعشرون) حديث «الذهب بالذهب مثلا بمثل ، والفضة بالفضة مثلا بمثل ، والزائد والمستزيد فى النار» أبو يعلى ، والبزار (السادس والعشرون) حديث «ملعونٌ من ضارّ مؤمناً أو مَكَرَ به» الترمذى (السابع والعشرون) حديث «لا يدخل الجنة بخيل ولا خَبٌّ ولا خائن ولا سيء الملكة ، وأول من يدخل الجنة المملوك إذا أطاع الله وأطاع سيده» (الثامن والعشرون) حديث «الولاء لمن أعتق» الضياء المقدسى فى المختارة (التاسع والعشرون) حديث «لا نورَثُ ، ما تركناه صدقه» البخارى (الثلاثون) حديث « إن الله إذا أطعم نبياً طعمة ثم قبضه جعلها للذى يقوم من بعده » أبو داود (الحادى والثلاثون) حديث « كَفَرَ بالله مَنْ تبرأ من نسب وإن دق » البزار (الثانى والثلاثون) حديث « أنت ومالكَ لأبيك » قال أبو بكر : وإنما يعنى بذلك النفقة ، البيهقى (الثالث والثلاثون) حديث « من أغبرَّتْ قدماهُ فى سبيل الله حرمهما الله على النار » البزار (الرابع والثلاثون) حديث «أمرت أن أقاتل الناس» الحديث، الشيخان وغيرهما (الخامس والثلاثون) حديث « نعم عبدُ الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد وسيف من سُيُوف الله سَلَّه الله على الكفار والمنافقين» أحمد (السادس والثلاثون) حديث «ماطلعت الشمس على رجل خير من عمر » الترمذى (السابع والثلاثون) حديث «من ولى من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً مُحاباة فعليه لعنة الله لا يقبلُ الله منه صرفاً ولا عدلا حتى يدخله جهنم ، ومن أعطى أحداً حمى الله فقد انتهك من حمى الله شيئاً بغير حقه فعليه لعنة الله »أحمد (الثامن والثلاثون) حديث قصة ماعز ورَجْمه، أحمد (التاسع والثلاثون) حديث «ما أَصَرَّ من استغفر ، وإن عاد فى اليوم سبعين مرة» الترمذى (الأربعون) حديث «أنه عليه الصلاة والسلام شاور فى أمر الحرب» الطبرانى (الحادى والأربعون) حديث « لما نزلت مَنْ يعمل سوأ يُجْزَ به » الحديثَ ، الترمذى ، وابن حبان ، وغيرهما (الثانى والأربعون) حديث « إنكم تقرؤن هذه الآية (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) » الحديثَ ، أحمد ، والأربعة ، وابن حبّان (الثالث والأربعون)

حديث «ماظنُّكَ باثنين الله ثالثهما» الشيخان (الرابع والأربعون) حديث « اللهم طَمْنَا وطاعونًا» أبو يعلى (الخامس والأربعون) حديث «شيَّبتنى هود» الحديثَ الدارقطنى فى العلل (السادس والأربعون) حديث « الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل » الحديثَ ، أبو يعلى وغيره (السابع والأربعون) حديث « قلت : يارسول الله علمنى شيئاً أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت » الحديثَ ، الهيثم بن كليب فى مسنده ، وهو عند الترمذى وغيره من مسند أبى هريرة (الثامن والأربعون) حديث « عليكم بلا إلهَ إلا الله والاستغفار ؛ فإن إبليس قال : أهلكتُ الناس بالذنوب وأهلكونى بلا إلهَ إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء ، فهم يحسَبُون أنهم مهتدون» أبو يعلى (التاسع والأربعون) حديث « لما نزلت (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) قلت : يارسول الله والله لا أكلمك إلا كأخى المرم السِّرار » البزار (الخمسون) حديث « كل مُيَسَّر لما خُلِقَ له » أحمد (الأحد والخمسون) حديث «مَنْ كذب على متعمداً أو رَدَّ على شيئاً أمرت به فليتبوأ بيتاً فى جهنم » أبو يعلى (الثانى والخمسون) حديث « ما نجاة هذا الأمر — الحديث — فى لا إله إلا الله » أحمد وغيره (الثالث والخمسون) «أخرُج فنادِ فى الناس مَنْ شهد أن لا إلهَ إلا الله وجبت له الجنة ، فخرجت فلقينى عمر» الحديثَ ، أبو يعلى ، وهو محفوظ من حديث أبى هريرة ، غريب جداً من حديث أبى بكر (الرابع والخمسون) حديث «صنفان من أمتى لا يدخلان الجنة المرجئة والقدرية» الدارقطنى فى العلل (الخامس والخمسون) حديث «سَلُوا الله العافية »أحمد والنسائى وابن ماجه ، وله من طرق كثيرة عنه (السادس والخمسون) حديث «كان رسول الله عليه الصلاة والسلام إذا أراد أمراً قال : اللهم خِرْ لى واخترلى» الترمذى (السابع والخمسون) حديث « دعاء الدَّيْن : اللهم فَارِج الهم » الحديثَ ، البزار والحاكم (الثامن والخمسون) حديث « كل جَسَد نبت من سُحْتٍ فالنار أَوْلى به» وفى لفظ « لا يدخل الجنة جسدٌ غُذِىَ بحرام» أبو يعلى (التاسع والخمسون) حديث « ليس

شيء من الجسد إلا وهو يشكو ذَرَبَ اللسان» أبو يعلى (الستون) حديث «ينزل الله ليلة النصف من شعبان فيغفر فيها لكل بشر ماخلا كافراً أو رجلا فى قلبه شَحْنَاء» الدارقطنى (الأحد والستون) حديث «إن الدجال يخرج بالمشرق من أرض يقال لها خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المَجَانُّ المُطْرَقَة» الترمذى، وابن ماجه (الثانى والستون) حديث «أعطيتُ سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب» الحديثَ، أحمد (الثالث والستون) حديث الشفاعة بطوله فى تردد الخلائق إلى نبى بعد نبى، أحمد (الرابع والستون) حديث «لو سَلَكَ الناس واديا وسلكت الأنصار واديا لسلكت وادى الأنصار» أحمد (الخامس والستون) حديث «قريش وُلاَة هذا الأمر، بَرُّهم تبعٌ لبَرِّهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم» أحمد (السادس والستون) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوصى بالأنصار عند موته وقال «اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مُسِيئِهم» البزار والطبرانى (السابع والستون) حديث «إنى لأعْلَمُ أرضاً يقال لها عمان، ينضح بناحيتها البحر: بها حيٌّ من العرب، لو أتاهم رسولى مارمَوْه بسهم ولا حجر» أحمد وأبو يعلى (الثامن والستون) حديث أن أبا بكر مَرَّ بالحَسَنِ وهو يلعب مع الغلمان، فاحتمله على رقبته، وقال: بأبى شبيه بالنبى ليس شبيهاً بعلى[1]، البخارى، وقال ابن كثير: وهو فى حكم المرفوع؛ لأنه فى قوة قوله إن النبى صلى الله عليه وسلم كان يشبه الحسن (التاسع والستون) حديث «أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يزور أم أيمن» مسلم (السبعون) حديث قتل السارق فى الخامسة؛ أبو يعلى والديلمى (الحادى والسبعون) حديث قصة أحُد، الطيالسى والطبرانى (الثانى والسبعون) حديث «بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ رأيته يدفع عن نفسه شيئاً، ولا أرى شيئاً، فقلت: يارسول الله، ماالذى تدفع؟ قال: الدنيا، تطولت لى، فقلت:

---

(١) وهو فى مسند أحمد (رقم ٤٠) على هيئة بيت من مجزوء الرجز هكذا:

وا، بأبى شبه النبى ليس شبيهاً بعلى

إليك عنى ، فقالت لى : أما إنك لست بمدركى» البزار . هذا ما أورده ابن كثير فى مسند الصديق من الأحاديث المرفوعة، وقد فاته أحاديث أخرى فتتبعتها لتكملة العدة التى ذكرها النووى (الثالث والسبعون) حديث « اقتلوا القرد كائناً ما كان من الناس» الطبرانى فى الأوسط (الرابع والسبعون) حديث «انظروا دُور مَنْ تعمرون وأرض مَنْ تسكنون » وفى طريق« مَنْ تمشون» الديلمى (الخامس والسبعون) حديث «أكثروا من الصلاة على ؛ فإن الله وَكَّلَ بقبرى مَلَكاً ؛ فإذا صلى رجل من أُمَّتى قال لى ذلك الملك : إن فلان ابن فلان صلى عليك الساعة » الديلمى (السادس والسبعون) حديث «الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما ، والغسل يوم الجمعة كفارة» الحديث ، العقيلى فى الضعفاء (السابع والسبعون) حديث « إنما حَرُّ جهنم على أمتى مثل الحمّام» الطبرانى (الثامن والسبعون) حديث «إياكم والكذب ؛ فإن الكذب مجانب للإيمان» ابنُ لال فى مكارم الأخلاق (التاسع والسبعون) حديث «بَشِّرْ مَنْ شهد بَدْراً بالجنة » الدارقطنى فى الأفراد (الثمانون) حديث «الدَّين راية الله الثقيلة ، من ذا الذى يُطيقُ حملها ؟ » الديلمى (الحادى والثمانون) حديث «سورة يس تدعى المعمة المطعمة» الحديث ، الديلمى ، والبيهقى فى الشعب (الثانى والثمانون) حديث «السلطانُ العادلُ المتواضعُ ظل الله ورُمحه فى الأرض ، ويرفع له فى كل يوم وليلة عَمَلُ ستين صديقاً» أبو الشيخ والعقيلى فى الضعفاء ، وابن حِبَّان فى كتاب الثواب (الثالث والثمانون) حديث « قال موسى لربه : ماجزاء مَنْ عَزَّى الثَّكلى ؟ قال: أُظِلُّه فى ظلى» ابن شاهين فى الترغيب ، والديلمى (الرابع والثمانون) حديث « اللهم أشدد الإسلام بعمر بن الخطاب » الطبرانى فى الأوسط (الخامس والثمانون) حديث «ماصيد صيد ولا عضدت عَضَاةٌ ولا قطعت وشيجة إلا بقلة التسبيح» ابن راهويه فى مسنده (السادس والثمانون) حديث «لو لم أبعث فيكم لبعث عمر » الحديث ، الديلمى (السابع والثمانون) حديث «لو اتَّجَرَ أهل الجنة لاتَّجروا بالبَزِّ» أبو يعلى (الثامن والثمانون) حديث «من خرج يدعو إلى

نفسه أو إلى غيره وعلى الناس إمامٌ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين؛ فاقتلوه» الديلمى فى التاريخ (التاسع والثمانون) حديث «مَنْ كتب عنى علماً أو حديثاً لم يزل يكتب له الأجر ما بقى ذلك العلم أو الحديث» الحاكم فى التاريخ (التسعون) حديث «مَنْ مشى حافياً فى طاعة الله لم يسأله الله يوم القيامة عما افترض عليه» الطبرانى فى الأوسط (الحادى والتسعون) حديث «مَنْ سَرّه أن يُظِله الله من فور جهنم، ويجعله فى ظله؛ فلا يكن على المؤمنين غليظاً، وليكُنْ بهم رحيما» ابن لال فى مكارم الأخلاق، وأبو الشيخ، وابن حِبَّان فى الثواب (الثانى والتسعون) حديث «من أصبح ينوى لله طاعة كتب الله له أجر يومه وإن عصاه» الديلمى (الثالث والتسعون) حديث «ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب» الطبرانى فى الأوسط (الرابع والتسعون) حديث «لا يدخل الجنة مُقْتِر» الديلمى ولم يسنده (الخامس والتسعون) حديث «لا تَحْقِرَنَّ أحداً من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير» الديلمى (السادس والتسعون) حديث «يقول الله: إنْ كنتم تريدون رحمتى فارحموا خَلْقِى» أبو الشيخ وابن حِبَّان والديلمى (السابع والتسعون) حديث «سألت النبى عليه الصلاة والسلام عن الإزار، فأخذ بعضلة الساق، فقلت: يارسول الله زدنى، فأخذ بمقدم العضلة، فقلت: زدنى، قال: لاخير فيما هو أسفل من ذلك، قلت: هلكنا يارسول الله، قال: ياأبا بكر سَدِّدْ وقارب تَنْجُ» أبو نعيم فى الحلية (الثامن والتسعون) حديث «كَفِّى وكفُّ على فى العدل سواء» الديلمى وابن عساكر (التاسع والتسعون) حديث «لاتغفلُوا التعوُّذَ من الشيطان، فإنكم إن لم تكونوا تَرَوْنه فإنه ليس عنكم بغافل» الديلمى ولم يسندهُ (المائة) حديث «مَنْ بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنة» الطبرانى فى الأوسط (الحادى والمائة) حديث «من أكل من هذه البقلة الخبيثة فلا يقربَنَّ مسجدَنَا» الطبرانى فى الأوسط (الثانى والمائة) حديث رفع اليدين فى الافتتاح والركوع والسجود والرفع، البيهقى فى السنن (الثالث والمائة) حديث «أنه عليه

الصلاة والسلام أهدى جملا لأبي جَهْلٍ » الإسماعيلي في معجمه (الرابع والمائة) حديث « النَّظَرُ إلى عليّ عبادة » ابن عساكر .

فصــــل

فيما ورد عن الصِّدِّيق من تفسير القرآن

أخرج أبو القاسم البغوى عن ابن أبى مليكة قال : سُئل أبو بكر عن آية ، فقال : أىُّ أرض تُقِلُّني أو أى سماء تظلني إذا قلت فى كتاب الله مالم يُرِدِ الله ؟

وأخرج أبو عبيدة عن إبراهيم التَّيْمِي قال : سُئل أبو بكر عن قوله تعالى : (وفاكهةً وأبًّا) ؟ فقال : أى سماء تُظِلّني ، وأى أرض تُقِلني[1] إن قلت فى كتاب الله مالا أعلم ؟

وأخرج البيهقى وغيره عن أبى بكر أنه سئل عن الكَلَالَة ؟ فقال: إنى سأقول فيها برأيى ، فإن يكن صوابًا فمن الله ، وإن يكن خطأ فنى ومن الشيطان : أراه ماخلا الولَدَ والوالد ، فلما استخلف عمر قال : إنى لأستحيى أن أردَّ شيئًا قاله أبو بكر .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن الأسود بن هلال ، قال: قال أبو بكر لأصحابه : ماتقولون فى هاتين الآيتين : (إنَّ الذين قالوا رَبُّنَا الله ثم استقاموا) ، (والذين آمنوا ولم يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بظلم) ؟ قالوا : ثم استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا إيمانهم بخطيئة ، قال : لقد حملتموها على غير المحمل ، ثم قال: قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا فلم يميلوا إلى إله غيره ، ولم يلبسوا إيمانهم بشرك .

وأخرج ابن جرير عن عامر بن سعد البَجَلِيِّ عن أبى بكر الصِّدِّيق فى قوله تعالى : (للذينَ أحْسَنُوا الحُسْنَى وزيادَةٌ) قال : النظر إلى وَجْه الله تعالى .

وأخرج ابن جرير عن أبى بكر فى قوله تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال : قد قالها الناس ؛ فمن مات عليها فهو ممن استقام .

---

(١) هكذا هو المحفوظ بواو العطف ووقع فى الأصول «أو أى أرض تقلنى»

فصـــل

فيما رُوِي عن الصِّدِّيق رضى الله عنه من الآثار الموقوفة قولا ، أو قضاء ، أو خطبة ، أو دعاء

أخرج اللالكائى فى السنة عن ابن عمر قال : جاء رجل إلى أبى بكر فقال: أرأيت الزنا بقَدَر ؟ قال : نعم ، قال : فإن الله قَدَّره عَلَيَّ ثم يعذبنى ، قال : نعم يا ابن اللَّخناء ، أما والله لو كان عندى إنسان أمرت أن يَجَأ أنفك .

وأخرج ابن أبى شَيْبة فى مصنفه عن الزبير أن أبا بكر قال وهو يخطب الناس : يامعشر الناس ، أستحيُوا من الله ؛ فوالذى نفسى بيده إنى لأظل حين أذهب إلى الغائط فى الفَضَاء مُغَطِياً رأسى استحياء من الله .

وأخرج عبدالرزاق فى مصنفه عن عمرو بن دينار قال: قال أبو بكر: استَحْيُوا من الله ؛ فوالله إنى لأدخل الكنيف فأسند ظهرى إلى الحائط حياء من الله .

وأخرج أبو داود فى سننه عن أبى عبد الله الصُّنَابِحِيِّ أنه صلى وراء أبى بكر الصِّدِّيق المغربَ ، فقرأ فى الركعتين الأوليين بأم القرآن وسورة من قصار المفصل، وقرأ فى الثالثة (رَبَّنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعدَ إذْ هَدَيتنا) الآية .

وأخرج ابن أبى خيثمة وابن عساكر عن ابن عُيَيْنة قال : كان أبو بكر إذا عَزَّى رجلا قال : ليس مع العزاء مصيبة ، ولَيس مع الجزع فائدة ، الموت أهْوَنُ مما قبله ، وأشدمما بعده ، اذكروا فَقْدَ النبى عليه الصلاة والسلام تَصْغُرْ مصيبتُكم، وأعْظَمَ الله أجركم .

وأخرج ابن أبى شَيْبة والدارقطنى عن سالم بن عبيد ــ وهو صحابىّ ــ قال : كان أبو بكر الصديق يقول لى : قم بينى وبين الفجر حتى أتسَحَّرَ .

وأخرج عن أبى قُلابة وأبى السفر قالا : كان أبو بكر الصديق يقول : أجِيفُوا الباب حتى نتسحَّرَ [1] .

(١) أجيفوا الباب : أى أغلقوه وردوه .

وأخرج البيهقى وأبو بكر زيادة النيسابورى فى كتاب الزيادات ، عن حذيفة ابن أسيد قال : أدركت أبا بكر وعمر ومايُضَحِّيَانِ ، إرادة أن يستن بهما .

وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال : شهدت على أبى بكر الصديق أنه قال: كُلُوا الطَّافى من السمك .

وأخرج الشافعى فى الأم عن أبى بكر الصديق أنه كَرِهَ بيع اللَّحْم بالحيوان

وأخرج البخارى عنه أنه جعل الْجَدّ بمنزلة الأب ، يعنى فى الميراث .

وأخرج ابن أبى شَيْبة فى مصنفه عن عطاء عن أبى بكر قال : الجد بمنزلة الأب مالم يكن أب دونه ، وابْنُ الابن بمنزلة الابن مالم يكن ابنٌ دونه .

وأخرج عن القاسم أن أبا بكر أتى برجل انتَفَى من أبيه ، فقال أبو بكر : اضْرِبِ الرأس ؛ فإن الشيطان فى الرأس .

وأخرج عن ابن أبى مالك قال : كان أبو بكر إذا صَلَّى على الميت قال :اللهم عبدك أسلَمَهُ الأهل والمال والعشيرة ، والذنب عظيم ، وأنت غفور رحيم .

وأخرج سعيد بن منصور فى سننه عن عمر أن أبا بكر قَضَى بعاصم بن عمر بن الخطاب لأم عاصم ، وقال : ريحها وشمها ولطفها خير له منك .

وأخرج البيهقى عن قيس بن أبى حازم قال : جاء رجل إلى أبى بكر فقال : إن أبى يريد أن يأخذ مالى كله يَجْتَاحه[1] ، فقال لأبيه: إنما لك من ماله مايكفيك ، قال : ياخليفة رسول الله ، أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت ومالك لأبيك ؟ فقال : نعم ، وإنما يعنى بذلك النفقة .

وأخرج أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أبا بكر وعمر كانا لا يقتلان الْحُرّ بالعبد .

وأخرج البخارى عن ابن أبى مليكة عن جده أن رجلا عَضَّ يَدَ رجل فأندَرَ[2] ثَنِيَّتَهُ فأهْدَرَهَا أبو بكر .

(١) يجتاحه : يهلكه . (٢) أندر ثنيته : قلع سنه .

وأخرج ابن أبي شَيْبة والبيهقي عن عكرمة أن أبا بكر قضى في الأذُن بخَمْسَ عَشْرَةَ من الإبل ، وقال : يُوَارِي شَيْنَهَا الشَّعْرُ والعمامة .

وأخرج البيهقي وغيره عن أبي عمران الجوني أن أبا بكر بعث جيوشاً إلى الشام ، وأمَّرَ عليهم يزيد بن أبي سفيان ، قال : إني مُوصِيكَ بعشر خلال : لاتقتلوا امرأة ، ولا صبيًّا ، ولا كبيراً هرماً ، ولا تقطع شَجَراً مُثْمِراً ، ولاتخربن عامراً ، ولا تعقر شاة ولا بعيراً إلا لمأكله ، ولا تغرقنَّ نخلا ، ولا تحرقنَّه ، ولا تَغْلُلْ ، ولا تجبن .

وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي بَرْزَةَ الأسلمي ، قال : غضب أبو بكر من رجل فاشتدَّ غضبه جداً ، فقلت : ياخليفة رسول الله أضرب عنقه ؟ قال : ويلك ! ماهي لأحدٍ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج سيف في كتاب الفتوح عن شيوخه أن المهاجر بن أبي أمية ـ وكان أميراً على اليمامة ـ رفع إليه امرأتان مغنيتان غَنَّتْ إحداهما بشتم النبي عليه الصلاة والسلام فقطع يدها ونزع ثَنِيَّتها ، وغَنَّتِ الأخرى بهجاء المسلمين فقطع يدها ، ونزع ثنيتها ؛ فكتب إليه أبو بكر : بلغني الذي فعلتَ في المرأة التي تَغَنَّتْ بشتم النبي صلى الله عليه وسلم ، فلولا ماسبقتني فيها لأمرتك بقتلها ؛ لأن حَدَّ الأنبياء ليس يشبه الحدود ؛ فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد ، أو معاهدٍ فهو محارب غادر ، وأما التي تغنت بهجاء المسلمين : فإن كانت ممن يدعى الإسلام ، فأدبٌ وتعزيرٌ دون المثلة ، وإن كانت ذمية فلعمري لَمَا صفحت عنه من الشرك أعظم ولو كنت تقدمت إليك في مثل هذا لبلغت مكروها ، فاقبل الدَّعَة ، وإياك والمُثْلة في الناس ؛ فإنها مأثم ومنفرة إلا في قصاص .

وأخرج مالك والدارقطني عن صفية بنت أبي عبيد أن رجلا وقع على جارية بكر ، واعترف ، فأمر به فجلد ، ثم نَفَاهُ إلى فَدَك .

وأخرج أبو يعلى عن محمد بن حاطب قال : جيء إلى أبى بكر برجل قد سرق ، وقد قُطعَتْ قوائمه ، فقال أبو بكر : ماأجد لك شيئاً إلا ماقضى فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أمر بقتلك ؛ فإنه كان أعلم بك ، فأمر بقتله .

وأخرج مالك عن القاسم بن محمد أن رجلا من أهل اليمن أقْطَعَ اليدِ والرِّجْلِ قدم فنزل على أبى بكر ، فشكا إليه أن عامل اليمن ظلمه ، فكان يصلى من الليل ، فيقول أبو بكر : وأبيك مالَيْلُك بليل سارق ، ثم إنهم افتقدوا حُليا لأسماء بنت عُمَيس امرأةِ أبى بكر ، فجعل يطوف معهم ، ويقول : اللهم عليك بمن بَيَّتَ أهل هذا البيت الصالح ، فوجدوا الحلىَّ عند صائغ زعم أن الأقْطَعَ جاءه به ، فاعترف الأقطع أو شُهِدَ عليه ، فأمر به أبو بكر ، فقطعت يده اليسرى وقال أبو بكر : والله لدعاؤه على نفسه أشدُّ عندى عليه من سرقته .

وأخرج الدارقطنى عن أنس أن أبا بكر قطع فى مِجَنّ قيمته خمسة دراهم .

وأخرج أبو نُعيم فى الحلية عن أبى صالح قال : لما قدم أهل اليمن زَمَانَ أبى بكر وسمعوا القرآن جعلوا يبكون ، فقال أبو بكر : هكذا كنا ، ثم قَسَتِ القلوب . قال أبو نُعيم : أى قويت واطمأنت بمعرفة الله تعالى .

وأخرج البخارى عن ابن عمر قال : قال أبو بكر : أرْقُبُوا محمداً عليه الصلاة والسلام فى أهل بيته .

وأخرج أبو عبيد فى الغريب عن أبى بكر قال : طُوبى لمن مات فى النأْنأة أى فى أوّل الإسلام قبل تحرُّكِ الفتن .

وأخرج الأربعة ومالك عن قبيصة قال : جاءت الجدة إلى أبى بكر الصديق تسأله ميراثها ، فقال : مالك فى كتاب الله [شىء] وماعلمت لك فى سنة نبى الله عليه الصلاة والسلام شيئاً ، فارجعى حتى أسأل الناس ، فسأل الناس ، فقال

المغيرة بن شعبة : حضرتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس ، فقال أبو بكر : هل مَعَكَ غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ماقال المغيرة ، فأنفذه لها أبو بكر .

وأخرج مالك والدارقطنى عن القاسم بن محمد : أن جدتَين أتتا أبا بكر تطلبان ميراثهما أم أم وأم أب ، فأعطى الميراث لأم الأم ، فقال له عبد الرحمن ابن سهل الأنصارى ـ وكان ممن شهد بدراً ، وهو أخو بنى حارثة ـ ياخليفة رسول الله ، أعطيت التى لو أنها ماتت لم يرثها ، فقسمه بينهما .

وأخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن عائشة رضى الله عنها حديث امرأة رفاعة التى طلقت منه ، وتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير ، فلم يستطع أن يغشاها وأرادت العَوْدَ إلى رفاعة ، فقال لها رسول الله عليه الصلاة والسلام : « لا ، حتى تذوقى عُسَيْلته ويذوق عُسَيْلتك » وهذا القدر فى الصحيح وزاد عبدالرزاق فقعدَتْ ثم جاءته فأخبرته أنه قد مسها ، فمنعها أن ترجع إلى زوجها الأول، وقال : اللهم إن كان أنى بها أن ترجع إلى رفاعة فلا يتم لها نكاحه مرة أخرى ، ثم أتت أبا بكر وعمر فى خلافتهما فمنعاها .

وأخرج البيهقى عن عقبة بن عامر أن عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة بعثاه بريداً إلى أبى بكر برأس بنان بطريق الشام، فلما قدم على أبى بكر أنكر ذلك، فقال له عقبة : ياخليفة رسول الله فإنهم يصنعون ذلك بنا، قال : أفيَسْتَنَّان بفارس والروم ، لا يُحْمل إلىَّ رأس ؟ إنما يكفى الكتاب والخبر .

وأخرج البخارى عن قيس بن أبى خازم قال : دخل أبو بكر على امرأة من أحْمَسَ يقال لها : زينب ، فرآها لاتتكلم ، فقال : مالها لاتتكلم ؟ فقالوا : حَجَّتْ مصمتة ، قال لها : تكلمى ؛ فإن هذا لايحل ، هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت، فقالت : مَنْ أنت ؟ قال : امرؤ من المهاجرين ، قالت : أى المهاجرين ؟

قال : من قريش ، قالت : من أى قريش ؟ قال : إنك لَسَؤُولٌ ، أنا أبو بكر ، قالت : مابقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذى جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم عليه مااستقامت أئمتكم ، قالت : وما الأئمة ؟ قال : أو ما كان لقومك رؤس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم ؟ قالت : بلى ، قال : فهم أولئك الناس .

وأخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان لأبى بكر غلام يخرج له الخَرَاجَ ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوماً بشىء ، فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام : تدْرِى ماهذا ؟ قال أبو بكر : ماهو ؟ قال : كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية ـ وما أحْسِنُ الكهانة ، إلا أنى خدعته ـ فلقينى ، فأعطانى هذا الذى أكَلْتَ منه ، فأدخل أبو بكر يده ، فقاء كُلَّ شىء فى بطنه .

وأخرج أحمد فى الزهد عن ابن سيرين قال : لم أعلم أحداً استقاء من طعام أكله غير أبى بكر ، وذكر القصة .

وأخرج النسائى عن أسلم أن عمر اطَّلَعَ على أبى بكر وهو آخِذٌ بلسانه ، فقال : هذا الذى أوردنى الموارد .

وأخرج أبو عبيد فى الغريب عن أبى بكر أنه مرّ بعبد الرحمن بن عوف وهو يماظُّ جاراً له ، فقال له : لاتماظَّ جارك ، فإنه يبقى ويذهب عنك الناسُ . المُمَاظَّةُ : المنازعة والمخاصمة .

وأخرج ابن عساكر عن موسى بن عُقْبة أن أبا بكر الصديق كان يخطب فيقول : الحمد لله رب العالمين ، أحمده وأستعينه ، ونسأله الكرامة فيما بعد الموت فإنه قد دنا أجلى وأجلكم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله أرْسَلَه بالحق بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً لينذر من كان حيًّا

ويحق القول على الـكافرين ، ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد ضلَّ ضلالاً مبينا ، أوصيكم بتقوى الله ، والاعتصام بأمر الله الذى شرع لـكم وهداكم به ، فإن جوامع هُدَى الإسلام بعد كلة الإخـــلاص السمع والطاعة لمن وَلَّاه الله أمركم ، فإنه من يطع الله وأولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد أفلح وأدّى الذى عليه من الحقّ ، وإياكم واتباع الهوى ، فقد أفلح من حُفظ من الهوى والطمع والغضب ، وإياكم والفخر ، ومافَخْرُ من خلق من تراب، ثم إلى التراب يعود، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حىٌّ وغداً ميت؟ فاعملوا يوماً بيوم ، وساعة بساعة، وتوقَّوْا دعاء المظلوم، وعُدُّوا أنفسكم فى الموتى ، واصبروا فإن العمل كله بالصبر ، واحذروا والحذر ينفع ، واعملوا والعمل يقبل، واحذروا ماحَذَركم الله من عذابه ، وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته، وافهموا وتَفَهَّمُوا ، واتَّقُوا وتوقوا ، فإن الله قد بين لـكم ماأهلك به من كان قبلـكم ، ومانَجَّى به من نجى من قبلـكم ، قد بين لـكم فى كتابه حلاله وحرامه ومايحبُّ من الأعمال ومايـكرهُ ، فإنى لاآلوكم ونفسى ، واللهُ المستعان ، ولاحول ولا قوّة إلا بالله ، واعلموا أنـكم ماأخلصتم لله من أعمالـكم ، فرَبَّـكُمْ أطعتم ، وحَظَّـكم حفظتم ، واغتبطتم ، وماتطوعتم به لدينـكم فاجعلوه نوَافلَ بين أيديكم تستوفوا اسلافـكم ، وتُعْطَوْا جرايتـكم حين فقركم وحاجتكم إليها ، ثم تفـكروا عباد الله فى إخوانـكم وصحابتكم الذين مَضَوْا ، قد وردوا على ماقدَّموا فأقاموا عليه ، وحلوا فى الشقاء والسعادة فيما بعد الموت ، إن الله ليس له شريك ، وليس بينه وبين أحَدٍ من خلقه نَسَبٌ يعطيه بهخيراً ، ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره ؛ فإنه لاخير فى خير بعده النار ، ولا شرَّ فى شر بعده الجنة . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولـكم ، وصَلوا على نبيـكم صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

وأخرج الحاكم والبيهقي عن عبد الله بن حكيم قال : خطبنا أبو بكر الصديق فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أوصيكم بتقوى الله ، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل ، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة ؛ فإن الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال :(إنهم كانوا يسارعون في الخيرات، ويدعوننا رَغَباً ورَهَباً، وكانوا لنا خاشعين) ثم اعلموا عباد الله أن الله قد أرتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك مواثيقكم، واشترى منكم القليل الفانى بالكثير الباقى، وهذا كتاب الله فيكم لا يُطفأ نوره ولا تنقضى عجائبه ؛ فاستضيئوا بنوره ، وانتصحوا كتابه ، واستضيئوا منه ليوم الظلمة ، فإنه إنما خلقكم لعبادته ، ووكل بكم كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون، ثم أعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون فى أجل قد غُيِّبَ عنكم علمه ؛ فإن استطعتم أن تنقضى الآجال وأنتم فى عمل الله فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بإذن الله ، سابقوا فى آجالكم قبل أن تنقضى آجالكم فتردكم إلى أسوأ أعمالكم؛ فإن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم ، ونسوا أنفسهم ، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم؛ فالوحا الوحا ، ثم النَّجاء النجاء ، فإن وراءكم طالباً حثيثاً أمره سريع .

وأخرج ابن أبى الدنيا وأحمد فى الزهد وأبو نعيم فى الحلية عن يحيى بن أبى كثير أن أبا بكر كان يقول فى خطبته : أين الوضاء الحسنة وجوههم المُعْجَبُونَ بشبابهم ؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصَّنوها ؟ أين الذين كانوا يُعْطَوْنَ الغلبة فى مواطن الحرب ؟ قد تضعضع أركانهم حين أخنى بهم الدهر وأصبحوا فى ظلمات القبور ! الوَحَا الوحا ثم النجاء النجاء .

وأخرج أحمد فى الزهد عن سلمان قال : أتيت أبا بكر ، فقلت : اعْهَدْ إلىَّ، فقال : ياسلمان ، اتق الله واعلم أنه سيكون فتوح فلا أعرفنَّ ما كان حظك منها ماجعلته فى بطنك أو ألقيته على ظهرك ، واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس؛ فإنه يصبح فى ذمة الله ، ويمسى فى ذمة الله تعالى ؛ فلا تقتلن أحداً من أهل ذمة الله فتخفر الله فى ذمته فيكبك الله فى النار على وجهك .

وأخرج عن أبى بكر رضى الله عنه قال : يُقْبَضُ الصالحون الأول فالأول حتى يبقى من الناس حُثَالة كحُثَالة التمر والشعير ، لايُبَالى الله بهم .

وأخرج سعيد بن منصور فى سننه عن معاوية بن قُرة أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يقول فى دعائه : اللهم اجعل خير عمرى آخِرَهُ ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يومَ لقائك .

وأخرج أحمد فى الزهد عن الحسن ، قال : بلغنى أن أبا بكر كان يقول فى دعائه : اللهم إنى أسألك الذى هو خيرٌ لى فى عاقبة الأمر ، اللهم اجعل آخر ماتعطينى من الخير رضوانَكَ والدرجات العلى من جنات النعيم .

وأخرج عن عرفجة قال : قال أبو بكر رضى الله عنه : مَن استطاع أن يبكى فليَبْكِ ، وإلا فليتباكَ .

وأخرج عن عزرة عن أبى بكر رضى الله عنه ، قال : أهلكهن الأحمران : الذهب ، والزعفران .

وأخرج عن مسلم بن يَسَار عن أبى بكر ، قال : إن المسلم لَيُؤْجَرُ فى كل شىء ، حتى فى النكبة وانقطاع شِسْعِهِ ، والبضاعة تكون فى كمه فيفقدها فيفزع لها فيجدها فى غبنه .

وأخرج عن ميمون بن مهران ، قال : أُتى أبو بكر بغراب وافر الجناحين ، فقلبه ثم قال : ماصيد من صيد ولا عضدت من شجرة إلا [بما] ضَيَّعَتْ من التسبيح .

وأخرج البخارى فى الأدب وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد عن الصُّنَابحى أنه سمع أبا بكر يقول : إن دعاء الأخ لأخيه فى الله يستجاب .

وأخرج عبد الله فى زوائد الزهد عن عبيد بن عمير عن لبيد الشاعر أنه قدم على أبى بكر فقال : * ألا كلُّ شىء ماخلا الله باطل * فقال : صدقت ، فقال : * وكل نعيم لامحالة زائل * فقال : كذبت ، عند الله نعيم لايزول ، فلما ولى قال أبو بكر : ربما قال الشاعر الكلمة من الحكمة .

فصـــل

فى كلماته الدالة على شدة خوفه من ربه

أخرج أبو أحمد الحاكم عن معاذ بن جبل قال: دخل أبو بكر حائطا ، وإذا بدبسى فى ظل شجرة ، فتنفس الصُّعَداء، ثم قال : طوبى لك ياطير ! تأكل من الشجر ، وتستظل بالشجر ، وتصير إلى غير حساب ، ياليت أبا بكر مثلك .

وأخرج ابن عساكر عن الأصمعى ، قال : كان أبو بكر إذا مُدِح قال: اللهم أنت أعلم منى بنفسى ، وأنا أعلم بنفسى منهم ، اللهم اجعلنى خيراً مما يظنون ، واغفر لى مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون .

وأخرج أحمد فى الزهد عن أبى عمران الجونى، قال : قال أبو بكر الصديق: لوَدِدْتُ أنى شعرة فى جنب عبد مؤمن .

وأخرج أحمد فى الزهد عن مجاهد ، قال : كان ابن الزبير إذا قام فى الصلاة كأنه عُود ، من الخشوع ، قال : وحدثت أن أبا بكر كان كذلك .

وأخرج عن الحسن قال : قال أبو بكر : والله لوددت أنى كنت هذه الشجرة تؤكل وتُعْضَد .

وأخرج عن قتادة قال : بلغنى أن أبا بكر قال : وددت أنى خَضِرَةٌ تأكلنى الدوابُّ .

وأخرج عن ضَمْرة بن حبيب قال : حضرت الوفاة ابناً لأبى بكر الصديق، فجعل الفتى يلحظ إلى وسادة ، فلما توفى قالوا لأبى بكر : رأينا ابنك يلحظ إلى وسادة ، فدفعوه عن الوسادة ، فوجدوا تحتها خمسة دنانير أو ستة ، فضرب أبو بكر بيده على الأخرى يُرَجِّع ويقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يافلان ما أحسب جلدك يتسِـع لها .

وأخرج عن ثابت البنانى أن أبا بكر كان يتمثل بهذا الشعر[1] :

لا تزال تنعى حبيباً حتى تكونه وقد يرجو الفتى الرجا يموت دونه

(١) هكذا وقع والذى بعد هذا لا يوافق وزنا من أوزان الشعر المعروفة .

وأخرج ابن سعد عن ابن سيرين قال : لم يكن أحد بعد النبى صلى الله عليه وسلم أَهْيَبَ لما لا يعلم من أبى بكر ، ولم يكن أحد بعد أبى بكر أَهْيَبَ لما لا يعلم من عمر ، وإن أبا بكر نزلت فيه قضية ، فلم يجد لها فى كتاب الله أصلا ، ولا فى السُّنة أثراً ، فقال : أجتهد رأيى ، فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنى وأستغفر الله .

فصــــل

فيما ورد عنه من تعبير الرؤيا

أخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب قال : رأت عائشة رضى الله عنها كأنه وقع فى بيتها ثلاثةُ أقمار ، فقصّتها على أبى بكر - وكان من أَعْبَرِ الناس - فقال : إن صَدَقَتْ رؤياك ليدفَنَنّ فى بيتك خير أهل الأرض ثلاثاً ، فلما قبض النبى صلى الله عليه وسلم قال : ياعائشة هذا خير أقمارك .

وأخرج أيضاً عن عمر بن شرحبيل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيتنى أردفت غنم سود ثم أردفتها غنم بيض حتى ماتُرَى السودُ فيها » ، فقال أبو بكر : يارسول الله ، أما الغنم السود فإنها العرب يُسْلِمُونَ ويكثرون ، والغنم البيض الأعاجم يسلمون حتى لايرى العرب فيهم من كثرتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كذلك عَبَرَهَا المَلَكُ سحراً » .

وله عن ابن أبى ليلى قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « رأيتنى على بئر أنزع فيها ، فوردتنى غنم سود ، ثم ردفها غنم عُفْر ، فقال أبو بكر : دعنى أَعْبُرُهَا » فذكر نحوه .

وأخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين قال : كان أَعْبَرَ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر .

وأخرج ابن سعد عن ابن شهاب قال : رأى رسولُ الله عليه الصلاة والسلام رؤيا ، فقصها على أبى بكر ، فقال : « رأيت كأنى استبقت أنا وأنت درجة ،

فسبقتك بمرقاتين ونصف ، قال : يارسول الله يقبضك الله إلى مغفرة ورحمة ، وأعيش بعدك سنتين ونصفاً .

وأخرج عبد الرزاق فى مصنفه ، عن أبى قِلاَبَةَ أن رجلا قال لأبى بكر الصديق : رأيت فى النوم أنى أبول دماً ، قال : أنت رجل تأتى امرأتك وهى حائض ؛ فاستغفر الله ولا تَعُدْ .

فائدة

أخرج البيهقى فى الدلائل عن عبدالله بن بريدة ،قال : بَعَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص فى سَرِيَّةٍ فيهم أبو بكر وعمر ، فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو ألا ينوروا ناراً ، فغضب عمر ، فهمَّ أن يأتيه ، فنهاه أبو بكر ،وأخبره أنه لم يستعمله رسولُ الله عليه الصلاة والسلام عليك إلا لعلمه بالحرب ، فهدأ عنه .

وأخرج البيهقى من طريق أبى معشر عن بعض مشيختهم أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « إنى لأُؤَمِّرُ الرجل على القوم فيهم مَنْ هو خير منه لأنه أيقظ عيناً وأَبْصَرُ بالحرب » .

فصـــل

وأخرج خليفة بن خياط وأحمد بن حنبل وابن عساكر عن يزيد بن الأصم « أن النبى عليه الصلاة والسلام قال لأبى بكر : أنا أكبر أو أنت ؟ قال : أنت أكبر وأكرم وأنا أَسَنُّ منك » مرسل غريب جداً ، فإن صح عُدَّ هذا الجواب من فرط ذكائه وأدبه ، والمشهور أن هذا الجواب للعباس ، وقد وقع أيضاً لسعيد ابن يربوع ، أخرجه الطبرانى ، ولفظه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : أينا أكبر ؟ قال : أنت أكبر وأَخْيَرُ منى ، وأنا أَقْدَمُ » .

وأخرج أبو نعيم أن أبا بكر قيل له : ياخليفة رسول الله ألا تستعمل أهل بدر ؟ قال : إنى أرى مكانهم ، ولكنى أكره أن أدنسهم بالدنيا .

وأخرج أحمد فى الزهد عن إسماعيل بن محمد أن أبا بكر قَسَمَ قسما فَسَوَّى فيه

بين الناس ، فقال له عمر : تسوى بين أصحاب بدر وسواهم من الناس ؟ فقال أبو بكر : إنما الدنيا بلاغ ، وخير البلاغ أوسعه ، وإنما فَضْلُهم فى أجورهم .

فصــــل

أخرج أحمد فى الزهد عن أبى بكر بن حفص قال : بلغنى أن أبا بكر كان يصوم الصيف ويُفْطِر الشتاء .

وأخرج ابن سعد عن حيان الصائغ ، قال : كان نقش خاتم أبى بكر « نعم القادر الله » .

﴿ فائدة ﴾ أخرج الطبرانى عن موسى بن عقبة قال: لا نعلم أربعة أدركوا النبى عليه الصلاة والسلام وأبناؤهم إلا هؤلاء الأربعة : أبو قحافة ، وابنه أبو بكر الصديق ، وابنه عبد الرحمن ، وأبو عتيق بن عبد الرحمن واسمه محمد .

وأخرج ابن مَنْدَه وابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما أسلم أبو أحد من المهاجرين إلا أبو أبى بكر .

﴿ فائدة ﴾ أخرج ابن سعد والبزار بسند حسن عن أنس قال : كان أَسَنَّ أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام أبو بكر الصديق، وسُهَيْل بن عمرو بن بَيْضَاء.

﴿ فائدة ﴾ أخرج البيهقى فى الدلائل عن أسماء بنت أبى بكر قالت : لما كان عام الفتح خرجت ابنة لأبى قُحَافة فلقيتها الخيل ـ وفى عنقها طَوْقٌ من وَرِق ـ فاقتطعه إنسان من عُنُقها، فلما دخل النبى عليه الصلاة والسلام المسجد قام أبو بكر وقال : أنشد بالله والإسلام طَوْقَ أختى ، فوالله ما أجابه أحد ، ثم قال الثانية فما أجابه أحد، ثم قال : يا أختاه احتسبى طوقك، فوالله إن الأمانة اليوم فى الناس لقليل.

﴿ فائدة ﴾ رأيت بخط الحافظ الذهبى: من كان فَرْدَ زمانه فى فنه : أبو بكر الصديق فى النسب، عمر بن الخطاب فى القوة فى أمر الله، عثمان بن عفان فى الحياء، علىٌّ فى القضاء ، أُبَىُّ بن كعب فى القراءة ، زيد بن ثابت فى الفرائض، أبو عبيدة ابن الجراح فى الأمانة ، ابن عباس فى التفسير ، أبو ذر فى صِدْق اللهجة ،

خالد بن الوليد فى الشجاعة ، الحسن البصرى فى التذكير ، وَهْب بن مُنَبِّه فى القَصَص، ابن سيرين فى التعبير، نافع فى القراءة ، أبو حنيفة فى الفقه ، ابن إسحاق فى المغازى ، مُقَاتِل فى التأويل، الكلبى فى قصص القرآن ، الخليل فى العروض، فُضَيْل بن عياض فى العبادة ، سيبويه فى النحو ، مالك فى العلم ، الشافعى فى فقه الحديث ، أبو عُبَيْدة فى الغريب ، على بن المدينى فى العلل ، يحيى بن مَعِين فى الرجال ، أبو تمام فى الشعر ، أحمد بن حنبل فى السُّنَّة ، البخارى فى نقد الحديث ، الجُنَيْدُ فى التصوف ، محمد بن نصر المروزى فى الاختلاف ، الجُبَّائى فى الاعتزال ، الأشعرى فى الكلام ، محمد بن زكريا الرازى فى الطبِّ ، أبو معشر فى النجوم ، إبراهيم الكرمانى فى التعبير ، ابن نُبَاتة فى الخُطَب ، أبو الفرج الأصبهانى فى المحاضرة ، أبو القاسم الطبرانى فى العوالى ، ابن حزم فى الظاهر ، أبو الحسن البكرى فى الكذب ، الحريرى فى مقاماته ، ابن مَنْده فى سَعَة الرحلة ، المتنبى فى الشعر ، الموصلى فى الغناء، الصولى فى الشطرنج ، الخطيب البغدادى فى سرعة القراءة ، على بن هلال فى الخط ، عطاء السليمى فى الخوف، القاضى الفاضل فى الإنشاء، الأصمعى فى النوادر، أشْعَبُ فى الطمع، مَعْبَد فى الغناء، ابن سينا فى الفلسفة .

عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه

عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن رياح بن قُرْط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى، أمير المؤمنين، أبو حفص، القرشى ، العَدَوِىّ، الفاروق أسلم فى السنة السادسة من النبوة ، وله سبع وعشرون سنة ، قاله الذهبى .

وقال النووى : ولد عمر بعد الفيل بثلاثَ عَشْرَةَ سنة ، وكانَ من أشراف قريش ، وإليه كانت السِّفارة فى الجاهلية، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم — أو بينهم وبين غيرهم — بعثوه سفيراً: أى رسولا ، وإذا نافرهم مُنَافر أو فاخرهم مفاخِر بعثوه منافراً أو مفاخراً .

وأسلم قديماً بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة، وقيل : بعد تسعة وثلاثين رجلا وثلاث وعشرين امرأة، وقيل : بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة ، فما هو إلا أن أسْلَمَ فظهر الإسلام بمكة وفرح به المسلمون .

قال : وهو أحد السابقين الأولين ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الخلفاء الراشدين ، وأحد أصهار النبي عليه الصلاة والسلام ، وأحد كبار علماء الصحابة وزُهَّادهم .

رُوِيَ له عن النبي عليه الصلاة والسلام خمسمائة حديث وتسعة وثلاثون حديثاً. روى عنه عثمان بن عفان، وعلي [بن أبي طالب] وطَلْحَة [بن عبيدالله]، وسعد [بن أبي وَقّاص]، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود ، وأبو ذر، وعمرو بن عبسة، وابنه عبدالله ، وابن عباس، وابن الزبير، وأنس ، وأبو هريرة، وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعري، والْبَرَاء بن عازب، وأبو سعيد الخدري، وخلائق آخرون من الصحابة وغيرهم ، رضي الله عنهم ! .

أقول : وأنا ألخص هنا فصولا فيها جملة من الفوائد تتعلق بترجمته .

فصل

في الأخبار الواردة في إسلامه

أخرج الترمذي عن ابن عمر «أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: اللهم أعِزَّ الإسلام بأحَبِّ هذين الرجلين إليك : بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام» وأخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود وأنس رضي الله عنهم .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس« أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اللهم أعِزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة » وأخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي بكر الصديق ، وفي الكبير من حديث ثَوْبَان .

وأخرج أحمد عن عمر قال: خرجت أتعرَّضُ رسول الله عليه الصلاة والسلام،

فوجدته قد سبقني إلى المسجد ، فقمت خَلْفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن،فقلت : والله هذا شاعر كما قالت قريش ، فقرأ (إنه لقول رسول كريم،وماهو بقول شاعر،قليلا ماتؤمنون) الآيات ، فوقع في قلبي الإسلام كلُّ موقع .

وأخرج ابن أبي شيبة عن جابر قال : كان أول إسلام عمر أن عمر قال:ضَرَبَ أختي المخاضُ[1] ليلا ، فخرجت من البيت ، فدخلت في أستار الكعبة ، فجاء النبي عليه الصلاة والسلام،فدخل الحِجْرَ وعليه بَتَّان[2] ، وصلى لله ماشاءالله، ثم انصرف،فسمعت شيئاً لم أسمع مثله،فخرج ، فاتبعته،فقال : مَنْ هذا ؟ فقلت: عمر ، فقال : ياعمر ماتَدَعُني لا ليلا ولا نهاراً ؟ فخشيت أن يدعو عليّ ، فقلت: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنك رسول الله،فقال : ياعمر ، أسِرَّهُ،قلت:لاوالذي بعثك بالحق لأُعْلِنَنَّه كما أعلنت الشِرْك .

وأخرج ابن سعد وأبو يعلى والحاكم والبيهقي في الدلائل عن أنس رضي الله عنه قال : خرج عمر متقلداً سيفه،فلقيه رجل من بني زُهْرة ، فقال : أين تعمد ياعمر؟ فقال : أريد أن أقتل محمداً ، قال : وكيف تأمن من بني هاشم وبني زُهْرَةَ وقد قتلت محمداً ؟ فقال : ما أراك إلا قد صَبَأْتَ ، قال : أفلا أدلك على العجب،إن خَتَنَكَ[3] وأختك قد صَبَئا وتركا دينك ، فمشى عمر ، فأتاهما وعندهما خَبَّاب، فلما سمع بحس عمر توارى في البيت ، فدخل ، فقال : ماهذه الْهَيْنَمَة[4]؟وكانوا يقرءون طٰه ، قالا:ماعدا حديثاً تحدَّثْنَاه بيننا ، قال : فلعلكما قد صبأتما،فقال له خَتَنُهُ[3] : ياعمر،إن كان الحق في غير دينك،فوثب عليه عمر،فوطئه وطأً شديداً، فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها،فنفحها نفحة بيده، فدمَّى وجهها ، فقالت ــ وهي غضبى ــ : وإن كان الحق في غير دينك،إني أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فقال عمر:أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه ــ وكان عمر

(١) المخاض : ألم الولادة . (٢) البت : كساء من صوف غليظ .
(٣) ختنه ، ختنك : زوج أخته . (٤) الهينمة : الصوت الخفي .

يقرأ الكتاب - فقالت أخته : إنك رِجْسٌ ، وإنه لا يمسُّه إلا المطهرون [فقم فاغتسل أو توضأ] فقام فتوضأ ، ثم أخذ الكتاب ، فقرأ طه حتى انتهى إلى : (إننى أنا الله لا إلهَ إلا أنا فاعبدنى ، وأقم الصلاة لذكرى) ، فقال عمر : دُلُّونى على محمد ، فلما سمع خَبَّاب قول عمر خرج ، فقال : أبشر يا عمر ، فإنى أرجو أن تكون دعوة رسول الله عليه الصلاة والسلام لك ليلة الخميس : « اللهمَّ أعِزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب ، أو بعمرو بن هشام » ، وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام فى أصل الدار التى فى أصل الصّفا ، فانطلق عمر حتى أتى الدار ، وعلى بابها حمزة وطلحة وناس ، فقال حمزة : هـذا عمر ؛ إن يُرِدِ الله به خيراً يُسْلِمْ ؛ وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هيناً ، وقال : والنبى صلى الله عليه وسلم داخل يُوحى إليه ، فخرج حتى أتى عمر ، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف ، فقال : ماأنت بمنتهٍ ياعمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ماأنْزَلَ بالوليد بن المغيرة ، فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبد الله ورسوله .

وأخرج البزار والطبرانى وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الدلائل عن أسلم قال : قال لنا عمر : كنتُ أشَدَّ الناس على رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فبينا أنا فى يوم حار بالهاجرة فى بعض طرق مكة إذ لقينى رجل فقال : عجباً لك ياابن الخطاب ، إنك تزعم أنك وأنك ، وقد دخل عليك الأمرُ فى بيتك ، قلت : وماذاك ؟ قال : أختك قد أسلمت ، فرجعت مُغْضَباً حتى قرعت الباب ، قيل : مَنْ هذا ؟ قلت : عمر ، فتبادَرُوا فاختفوا منى ، وقد كانوا يقرؤن صحيفة بين أيديهم تركوها ونَسُوها ، فقامت أختى تفتح الباب ، فقلت : ياعدوة نفسها أصَبَأْتِ ؟ وضربتها بشىء كان فى يدى على رأسها ، فسال الدمُ وبكت ، فقالت : ياابن الخطاب ماكنت فاعلا فافعل فقد صبأت ، قال : ودخلت حتى جلست على السرير ، فنظرت إلى الصحيفة فقلت : ماهذا ؟ ناولينيها ، قالت : لست من أهلها

إنك لاتطهر من الجنابة ، وهذا كتاب لايمسُّه إلا المطهرون ، فما زلت بها حتى ناولتنيها ففتحتها فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، فلما مررت باسم من أسماء الله تعالى ذُعِرْتُ منه ، فألقيت الصحيفة ، ثم رجعت إلى نفسي فتناولتها فإذا فيها : (سبح لله مافى السموات والأرض) فذعرت فقرأت إلى (آمنوا بالله ورسوله) فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله،فخرجوا إلىَّ مبادرين وكبروا وقالوا : أبشر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال : « اللهم أعِزّ دينك بأحب الرجلين إليك : إما أبو جهل بن هشام ، وإما عمر » ودلونى على النبي عليه الصلاة والسلام فى بيت بأسفل الصفا ، فخرجت حتى قرعت الباب ، فقالوا : مَن ؟ قلت : ابن الخطاب ، وقد علموا شدتى على رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فما اجترأ أحد يفتح الباب حتى قال عليه الصلاة والسلام : افتحوا له ، ففتحوا لى فأخذ رجلان بعضدىَّ حتى أتيا بى النبىَّ عليه الصلاة والسلام ، فقال : خَلّوا عنه ، ثم أخذ بمجامع قميصى وجذبنى إليه ثم قال : أسلم ياابن الخطاب، اللهم اهْدِهْ فتشهدت ، فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة ، وكانوا مستخفين ، فلم أشأ أن أرى رجلا يضرب ويضرب إلا رأيته ، ولا يصيبنى من ذلك شيء فجئت إلى خالى أبى جهل بن هشام ، وكان شريفاً ، فقرعت عليه الباب فقال : مَنْ هذا ؟ فقلت : ابن الخطاب ، وقد صَبَأْتُ ، فقال : لاتفعل،ثم دخل وأجاف الباب دونى،فقلت : ماهذا بشىء فذهبت إلى رجل من عظماء قريش فناديته فخرج إلىَّ ، فقلت له مثل مقالتى لخالى وقال لى مثل ماقال خالى ، فدخل وأجاف الباب دونى ، فقلت : ماهذا بشىء إن المسلمين يُضْرَبُونَ وأنا لاأضرب،فقال لى رجل : أتحبُّ أن يُعلم بإسلامك ؟ قلت : نعم ، قال : فإذا جلس الناس فى الحِجْر فأتِ فلانا ، لرجل لم يكن يكتم السر ، فقل له فيما بينك وبينه : إنى قد صبأت ، فإنه قلَّ مايكتم السر ، فجئت وقد اجتمع الناس فى الحِجْر ، فقلت فيما بينى وبينه : إنى قد صبأت ، قال : أو قد فعلت ؟ قلت : نعم ، فنادى بأعلى صوته : إن

ابن الخطاب قد صبأ[1] ، فبادَرُوا إليَّ ، فما زلت أضربهم ويضربونني، واجتمع عليَّ الناسُ ، فقال خالي : ماهذه الجماعة ؟ قيل : عمر قد صبأ[1] ، فقام على الحِجْر فأشار بكمه : ألا إني قد أجرْتُ ابن أختي ، فتكشَّفوا عني ، فكنت لا أشاء أن أرى أحداً من المسلمين يُضْرب ويَضْرب إلا رأيته ، فقلت : ماهذا بشيء قد يصيبني ، فأتيت خالي ، فقلت : جِوَارُكَ رَدٌّ عليك ، فما زلت أضْرِب وأُضْرَب حتى أعز الله الإسلام .

وأخرج أبو نعيم في الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : سألت عمر [رضي الله عنه] : لأيِّ شيء سميت الفاروق ؟ فقال : أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ، فخرجت إلى المسجد ، فأسرع أبو جهل إلى النبي عليه الصلاة والسلام يسبُّه ، فأخبر حمزة ، فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد إلى حلقة قريش التي فيها أبو جهل . فاتكأ على قوسه مقابل أبي جهل ، فنظر إليه ، فعرف أبو جهل الشرَّ في وجهه ، فقال : مالك يا أبا عمارة ؟ فرفع القوس ، فضرب بها أخْدَعَه فقطعه ، فسالت الدماء ، فأصلحت ذلك قريش مخافة الشرِّ ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُخْتَفٍ في دار الأرْقَم المخزومي فانطلق حمزة ، فأسلم ، فخرجْتُ بعده بثلاثة أيام ، فإذا فلان [بن فلان] المخزومي ، فقلت [له] : أرَغِبْتَ عن دين آبائك واتَّبعت دين محمد ؟ فقال : إن فعلتُ فقد فعله مَنْ هو أعظم عليك حقاً مني ، قلت : ومن هو ؟ قال : أختك وخَتَنك ، فانطلقت [فوجدت الباب مغلقاً ، وسمعت] همهمة [ففتح لي الباب] ، فدخلت، فقلت : ماهذا [الذي أسمع عندكم ؟ قالوا : ماسمعتَ شيئاً ، فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس خَتَني ، فضربته [ضربةً] فأدميته ، فقامت إليَّ أختي ، فأخذت برأسي ، وقالت : قد كان ذلك على رغم أنفك ، فاستحييت حين رأيتُ الدِّماء ، فجلستُ وقلت : أرُوني هذا الكتاب ، فقالت [أختي] : إنه

(١) صبأ فلان : خرج من دين إلى دين .

لايمسُّهُ إلا المطهّرُون [فإن كنت صادقاً فقم واغتسل] ، فقمت فاغتسلت [وجئت فجلست] ، فأخرجوا إليّ صحيفة فيها (بسم الله الرّحمن الرحيم) فقلت: أسماء طيبة طاهرة (طه ماأنزلنا عليكَ القرآنَ لِتشقى) إلى قوله (له الأسماء الحسنى) قال : فتعظمت فى صدرى ، وقلت : من هذا فرّتْ قريش ، فأسلمتُ وقلتُ : أين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : فإنه فى دار الأرقم ، فأتيتُ [الدار] ، فضربتُ الباب ، فاستجمع القوم ، فقال لهم حمزة : مالكم ؟ قالوا : عمر ، قال : [وإن كان] عمر ، أفتحوا له الباب ؛ فإن أقبل قبلنا منه ، وإن أدبر قتلناه ، فسمع ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فخرجَ ، فتشهد عمر ، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل مكة ، قلت : يارسول الله ألسْنا على الحق ؟ قال : بلى ، قلت : ففيم الإخفاء ؟ فخرجنا صفّيْنِ أنا فى أحدهما وحمزة فى الآخر ، حتى دخلنا المسجد ، فنظرت قريش إلىّ وإلى حمزة ، فأصابتهم كآبة شديدة [لم يصبهم مثلها] فسمانى رسول الله عليه الصلاة والسلام « الفاروق » يومئذٍ ؛ لأنه أظهر الإسلام وَفَرَّقَ بين الحق والباطل .

وأخرج ابن سعد عن ذكوان قال : قلت لعائشة : مَنْ سَمّى عمر الفاروق ؟ قالت : النبى عليه الصلاة والسلام .

وأخرج ابن ماجة والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أسلم عمر نزل جبريل ، فقال : يامحمد ، لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر .

وأخرج البزاز والحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أسلم عمر قال المشركون : قد انتصف القوم اليوم منا ، وأنزل الله : (ياأيها النبيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المؤْمِنِينَ) .

وأخرج البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : مازلنا أعزّةً منذ أسلم عمر .

وأخرج ابن سعد والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كان إسلام عمر فَتْحاً ، وكانت هجرته نَصْراً ، وكانت إمامته رحمة ، ولقد رأيتُنا وما نستطيع أن نصلى إلى البيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلَّيْنا .

وأخرج ابن سعد والحاكم عن حذيفة قال : لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قرباً ، فلما قتل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً .

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أول من جَهَرَ بالإسلام عمر بن الخطاب ، وإسناده صحيح حسن .

وأخرج ابن سعد عن صُهَيْب قال : لما أسلم عمر رضى الله عنه أظهر الإسلام ودعا إليه عَلاَنية ، وجلسنا حول البيت حَلَقاً ، وطُفْنا بالبيت ، وانتصفنا ممن غلظ علينا ، ورددنا عليه بعض ما يأتى به .

وأخرج ابن سعد عن أسلم مولى عمر قال : أسلم عمر فى ذى الحجة [من] السنة السادسة من النبوة ، وهو ابن ستّ وعشرين سنة .

فصل

فى هجرته رضى الله عنه

أخرج ابن عساكر عن علىّ قال : ماعلمت أحداً هاجر إلا مختفياً إلا عمر ابن الخطاب ؛ فإنه لما همَّ بالهجرة تقلَّد سيفه وتَنَكَّب[1] قوسه ، وانتضى[2] فى يده أسْهُماً ، وأتى الكعبة وأشْرَافُ قريش بفنائها ، فطاف سبعاً ، ثم صلى ركعتين عند المَقَام ، ثم أتى حلقهم واحدة واحدة ، فقال : شَاهَتِ[3] الوجوه ،

---

(١) تنكب قوسه : وضعها فى منكبه .
(٢) انتضى السهم : أخرجه من الكنانة ، فجعله فى يده .
(٣) شاهت الوجوه : قبحت .

مَنْ أراد أن تثكله أمه[1] ، وييتم ولده ، وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي ، فما تبعه منهم أحد .

وأخرج عن البراء رضى الله عنه قال : أول من قدم علينا من المهاجرين مُصْعَبُ بن عُمَير ، ثم ابن أم مكتوم ، ثم عمر بن الخطاب فى عشرين راكباً ، فقلنا : مافعل رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ قال : هو على أثرى ، ثم قدم النبي عليه الصلاة والسلام ، وأبو بكر رضى الله عنه معه .

قال النووى : شهد عمر مع رسول الله عليه الصلاة والسلام المشاهد كلها ، وكان ممن ثبت معه يوم أحد .

فصـــل

فى الأحاديث الواردة فى فضله

غير ماتقدم فى ترجمة الصديق رضى الله عنه

أخرج الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، قلت : لمن هذ القصر ؟ قالوا : لعمر ، فذكرت غيرتك ، فوليت مدبراً » فبكى عمر ، وقال : أعليك أغار يارسول الله ؟ .

وأخرج الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « بينا أنا نائم شربت - يعنى اللبن - حتى أنظر الرى يجرى فى أظفارى ، ثم ناولته عمر ، قالوا : فما أولته يارسول الله ؟ قال : العلم » .

وأخرج الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت النبى عليه الصلاة والسلام يقول : « بينا أنا نائم رأيت الناس عُرِضوا عَلَىَّ وعليهم قُمُصٌ ؛ فمنها مايبلغ الثدىَّ ، ومنها مايبلغ دون ذلك ، وعرض عَلَىَّ عمر وعليه قميص يجرُّهُ ، قالوا : فما أولته يارسول الله ؟ قال : الدين » .

(١) ثكلته أمه : فقدته .

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وَقَّاص قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام: « يا ابن الخطاب ، والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكاً فَجًّا قط إلا سلك فجًّا غيرَ فَجِّكَ[1] » .

وأخرج البخارى عن أبي هريرة قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس مُحَدَّثون ، فإن يكن فى أمتى أحدٌ فإنه عمر » ـ أى مُلْهَمُونَ .

وأخرج الترمذى عن ابن عمر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « إن الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه » . قال ابن عمر : « وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال ، إلا نزل القرآن على نحو ماقال عمر » .

وأخرج الترمذى ، والحاكم وصححه ، عن عُقْبَة بن عامر قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لو كان بعدى نبيٌّ لكان عمر بن الخطاب » . وأخرجه الطبرانى عن أبي سعيد الخدرى ، وعصمة بن مالك . وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر .

وأخرج الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال النبي عليه الصلاة والسلام « إنى لأنظرُ إلى شياطين الجنِّ والإنس قد فرُّوا من عمر » .

وأخرج ابن ماجه والحاكم عن أُبَيّ بن كعب قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « أولُ من يصافحه الحقُّ عمر ، وأول من يسلم عليه ، وأول من يأخذ بيده فيدخل الجنة » .

وأخرج ابن ماجه والحاكم عن أبي ذرّ قال : سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول : « إن الله وضع الحقَّ على لسان عمر يقول به » .

واخرج أحمد والبزار عن أبي هريرة قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام: « إنَّ الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه » . وأخرجه الطبرانى من حديث

(١) ـ بفتح الفاء وتشديد الجيم ـ الطريق .

عمر بن الخطاب ، وبلال ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعائشة - رضى الله عنهم ! -
وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر .

وأخرج ابن منيع فى مسنده عن علىّ رضى الله عنه قال : كنا أصحابَ محمدٍ لانَشُكُّ أن السكينة تنطق على لسان عمر .

وأخرج البزار عن ابن عمر قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام ، « عمر سِرَاجُ أهل الجنة » . وأخرجه ابن عساكر من حديث أبى هريرة ، والصَّعْبِ ابن جَثَّامة .

وأخرج البزار عن قُدامة بن مظعون ، عن عمه عثمان بن مظعون ، قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام : « هذا غَلَق الفتنة ، وأشار بيده إلى عمر ، لايزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغَلَق ماعاش هذا بين أظهركم » .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « جاء جبريل إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال : أَقْرِىء عمرَ السلامَ ، وأخبره أن غَضَبه عِزٌّ ، وَرِضاهُ حكم » .

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « إن الشيطان يَفْرَقُ[1] من عمر » .

وأخرج أحمد من طريق بريدة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « إن الشيطان ليفرق[1] منك ياعمر » .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « ما فى السماء مَلَكٌ إلا وهو يُوَقِّرُ عمر ، ولا فى الأرض شيطان إلا وهو يَفْرَقُ من عمر[1] » .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبي

---

(١) فرق يفرق فرقاً - بوزن فرح - أى خاف .

عليه الصلاة والسلام : « إنَّ الله باهى بأهل عَرَفَة عامة[1]، وباهى بعمر خاصة » وأخرج في الكبير مثله من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

وأخرج الطبرانى والدَّيْلمى عن الفضل بن العباس قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « الحق بعدى مع عمر حيث كان » .

وأخرج الشيخان عن ابن عمر ، وأبى هريرة رضى الله عنه ، قالا : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « بينا أنا نائم ، رأيتنى على قَليب[2] عليها دَلْوٌ ، فنزعت منها إلى ماشاء الله ، ثم أخذها أبو بكر فنزع ذَنُوبًا أو ذَنُوبَيْن[3] ، وفى نَزْعِهِ ضعف ، والله يغفر له ، ثم جاء عمر [بن الخطاب] فاستقى فاستحالت فى يده غَرْبًا[4] ، فلم أرَ عَبقريًّا من الناس يَفْرِى فَرْيَه[5] حتى رَوِىَ الناس ، وضَرَبُوا بِعَطَنٍ » .

قال النووى فى تهذيبه : قال العلماء : هذا إشارة إلى خلافة أبى بكر وعمر ، وكثرة الفتوح ، وظهور الإسلام فى زمن عمر .

وأخرج الطبرانى عن سديسة قالت : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خَرَّ لوجْهِهِ » وأخرجه الدارقطنى فى الأفراد من طريق سديسة عن حفصة .

وأخرج الطبرانى عن أبىٍّ بن كعب قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « قال لى جبريل : ليَبْكِ الإسلام على موت عمر » .

وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى سعيد الخدرى قال : قال النبى عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أبغَضَ عمر فقد أبغضنى ، ومَنْ أحَبَّ عمر فقد أحبنى ، وإن الله باهى بالناس عَشِية عرفة عامة ، وباهى بعمر خاصة ، وإنه لم يبعث الله نبيًّا إلا كان فى أمته مُحَدَّث ، وإن يكن فى أمتى منهم أحَدٌ فهو عمر ، قالوا : يانبى

(١) باهى : فاخر (٢) القليب : البئر (٣) الذنوب : الدلو
(٤) الغرب ــ بالفتح ــ الدلو العظيمة (٥) يفرى فريه : يعمل مثل مايعمل

الله ، كيف محدث ؟ قال ، تتكلم الملائكة على لسانه » إسناده حسن .

فصـــل

فى أقوال الصحابة والسلف فيه

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ماعلى ظهر الأرض رجل أحبُ إلىّ من عمر ، أخرجه ابن عساكر .

وقيل لأبى بكر فى مرضه : ماذا تقول لربك وقد وَلَّيْتَ عمر ؟ قال : أقول له وَلَّيت عليهم خيرهم . أخرجه ابن سعد .

وقال علىّ رضى الله عنه : إذا ذكر الصالحون فَحَيْهَلاً بعمر ، ما كنا نبعد أن السكينه تنطق على لسان عمر . أخرجه الطبرانى فى الأوسط .

وقال ابن عمر رضى الله عنه : مارأيت أحداً قط بعد النبى صلى الله عليه وسلم من حين قُبض أَحَدَّ ولا أَجْوَدَ من عمر . أخرجه ابن سعد .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لوأن علم عمر وضع فى كفة ميزان ووضع علم أحياء الأرض فى كفة لَرَجَحَ علم عمر بعلمهم ، ولقد كانوا يَرَوْنَ أنه ذهب بتسعة أعشار العلم . أخرجه الطبرانى فى الكبير ، والحاكم .

وقال حذيفة رضى الله عنه : كأن علم الناس كان مدسوساً فى حِجْر عمر .

وقال حُذيفة : والله ماأعرف رجلا لاتأخذه فى الله لومة لائم إلا عمر .

وقالت عائشة رضى الله عنها ـ وذكرت عمر ـ كان والله أَحْوَذِيًا نَسِيجَ وَحْدِه .

وقال معاوية رضى الله عنه : أما أبو بكر فلم يُرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها ، وأما نحن فتمرَّغنَا فيها ظهراً لبطن . أخرجه الزبير بن بكار فى الموفقيات .

وقال جابر رضى الله عنه : دخل علىٌّ على عمر ـ وهو مُسَجًّى ـ فقال : رحمة الله عليك ! مامِنْ أحد أحبُ إلىّ أن ألقى الله بما فى صحيفته بعد صحبة النبى عليه الصلاة والسلام من هذا المُسَجى . أخرجه الحاكم .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إذا ذكر الصالحون فَحَيْهَلاً بعمر ، إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله ، وأفقهنا فى دين الله تعالى . أخرجه الطبرانى والحاكم .

وسئل ابن عباس عن أبى بكر ، فقال : كان كالخير كله ؛ وسئل عن عمر ، فقال : كأن كالطير الحَذِر الذى يرى أن له بكل طريق شَرَكاً يأخذه ، وسئل عن علىّ فقال : مُلِئ عَزْماً وعلماً ونجدة . أخرجه فى الطيوريات .

وأخرج الطبرانى عن عمير بن ربيعة أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار : كيف تجد نَعتى ؟ قال : أجد نعتك قرناً من حديد ، قال : وما قرن من حديد ؟ قال : أمير شديد لا تأخذه فى الله لومة لائم ، قال : ثم مَهْ ؟ قال : ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة ، قال : ثم مَهْ ؟ قال : ثم يكون البلاء .

وأخرج أحمد والبزار والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : فضل عمر بن الخطاب الناس بأربع : بذكر الأسرى يوم بدر ، أمر بقتلهم فأنزل الله (لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ) الآية ، وبذكر الحجاب ، أمر نساء النبى صلى الله عليه وسلم أن يحتجبنَ ، فقالت له زينب : وإنك علينا ياابنَ الخطاب والوَحْيُ ينزل علينا فى بيوتنا فأنزل الله (فإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً) ، الآية وبدعوة النبى عليه الصلاة والسلام : «اللهمَّ أيِّدِ الإسلام بعمر» وبرأيه فى أبى بكر كان أولَ مَنْ بايعه .

وأخرج ابن عساكر عن مجاهد قال : كنا نُحَدَّث أن الشياطين كانت مُصَفَّدَةً فى إمارة عمر ، فلما أُصيب بُثَّتْ .

وأخرج عن سالم بن عبد الله قال : أبطأ خبر عمر على أبى موسى فأتى امرأة فى بطنها شيطان ، فسألها عنه ، فقالت : حتى يجيئنى شيطانى ، فجاء ، فسألته عنه ، فقال : تركته مؤتزراً بكساء يَهْنأ إبلَ الصدقة ، وذاك رجل لا يراه شيطان إلاّ خرَّ لمنخريه ، الملكُ بينَ عينيه ، ورُوح القُدُسِ ينطق بلسانه .

فصل

قال سُفْيان الثَّوْرِي : مَنْ زعم أن عليا كان أحقَّ بالولاية من أبى بكر وعمر

فقد أخطأ ، وخَطأ أبا بكر وعمر ، والمهاجرين والأنصار .

وقال شريك : ليس يُقَدِّمُ علياً على أبي بكر وعمر أحَدٌ فيه خير .

وقال أبو أسامة : أتدرون مَنْ أبو بكر ، وعمر ؟ هما أبو الإسلام وأمُّهُ .

وقال جعفر الصادق : أنا برىء ممن ذكر أبا بكر وعمر إلا بخير .

فصـــل

فى موافقات عمر رضى الله عنه

قد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين .

أخرج ابن مردويه عن مجاهد قال : كان عمر يَرَى الرأى فينزل به القرآن .

وأخرج ابن عساكر عن علىّ قال : إن فى القرآن لرَأْياً من رأى عمر .

وأخرج عن ابن عمر مرفوعاً : ماقال الناسُ فى شىء وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو مايقول عمر .

وأخرج الشيخان عن عمر قال . وافقتُ ربى فى ثلاث ،قلت : يارسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصَلًّى ، فنزلت (واتخذوا مِنْ مَقَام إبراهيمَ مُصَلًّى) وقلت : يارسول الله يدخل على نسائك البرُّ والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن ، فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبى عليه الصلاة والسلام فى الغيرة ، فقلت : عسى ربه إن طلقكن أن يُبْدِلَهُ أزواجاً خيراً منكن ، فنزلت كذلك .

وأخرج مسلم عن عمر قال : وافقتُ ربى فى ثلاث : فى الحجاب ، وفى أسارى بدر ، وفى مقام إبراهيم ، ففى هذا الحديث خصلة رابعة[1] .

وفى التهذيب للنووى : نزل القرآن بموافقته فى أسرى بدر ، وفى الحجاب وفى مقام إبراهيم ، وفى تحريم الخمر ؛ فزاد خَصْلَةً خامسة ، وحديثها فى السنن ومستدرك الحاكم أنه قال : اللهم بَيِّنْ لنا فى الخمر بياناً شافياً ، فأنزل الله تحريمها .

(١) اتفق مع ماقبله فى الحجاب وفى مقام إبراهيم وانفرد هذا بأسارى بدر وانفرد السابق بقصة الغيرة ، فكان من مجموعهما أربع . فهذا هو المراد وكذلك فيما بعده .

وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أنس ، قال : قال عمر : وافقت ربى فى أربع ، نزلت هذه الآية (ولقد خلقنا الإنسان من سُلالَة من طين) الآية ، فلما نزلت قلت أنا : فتبارك الله أحسن الخالقين ، فنزلت (فتبارك الله أحسن الخالقين) فزاد فى هذا الحديث خصلة سادسة ، وللحديث طريق آخر عن ابن عباس أوردته فى التفسير المسند .

ثم رأيت فى كتاب «فضائل الإمامين» لأبى عبد الله الشيبانى قال : وافق عمر ربه فى أحد وعشرين موضعاً ، فذكر هذه الستة .

وزاد سابعاً قصةَ عبد الله بن أبىّ ، قلت : حديثها فى الصحيح عنه ، قال : لما توفى عبد الله بن أبىّ دُعِى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه ، فقمت حتى وقفت فى صدره ، فقلت : يارسول الله ، أو على عدو الله بن أبىّ القائل يوم كذا كذا ؟ فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت (ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبداً) الآية .

وثامناً : (يسألونك عن الخمر) الآية .

وتاسعاً : (يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة) الآيَةَ ، قلت : هما مع آية المائدة خَصْلة واحدة ، والثلاثة فى الحديث السابق .

وعاشراً : لما أكثر رسول الله عليه الصلاة والسلام من الاستغفار لقوم قال عمر : سواء عليهم ، فأنزل الله (سواء عليهم أستغفرت لهم) الآية ، قلت : أخرجه الطبرانى عن ابن عباس .

الحادى عشر : لما استشار عليه الصلاة والسلام الصحابة فى الخروج إلى بدر أشار عمر بالخروج ، فنزلت (كما أَخْرَجَكَ ربك من بيتك بالحق) الآية .

الثانى عشر : لما استشار عليه الصلاة والسلام الصحابة فى قصة الإفك ، قال عمر : مَنْ زوجكها يارسول الله ؟ قال : الله ، قال : أفتظن أن ربك دَلَّس عليك فيها ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ! فنزلتْ كذلك .

الثالث عشر : قصته فى الصيام لما جامع زوجته بعد الانتباه ، وكان ذلك مُحَرَّماً فى أول الإسلام ، فنزل (أحل لكم ليلة الصيام) الآية ، قلت : أخرجه أحمد فى مسنده .

الرابع عشر : قوله تعالى : (من كان عدوا لجبريل) الآية . قلت : أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديدة ، وأقربها للموافقة ماأخرجه ابن أبى حاتم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن يهودياً لقى عمر ، فقال : إن جبريل الذى يذكره صاحبكم عدولنا ، فقال له عمر : من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ، فنزلت على لسان عمر .

الخامس عشر : قوله تعالى : (فلاوربك لايؤمنون) الآية ، قلت : أخرج قصتها ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى الأسود ، قال:اختصم رجلان إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فقضى بينهما ، فقال الذى قضى عليه : رُدَّنَا إلى عمر بن الخطاب ، فأتيا إليه ، فقال الرجل : قضى لى رسول الله عليه الصلاة والسلام على هذا ، فقال : رُدَّنَا إلى عمر ، فقال : أ كذاك ؟ قال : نعم ، فقال عمر : مكانكما حتى أخرج إليكما فخرج إليهما مشتملا على سيفه ، فضرب الذى قال : « ردنا إلى عمر » فقتله ، وأدبر الآخر ، فقال : يارسول الله ، قتلَ عمرُ ـ والله ـ صاحبى ، فقال : ما كنت أظن أن يجترىء عمر على قتل مؤمن ، فأنزل الله (فلا وربك لايؤمنون) الآية ، فأهْدَرَ دَمَ الرجل وبرىء عمر من قتله ، وله شاهد موصول أوردته فى التفسير المسند .

السادس عشر : الاستئذان فى الدخول ، وذلك أنه دخل عليه غلامه ، وكان نائماً ، فقال : اللهم حَرِّم الدخول ، فنزلت آية الاستئذان .

السابع عشر : قوله فى اليهود : إنهم قوم بُهتُ .

الثانى عشر: قوله تعالى : (ثُلَّة من الأولين وثلة من الآخرين) قلت : أخرج قصتها ابن عساكر فى تاريخه عن جابر بن عبد الله ، وهى فى أسباب النزول

التاسع عشر : رفع تلاوة (الشيخ والشيخة إذا زَنَيَا) الآية .

العشرون : قوله يوم أحد لما قال أبو سفيان : أفي القوم فلان ؟ «لانجيبنه» فوافقه النبي عليه الصلاة والسلام ، قلت : أخرج قصتَه أحمدُ في مسنده .

قال : ويضم إلى هذا ماأخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب « الرد على الجَهْمية » من طريق ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال : ويل لمَلِكِ الأرض من مَلِكِ السماء ، فقال عمر : إلاَّ مَنْ حاسب نفسه ، فقال كعب : والذي نفسي بيده إنها في التوراة لتَابِعتُها ، فخر عمر ساجدا .

ثم رأيت في الكامل لابن عدي من طريق عبدالله بن نافع - وهو ضعيف عن أبيه عن عمر أن بلالا كان يقول - إذا أذَّنَ - : أشهد أن لا إلهَ إلا الله ، حي على الصلاة ، فقال له عمر : قل في أثرها : أشهد أن محمداً رسول الله ، فقال النبي الصلاة والسلام : قُلْ كما قال عمر .

فصل

في كراماته رضي الله عنه

أخرج البيهقي وأبو نُعَيم ، كلاهما في دلائل النبوة ، واللالكائي في شرح السنة والديرعاقولي في فوائده ، وابن الأعرابي في كرامات الأولياء ، والخطيب في رُوَاةِ مالك عن نافع عن ابن عمر ، قال : وَجَّهَ عمر جيشاً ، ورأس عليهم رجلا يدعى سارية ، فبينما عمر يخطب جعل ينادي : ياساريةُ الجَبَلَ ، ثلاثاً ، ثم قدمَ رسول الجيش ، فسأله عمر ، فقال : ياأمير المؤمنين هُزِمْنَا ، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتاً ينادي : ياساريةُ الجبلَ ، ثلاثاً ، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل ، فهزمهم الله ، قال : قيل لعمر : إنك كنت تصيح بذلك ، وذلك الجبل الذي كان سارية عنده بنَهَاوَنْدَ من أرض العجم ، قال ابن حجر في الإصابة : إسناده حسن .

وأخرج ابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر ، قال : كان عمر يخطب يوم الجمعة ، فعرض في خطبته أن قال : ياساريةُ الجبلَ ، من استرعى

الذئب ظلم ، فالتفت الناسُ بعضُهم لبعض ، فقال لهم على : لَيَخْرُجَنَّ مما قال ، فلما فرغ سألوه ، فقال : وقع فى خَلَدى أن المشركين هزموا إخواننا وأنهم يمرون بجبل ، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد ، وإن جاوزوا هلكوا ، فخرج منى ما تزعمون أنكم سمعتموه ، قال : فجاء البشير بعد شهر ، فذكر أنهم سمعوا صوت عمر فى ذلك اليوم ، قال : فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا .

وأخرج أبو نعيم فى الدلائل عن عمرو بن الحارث قال : بينما عمر [بن الخطاب] على المنبر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة فقال : ياسارية الجبل ، مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل على خطبته ، فقال بعض الحاضرين : لقد جُنَّ ، إنه لمجنون ، فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يطمئن إليه ، فقال : [لشدّ ما ألومُهُمْ عليك] إنك لتجعل لهم على نفسك مقالا ، بينا أنت تخطب إذ أنت تصيح : ياسارية الجبل ، أى شىء هذا ! قال : إنى والله ما ملكت ذلك ، رأيتهم يقاتلون عند جبل يُؤْتَوْنَ من بين أيديهم ومن خلفهم ؛ فلم أملك أن قلت « ياسارية الجبل » ليلحقوا بالجبل ، فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه : إن القوم لَقُونا يوم الجمعة ، فقاتلناهم حتى إذا حضرت الجمعة [ودار حاجب الشمس] سمعنا منادياً ينادى : ياسارية الجبل مرتين ، فلحقنا بالجبل ، فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم ، فقال أولئك الذين طعنوا عليه : دَعُوا هذا الرجل فإنه مصنوع له .

وأخرج أبو القاسم بن بشران فى فوائده من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال : قال عمر بن الخطاب لرجل : ما اسمك ؟ قال : جمرة ، قال : ابن من ؟ قال : ابن شهاب ، قال : ممن ! قال من الحرقة ، قال : أين مسكنك ! قال : الحرة ، قال : بأيها ؟ قال : بذات لَظَى ، فقال عمر : أدرك أهلك فقد احترقوا ، فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا .

وأخرج مالك فى الموطأ عن يحيى بن سعيد نحوه ، وأخرجه ابن دريد فى الأخبار المنثورة ، وابن الكلبى فى الجامع ، وغيرهم .

وقال أبو الشيخ فى كتاب العظمة : حدثنا أبو الطيب ، حدثنا على بن داود ، حدثنا عبدالله بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة ، عن قيس بن الحجاج ، عمن حدثه ، قال : لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل يوم من أشهر العجم فقالوا : يا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سُنَّةً لا يجرى إلا بها ، قال : وماذاك ؟ قالوا : إذا كان إحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلى أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها فى هذا النيل ، فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون أبداً فى الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله ، فأقاموا والنيل لا يجرى قليلا ولا كثيراً ، حتى هَمُّوا بالجلاء ، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب له أنْ قد أصبت بالذى قلت ، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وبعث بطاقة فى داخل كتابه ، وكتب إلى عمرو : إنى قد بعثت إليك ببطاقة فى داخل كتابى فألْقِهَا فى النيل ، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها ، فإذا فيها : من عبدالله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر ، أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تَجْرِ ، وإن كان الله يُجْرِيك فأسأل الواحد القهار أن يجريك ، فألقى البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم ، فأصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً فى ليلة واحدة ، فقطع الله تلك السُّنة عن أهل مصر إلى اليوم .

وأخرج ابن عساكر عن طارق بن شهاب ، قال : إن كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيَكْذِبه الكذبة فيقول : احبس هذه ، ثم يحدثه بالحديث فيقول : احبس هذه ، فيقول له : كل ما حدثتك حق إلا ما أمرتنى أن أحبسه .

وأخرج عن الحسن قال : إن كان أحد يعرف الكذب إذا حُدِّث به فهو عمر بن الخطاب .

وأخرج البيهقى فى الدلائل عن أبى هدية الحمصى قال : أخبر عمر بأن أهل العراق قد حَصَبوا أميرهم[1] فخرج غضبان ، فصلى فسها فى صلاته ، فلما سلم قال :

(١) حصبوه : رموه بالحصباء ، وهى صغار الحجارة .

اللهم إنهم قد لبسوا على فالبس عليهم ، وعجل عليهم بالغلام الثقفي يحكم فيهم بحكم الجاهلية : لا يقبل من محسنهم ، ولا يتجاوز عن مسيئهم ، قلت : أشار به إلى الحجاج ، قال ابن لهيعة : وما وُلِدَ الحجاج يومئذ .

فصــــل

فى نبذ من سيرته

أخرج ابن سعد عن الأحنف بن قيس قال : كنا جلوساً بباب عُمَر ، فمرت جارية ، فقالوا : سُرِّيَّةُ أمير المؤمنين ، فقال : ما هى لأمير المؤمنين بسُرية[1] ، ولا تحل له ، إنها من مال الله ، فقلنا : فماذا يحل له من مال الله تعالى ؟ قال : إنه لا يحل لعمر من مال الله إلا حُلَّتَين : حلة للشتاء ، وحلة للصيف ، وما أحُجُّ به وأعتمر ، وقوتى وقوت أهلى كرجل من قريش ليس بأغنام ولا بأفقرهم ، ثم أنا بعدُ رجلٌ من المسلمين .

وقال خزيمة بن ثابت : كان عمر إذا استعمل عاملا كتب له ، واشترط عليه أن لا يركب برذوناً ، ولا يأكل نقياً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يغلق بابه دون ذوى الحاجات ، فإن فعل فقد حلَّت عليه العقوبة .

وقال عكرمة بن خالد وغيره : إن حفصة وعبد الله وغيرهما كلموا عمر ، فقالوا : لو أكلت طعاماً طيباً كان أقوى لك على الحق ، قال : أكلكم على هذا الرأى ؟ قالوا : نعم ، قال : قد علمت نصحكم ، ولكنى تركت صاحبيَّ على جادّة[2] ، فإن تركت جادتهما لم أدركهما فى المنزل .

قال : وأصاب الناس سَنَة[3] ، فما أكل عامئذ سَمْناً ، ولا سميناً .

وقال ابن مليكة : كلم عتبة بن فرقد عمر فى طعامه ، فقال : ويحك ، آكل طيباتى فى حياتى الدنيا وأستمتع بها ؟

وقال الحسن : دخل عمر على ابنه عاصم وهو يأكل لحماً ، فقال : ما هذا ؟

(١) السرية : الجارية المملوكة (١) الجادة : الطريق (٣) السنة : المجاعة .

قال : قَرِمْنَا إليه[1] ، قال : أو كلما قَرِمْتَ إلى شيء أكَلْتَه ؟ كفى بالمرء سَرَفاً أن يأكل كل ما اشتهى .

وقال أسلم : قال عمر : لقد خطر على قلبي شهوة السمك الطري ، قال : فرحل يرفأ[2] راحلته ، وسار أربعاً مقبلا ، وأربعاً مدبراً ، واشترى مِكْتَلاً ، فجاء به ، وعمد إلى الراحلة ، فغسلها ، فأتى عمر ، فقال : انطلق حتى أنظر إلى الراحلة ، فنظر وقال : أنسيت أن تغسل هذا العرق الذي تحت أذنيها ؛ عَذَّبت بهيمة في شهوة عمر ؟ ! لا والله لا يذوق عمر مِكْتَلَكَ .

وقال قتادة : كان عمر يلبس — وهو خليفة — جبةً من صوف مرقوعة بعضها بأدَم ، ويطوف في الأسواق على عاتقه الدرة يؤدب بها الناس ويمر بالنِّكْث[3] والنوى فيلتقطه ويلقيه في منازل الناس ينتفعون به .

وقال أنس : رأيت بين كتفي عمر أربع رقاع في قميصه وقال أبو عثمان النهدي : رأيت على عمر إزاراً مرقوعاً بأدَم ، وقال عبدالله بن عامر بن ربيعة : حججت مع عمر ، فما ضرب فُسطاطاً ، ولا خباء ، كان يلقي الكساء والنِّطع على الشجرة ويستظل تحته ، وقال عبدالله بن عيسى[4] : كان في وجه عمر بن الخطاب خطان أسودان من البكاء ، وقال الحسن : كان عمر يمر بالآية من ورده فيسقط حتى يُعَاد[5] منها أياماً ، وقال أنس : دخلت حائطاً[6] فسمعت عمر يقول، وبيني وبينه جدار : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، بَخٍ بَخٍ ، والله لتتقين الله يا ابنَ الخطاب أو ليعذبَنَّكَ الله، وقال عبدالله بن عامر بن ربيعة : رأيت عمر أخذ تبنة من الأرض فقال : ليتني كنت هذه التبنة ياليتني لم أكُ شيئاً ، ليت أمي لم تلدني . وقال عبيدالله ابن عمر بن حفص : حمل عمر بن الخطاب قِرْبةً على عنقه فقيل له في ذلك ، فقال : إن نفسي أعجبتني فأردت أن أذلَّها ، وقال محمد بن سيرين : قدم صِهْرٌ لعمر عليه ،

(١) القرم — بالتحريك — شدة الشهوة إلى اللحم (٢) يرفأ : اسم غلام كان لعمر
(٣) النكث — بالكسر — الغزل المنقوض (٤) كذا وفي تاريخ الذهبي : بن عنسى .
(٥) يعاد ؛ من العيادة ؛ وهي زيارة المريض خاصة (٦) الحائط : البستان .

فطلب أن يعطيه من بيت المال، فانتهره عمر، وقال: أردتَ أن ألقى الله مَلِكاً خائناً(١)؟ ثم أعطاه من صلب ماله عشرة آلاف درهم، وقال النخعي: كان عمر يتّجر وهو خليفة، وقال أنس: تقرقر بطن عمر من أكل الزيت عام الرَّمادة(٢) وكان قد حرم على نفسه السمن فنقَر بطنه بأصبعه وقال: إنه ليس عندنا غيره حتى يحيا الناس، وقال سفيان بن عيينة: قال عمر بن الخطاب: أحبُّ الناس إليّ مَنْ رَفَع إليّ عيوبي، وقال أسلم: رأيت عمر بن الخطاب يأخذ بأذن الفرس، ويأخذ بيده الأخرى أذنه، ثم ينزل على مَتْن الفرس، وقال ابن عمر: ما رأيت عمر غضب قط فذُكِرَ الله عنده أو خوف أو قرأ عنده إنسان آية من القرآن إلا وقف عما كان يريد، وقال بلال لأسلم: كيف تجدون عمر؟ فقال: خير الناس؛ إلاّ أنه إذا غضب فهو أمر عظيم، فقال بلال: لو كنتُ عنده إذا غضب قرأت عليه القرآن حتى يذهب غضبه، وقال الأحوص بن حكيم عن أبيه: أتى عمر بلحم فيه سمن فأبى أن يأكلهما، وقال: كل واحد منهما أدم، أخرَجَ هذه الآثار كلها ابن سعد.

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال: قال عمر: هان شيء أُصْلِحُ به قوماً أن أبدلهم أميراً مكان أمير.

فصـــل

في صفته رضي الله عنه

أخرج ابن سعد والحاكم عن زِرّ قال: خرجت مع أهل المدينة في يوم عيد فرأيت عمر يمشي حافياً شيخاً أصْلَع آدمَ أعْسَرَ طُوَالا مشرفاً على الناس كأنه على دابة، قال الواقدي: لا يعرف عندنا أن عمر كان آدَمَ، إلا أن يكون رآه عام الرَّمَادة؛ فإنه كان تغير لونه حين أكل الزيت.

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أنه وصف عمر فقال: رجل أبيض تعلوه حمرة طُوَال أصْلَع أشْيَبُ.

(١) في تاريخ الذهبي: ملكا جابيا، وانظر ص ١٤٠ الآتية.

(٢) هو عام أصاب الناس فيه مجاعة، وذلك في سنة ١٧ من الهجرة. انظر ص ١٣٢.

وأخرج عن عبيد بن عمير قال : كان عمر يفوق الناسَ طوالاً .

وأخرج عن سَلَمة بن الأكوع قال : كان عمر رجلا أعْسَرَ [يَسَرَ] يعني يعتمل بيديه جميعاً .

وأخرج ابن عساكر عن أبي رجاء العُطَاردي قال : كان عمر رجلا طويلا جسيما أصلع شديد الصَّلَع أبيض شديد الحمرة ، في عارضيه خفة ، سَبَلَته كبيرة ، وفي أطرافها صُهْبَة[1] .

وفي تاريخ ابن عساكر من طرقٍ أن أم عمر بن الخطاب : حَنْتَمة بنت هشام بن المغيرة أختُ أبي جهل بن هشام ؛ فكان أبو جهل خاله .

فصـــل

في خلافته رضي الله عنه

وَلِيَ الخلافة بعهد من أبي بكر في جمادى الآخرة سنة ثلاثَ عَشْرَةَ .

قال الزهري : استخلف عمر يوم توفي أبو بكر وهو يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة، أخرجه الحاكم ، فقام بالأمر أتم قيام ، وكثرت الفتوح في أيامه .

ففي سنة أَرْبَعَ عشْرَةَ فتحت دمشق ما بين صلح وعَنْوَة ، وحمص، وبعلبك صلحاً ، والبصرة والأُبُلَّة ، كلاهما عَنْوَة .

وفيها جمع عمر الناس على صلاة التراويح ، قاله العسكري في الأوائل .

وفي سنة خمس عشرة فتحت الأردن كلها عَنْوَة إلاَّ طبرية ، فإنها فتحت صلحاً ، وفيها كانت وقعة الْيَرْمُوكِ والقادسية .

قال ابن جرير : وفيها مَصَّر سعد الكوفةَ ، وفيها فَرَضَ عمر الفروض ، ودوَّنَ الدواوين ، وأعطى العطاء على السابقة .

وفي سنة ستَّ عشْرَةَ فتحت الأهواز والمدائن وأقام بها سعد الجمعة في إيوان كسرى، وهي أول جمعة جمعت بالعراق ، وذلك في صفر ، وفيها كانت وقعة جَلُولاء وهزم فيها يَزْدجِرْدُ بن كسرى وتقهقر إلى الري، وفيها فتحت تكريت ، وفيها

---

(1) السبلة - بالتحريك - طرف الشارب ، والصهبة : سواد في حمرة .

سار عمر ففتح بيت المقدس وخطب بالجابية خطبته المشهورة ، وفيها فتحت قِنَّسْرِين عَنْوة ، وحلب ، وأنطاكية ، ومنبج صلحاً ، وسَرُوج عنوة ، وفيها فتحت قرقيسياء صلحاً وفى ربيع الأول كتب التاريخ من الهجرة بمشورة على.

وفى سنة سبع عشرة زاد عمر فى المسجد النبوى ، وفيها كان القَحْطُ بالحجاز ، وسمى عام الرَّمَادَة ، واستسقى عمر للناس بالعباس .

أخرج ابن سعد عن نيار الأسلمى أن عمر لما خرج يستسقى خرج وعليه برد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج عن ابن عون قال : أخذ عمر بيد العباس ثم رفعها ، وقال : اللهم إنا نتوسَّلُ إليك بعم نبيك أن تُذْهب عنا المحل[1] ، وأن تسقينا الغيث ، فلم يبرحوا حتى سُقُوا ، فأطبقت السماء عليهم أياماً ، وفيها فتحت الأهواز صلحاً .

وفى سنة ثمانَ عشرَةَ فتحت جند يسابور صلحاً ، وحلوان عنوة، وفيها كان طاعون عَمَوَاس ، وفيها فتحت الرها ، وسميساط عنوة ، وحَرَّان ، ونصيبين ، وطائفة من الجزيرة عنوة ـ وقيل : صلحاً ـ والموصل ونواحيها عَنْوَةً .

وفى سنة تسع عشرةَ فتحت قيسارية عَنْوَةً .

وفى سنة عشرين فتحت مصر عنوة ، وقيل : مصر كلها صلحاً إلا الإسكندرية فعنوة ، وقال على بن رباح : المغرب كله عنوة ، وفيها فتحت تستر ، وفيها هلك قيصر عظيم الروم ، وفيها أجْلَى عمر اليهود عن خيْبَر وعن نَجْرَان ، وقسم خيبر ووادى القرى .

وفى سنة إحدى وعشرين فتحت الإسكندرية عنوة ، ونهاوند ، ولم يكن للأعاجم بعدها جماعة ، وبَرْقَة وغيرها .

وفى سنة اثنتين وعشرين فتحت أذربيجان عنوة وقيل: صلحاً، والدِّينَورُ عنوة وما سبذان عنوة ، وهمذان عنوة ، وطرابلس المغرب ، والرى ، وعسكر ، وقومس

(١) المحل ـ بالفتح ـ القحط والجدب ، وذلك بسبب احتباس المطر .

وفى سنة ثلاث وعشرين كان فتح كرمان ، وسجستان ، ومكران ، من بلاد الجبل ، وأصبهان ونواحيها .

وفى آخرها كانت وفاة سيدنا عمر رضى الله عنه بعد صدوره من الحج شهيداً قال سعيد بن المسيب : لما نَفَرَ عمر من مِنى أناخ بالأبطح ، ثم استلقى ورفع يديه إلى السماء وقال : اللهم كبرت سنى، وضعفت قوتى، وانتشرت رعيتى ، فاقبضنى إليك غير مُضَيع ولا مُفَرِط ، فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل ، أخرجه الحاكم .

وقال أبو صالح السمان : قال كعب الأحبار لعمر : أجدُكَ فى التوراة تقتل شهيداً ، قال : وأنى لى بالشهادة وأنا بجزيرة العرب ؟

وقال أسلم : قال عمر : اللهم أرزقنى شهادة فى سبيلك ، واجعل موتى فى بلد رسولك ، أخرجه البخارى .

وقال معدان بن أبى طلحة: خطب عمر فقال : رأيت كأن ديكا نَقَرَنى نقرة أو نقرتين وإنى لا أراه إلا حضور أجلى ، وإن قوماً يأمرونى أن أستخلف وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته ، فإن عجل بى أمر فالخلافة شُورَى بين هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو رَاضٍ عنهم ،أخرجه الحاكم

قال الزهرى : كان عمر رضى الله عنه لا يأذن لسبى قد احتلم فى دخول المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده جملة صنائع ، ويستأذنه أن يدخل المدينة ، ويقول : إن عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس ، إنه حداد نقاش نجار ،فأذِنَ له أن يرسله إلى المدينة ،وضرب عليه المغيرة مائة درهم فى الشهر،فجاء إلى عمر يشتكى شدة الخراج ، فقال:ماخراجك بكثير ، فانصرف ساخطاً يتذمر،فلبث عمر ليالى ثم دعاهُ فقال:ألم أُخْبَرْ أنك تقول : لوأشاء لصنعت رَحًى تطحن بالريح ؟ فالتفت إلى عمر عابساً وقال : لأصنعَنَّ لك رحى يتحدث الناس بها ، فلما ولَّى قال عمر لأصحابه : أوعدنى العبد آنفاً ، ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذى رأسين ، نِصَابُهُ فى وسطه ، فكمن بزاوية من زوايا المسجد

فى الغَلَس ، فلم يزل هناك حتى خرج عمر يُوقِظُ الناس للصلاة ، فلما دنا منه طَعَنَه ثلاث طعنات ، أخرجه ابن سعد .

وقال عمرو بن ميمون الأنصارى : إن أبا لؤلؤة عبدَ المغيرة طعن عمر بخنجر له رأسان ، وطعن معه اثنى عشر رجلا مات منهم ستة ، فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوباً ، فلما اغتم فيه قَتَلَ نفسه .

وقال أبو رافع : كان أبو لؤلؤة عبد المغيرة يصنع الأرحاء ، وكان المغيرة يستغله[1] كل يوم أربعة دراهم ، فلقى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، إن المغيرة قد أثقَلَ علىّ ، فكلِّمه فقال : أحْسِنْ إلى مولاك - ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه - فغضب ، وقال : يسع الناس كلهم عدله غيرى ، وأضمر قتله ، واتخذ خنجراً وشَحَذه وسَمَّه ، وكان عمر يقول « أقيموا صفوفكم » قبل أن يكبر ، فجاء فقام حذاءه فى الصف وضربه فى كتفه وفى خاصرته ، فسقط عمر ، وطعن ثلاثة عشر رجلا معه فمات منهم ستة ، وحمل عمر إلى أهله ، وكادت الشمس تطلع ، فصلى عبد الرحمن ابن عوف بالناس بأقصر سورتين وأتى عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه[2] فلم يتبين ، فسقوه لبناً فخرج من جرحه فقالوا : لا بأس عليك ، فقال : إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت ، فجعل الناس يُثْنُونَ عليه ويقولون : كنت وكنت ، فقال : أما والله لَوددت أنى خرجت منها كَفَافاً لا علىّ ، ولا لى ، وأن صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلمت لى ، وأثنى عليه ابن عباس فقال : لو أن لى طِلَاعَ الأرض ذهباً لافتديت به من هَوْلِ المطلع ؛ وقد جعلتها شُورَى فى عثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ، وأمر صُهَيْباً أن يصلى بالناس ، وأجّلَ الستة ثلاثاً ، أخرجه الحاكم .

وقال ابن عباس : كان أبو لؤلؤة مجوسياً .

---

(١) يستغله : يأخذ منه غلة وذلك نظير إذنه له فى مزاولة الصناعة والاتجار .

(٢) فى تاريخ الذهبى « فخرج من جوفه » .

وقال عمرو بن ميمون : قال عمر : الحمد لله الذى لم يجعل منيّتى بيد رجل يدعى الإسلام ، ثم قال لابنه : ياعبدالله أنظر ماعلىّ من الدين ، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين[1] ألفاً أو نحوها ، فقال : إن وَفَى مال آل عمر فأده من أموالهم ، وإلا فاسأل فى بنى عَدِىّ ، فإن لم تَفِ أموالهم فاسأل فى قريش ، أذهب إلى أم المؤمنين عائشة فقل : يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبَيْه ، فذهب إليها فقالت : كنت أريده - تعنى المكان - لنفسى ، ولأوثرنَّهُ اليوم على نفسى ، فأتى عبدالله فقال : قد أذنت فحمدالله ، وقيل له : أوصِ يا أمير المؤمنين واستخلف ، قال : ماأرى أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ ، فسمى الستة وقال : يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له فى الأمر شىء ، فإن أصابت الإمرة سعداً فهو ذاك ، وإلا فليستعِنْ به أيكم ماأمر ؛ فإنى لم أعزله من عجز ولا خيانة . ثم قال : أوصِى الخليفةَ من بعدى بتقوى الله ، وأوصيه بالمهاجرين والأنصار ، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً ، فى مثل ذلك من الوصية ، فلما توفى خرجنا به نمشى ، فسلم عبدالله بن عمر وقال : عمر يستأذن ، فقالت عائشة : أدخلوه ، فأدخل فوضع مع صاحبَيْه .

فلما فرغوا من دفنه ورجعوا اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبدالرحمن بن عوف : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم ، فقال الزبير : قد جعلت أمرى إلى على ، وقال سعد : قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن ، وقال طلحة : قد جعلت أمرى إلى عثمان ، قال : فخلا هؤلاء الثلاثة ، فقال عبد الرحمن : أنا لا أريدها ، فأيكما يبرأ من هذا الأمر ونجعله إليه ؟ والله عليه والإسلام لينظرن أفضَلَهُمْ فى نفسه وليحرص على صلاح الأمة ، فسكت الشيخان على وعثمان ، فقال عبد الرحمن : اجعلوه إلىّ والله علىّ لا آلوكم عن أفضلكم ، قالا : نعم ، فخلا بعلى وقال : لك من القدم فى الإسلام والقرابة من النبى عليه الصلاة والسلام ماقد علمت ، اللهُ عليك لئن أمَّرْتكَ لتعدلن ، ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن ؟ قال : نعم ، ثم خلا بالآخر فقال له كذلك ، فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه على .

---

(١) فى تاريخ الذهبى « ستة وثلاثين ألفاً أو نحوها » .

وفى مسند أحمد عن عمر أنه قال : إن أدركنى أجلى وأبو عبيدة بن الجراح حى استخلفتُه ، فإن سألنى ربى قلت : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إن لكل نبى أميناً ، وأمينى أبو عبيدة بن الجراح » فإن أدركنى أجلى — وقد توفى أبو عبيدة — استخلفت معاذ بن جبل ، فإن سألنى ربى : لم استخلفته ؟ قلتُ : سمعت النبى عليه الصلاة والسلام يقول : « إنه يحشر يوم القيامة بين يدى العلماء نبذة » وقد ماتا فى خلافته .

وفى المسند أيضاً عن أبى رافع أنه قيل لعمر عند موته فى الاستخلاف ، فقال : قد رأيت من أصحابى حرصاً سيئاً ، ولو أدركنى أحد رجلين ثم جعلت هذا الأمر إليه لوثقت به : سالم مولى أبى حذيفة ، وأبو عبيدة بن الجراح .

أصيب عمر يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة ، ودفن يوم الأحد مُسْتَهلَّ المحرم الحرام ، وله ثلاث وستون سنة ، وقيل : ست وستون سنة ، وقيل : إحدى وستون ، وقيل : ستون ، ورَجَّحه الواقدى ، وقيل : تسع وخمسون ، وقيل : خمس أو أربع وخمسون ، وصلى عليه صُهَيْبٌ فى المسجد .

وفى تهذيب المزنى : كان نقش خاتم عمر : « كفى بالموت واعظاً ياعمر »

وأخرج الطبرانى عن طارق بن شهاب قال : قالت أم أيمن يوم قتل عمر : اليوم وَهَى الإسلام[1] .

وأخرج عبد الرحمن بن يسار قال : شهدت موت عمر بن الخطاب ، فانكسفت الشمس يومئذ ، رجاله ثقات .

فصــــل

فى أوّليّاتِ عمر رضى الله عنه

قال العسكرى : هو أول من سمى أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ من الهجرة ، وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من سَنَّ قيام شهر رمضان ، وأول من

(١) وهى : ضعف .

عَسَّ بالليل(١) ، وأول من عاقب على الهجاء ، وأول من ضرب فى الخمر ثمانين ، وأول من حرّم المُتعة ، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد ، وأول من جمع الناس فى صلاة الجنائز على أربع تكبيرات ، وأول من اتخذ الديوان ، وأول من فتح الفتوح ومَسَحَ السواد ، وأول من حمل الطعام من مصر فى بحر أيلة إلى المدينة ، وأول من أحتبس صدقةً فى الإسلام(٢) ، وأول من أعال الفرائض(٣) ، وأول من أخذ زكاة الخيل ، وأول من قال : أطال الله بقاءك ! قاله لعلى ، وأول من قال : أيدك الله ! قاله لعلى ، هذا آخر ماذكره العسكرى .

وقال النووى فى تهذيبه : هو أول من اتخذ الدِّرة ، وكذا ذكره ابن سعد فى الطبقات ، قال : ولقد قيل بعده : لَدِرَّةُ عمر أهْيَبُ من سيفكم ، قال : وهو أول من استقضى القُضَاة فى الأمصار ، وأول من مَصَّر الأمصار : الكوفة ، والبصرة والجزيرة ، والشام ، ومصر ، والموصل .

وأخرج ابن عساكر عن إسماعيل بن زياد قال : مر علىٌّ بن أبى طالب على المساجد فى رمضان وفيها القناديل فقال : نور الله على عمر فى قبره كما نور علينا فى مساجدنا !

فصل - قال ابن سعد : اتخذ عمر دار الدقيق ، فجعل فيها الدقيق ، والسَّويق ، والتمر ، والزبيب ، وما يحتاج إليه : يعين به المنقطع ، ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق ما يصلح من ينقطع به ، وهَدَم المسجد النبوى ، وزاد فيه ووسَّعه وفرشه بالحَصْبَاء ، وهو الذى أخرج اليهود من الحجاز إلى الشام ، وأخرج أهل نجران إلى الكوفة ، وهو الذى أخر مقام إبراهيم إلى موضعه اليوم ؛ وكان ملصقاً بالبيت .

فصل

فى نبذ من أخباره وقضاياه

أخرج العسكرى فى الأوائل ، والطبرانى فى الكبير ، والحاكم ، من

(١) عس : طاف يتفقد أحوال الناس (٢) يريد أول من وقف شيئاً يتصدق بغلته (٣) الفرائض : المواريث ، وعولها : زيادة مجموع الفرائض على التركة ، فينقص سهم كل ذى سهم بنسبته من الواحد الصحيح .

طريق ابن شهاب ، أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبى حَثْمَة لأىّ شىء كان يكتب «من خليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام» فى عهد أبى بكر؟ ثم كان عمر كتب أولا « من خليفة أبى بكر » فمَنْ أوّلُ من كتب « من أمير المؤمنين » ؟ فقال : حدثتنى الشفاء ـ وكانت من المهاجرات ـ أن أبا بكر كان يكتب «من خليفة رسول الله» وكان عمر يكتب « من خليفة خليفة رسول الله » حتى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جَلْدَيْنِ يسألهما عن العراق وأهله ، فبعث إليه لبيد بن ربيعة ، وعدىّ بن حاتم ، فقدما المدينة ، ودخلا المسجد ، فوجدا عمرو بن العاص ، فقالا : استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فقال عمرو : أنتما والله أصبتما اسمه ، فدخل عليه عمرو ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : ما بدا لك فى هذا الاسم ؟ لَتَخْرُجَنَّ مما قلت ، فأخبره ، وقال : أنت الأمير ونحن المؤمنون ، فجرى الكتاب بذلك من يومئذ .

وقال النووى فى تهذيبه : سماه بهذا الاسم عدىّ بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين وفدا عليه من العراق ، وقيل : سماه به المغيرة بن شُعْبة ، وقيل : إن عمر قال للناس : أنتم المؤمنون ، وأنا أميركم ، فسمى أمير المؤمنين ، وكان قبل ذلك يقال له : خليفة خليفة رسول الله ، فعدلوا عن تلك العبارة لطولها .

وأخرج ابن عساكر عن معاوية بن قُرّة قال : كان يكتب من أبى بكر خليفة رسول الله ، فلما كان عمر بن الخطاب أرادوا أن يقولوا : خليفة خليفة رسول الله ، قال عمر : هذا يطول ، قالوا : لا ، ولكنا أمّرْنَاكَ علينا ، فأنت أميرنا ، قال : نعم ، أنتم المؤمنون ، وأنا أميركم ، فكتب « أمير المؤمنين » .

وأخرج البخارى فى تاريخه ، عن ابن المسيب قال : أول من كتب التاريخ عمر ابن الخطاب لسنتين ونصف من خلافته ، فكتب لستّ عشرة من الهجرة بمَشُورة علىّ .

وأخرج السلفى فى الطيوريات بسند صحيح ، عن ابن عمر ، عن عمر أنه أراد أن يكتب السنن ، فاستخار الله شهراً ، فأصبح وقد عزم له ، ثم قال : إنى ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتاباً ، فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله .

وأخرج ابن سعد عن زاذان عن سلمان أن عمر قال له : أملك أنا أم خليفة؟ فقال له سلمان : إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل ، أو أكثر ، ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة ، فاستعبر(1) عمر .

وأخرج عن سفيان بن أبي العرجاء قال قال عمر بن الخطاب : والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك ؟ فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم ، فقال قائل : يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقاً ، قال : ماهو ؟ قال : الخليفة لا يأخذ إلا حقاً ولا يضعه إلا في حق ، وأنت بحمدالله كذلك ؛ والملك يعسف الناس(2) ، فيأخذ من هذا ويعطي هذا . فسكت عمر .

وأخرج عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : ركب عمر فرساً ، فانكشف ثوبه عن فخذه ، فرأى أهل نجران بفخذه شامة سوداء ، فقالوا : هذا الذي نجد في كتابنا أنه يخرجنا من أرضنا .

وأخرج عن سعد الجاري أن كعب الأحبار قال لعمر : إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها ، فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة .

وأخرج عن أبي معشر قال : حدثنا أشياخنا أن عمر قال : إن هذا الأمر لا يصلح إلا بالشدة التي لا جبرية فيها ، وباللين الذي لا وهن فيه .

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن حكيم بن عمير قال : كتب عمر بن الخطاب : ألا لا يجلدن أمير جيش ولا سرية أحداً الحد حتى يطلع الدرب ؛ لئلا تحمله حمية الشيطان أن يلحق بالكفار .

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن الشعبي قال : كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب : إن رسلي أتتني من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة شيء من الشجر، تخرج مثل آذان الحمير ، ثم تنشق عن مثل اللؤلؤ ، ثم تخضر ، فتكون كالزمرد الأخضر ، ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر ، ثم ينضج فينضج فيكون

(1) استعبر : بكى . (2) يعسف الناس : يظلمهم ويقهرهم .

كأطيب فالوذج أكل ، ثم ييبس فيكون عِصْمَةً للمقيم وزاداً للمسافر ؟ فإن تكن رسلي صَدَقَتْنِي فلا أدرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة ، فكتب إليه عمر : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم ، إن رُسُلك قد صَدَقوك ، هذه الشجرة عندنا هي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نُفِسَتْ بعيسى ابنها ، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله . فإن (مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ) الآية .

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أن عمر أمر عُمَّاله فكتبوا أموالهم ، منهم سعد بن أبي وَقَّاص ، فشاطرَهم عمر في أموالهم ، فأخذ نصفاً وأعطاهم نصفاً .

وأخرج عن الشعبي أن عمر كان إذا استعمل عاملا كتب مالَهُ .

وأخرج عن أبي أمامة بن سهل بن حُنَيْف قال : مكث عمر زماناً لا يأكل من مال بيت المال شيئاً ، حتى دخَلَتْ عليه في ذلك خَصَاصة ، فأرسل إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستشارهم ، فقال : قد شغلت نفسي في هذا الأمر ، فما يصلح لي منه ؟ فقال عليّ : غَدَاء وعَشَاء ، فأخذ بذلك عمر .

وأخرج عن ابن عمر أن عمر حَجَّ سنة ثلاث وعشرين فأنفق في حَجَّته ستة عشر ديناراً ، فقال : ياعبد الله ، أسْرَفْنا في هذا المال .

وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن قتادة والشعبي قالا : جاءت عمر امرأة فقالت : زوجي يقوم الليل ويصوم النهار ، فقال عمر : لقد أحسنت الثناء على زوجك ، فقال كعب بن سَوَّار : لقد شَكَتْ ، فقال عمر : كيف ؟ قال : تزعم أنه ليس لها من زوجها نصيب ، قال : فإذ قد فهمت ذلك فاقض بينهما ، فقال : ياأمير المؤمنين أحَلَّ الله له من النساء أربعا ؛ فلها من كل أربعة أيام يوم ، ومن كل أربع ليال ليلة .

وأخرج عن ابن جريج قال : أخبرني من أُصَدِّقه أن عمر بينما هو يطوف سمع امرأة تقول

تطاول هذا الليل واسْوَدَّ جانبه وأرَّقني أن لا خليل ألاعبه[1]

---

(١) مضى البيتان ضمن أبيات برواية أخرى في ص ١٣٩ .

فلولا حـــذار الله لاشيء مثله لزحزح من هذا السرير جوانبه

فقال عمر : مالكِ ؟ قالت : أَغْزَبْتَ زوجي منذ أشهر ، وقد اشتقت إليه، فقال : أَرَدْتِ سُوءاً ؟ قالت : معاذ الله ، فقال : فاملكي عليك نفسك ، فإنما هو البريد إليه ، فبعث إليه ، ثم دخل على حفصة فقال : إني سائلك عن أمر قد أهمني فافرجيه عني ؟ كم تشتاق المرأة إلى زوجها ؟ نخفضت رأسها واستحيت ، قال : فإن الله لا يستحيي من الحق ، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر ، وإلا فأربعة أشهر ، فكتب عمر أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر .

وأخرج عن جابر بن عبد الله أنه جاء إلى عمر يشكو إليه مايلقى من النساء، فقال عمر : إنا لَنَجِدُ ذلك ، حتى إني لأريد الحاجة فتقول لي : ماتذهب إلا إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن[1] ، فقال له عبدالله بن مسعود : أما بلغك أن إبراهيم عليه السلام شكا إلى الله خُلُقَ سارة ، فقيل له : إنها خلقت من ضلع ، فَالْبَسْهَا على ماكان فيها مالم تر عليها خربة في دينها ؟

وأخرج عن عِكْرِمَة بن خالد قال : دخل ابنٌ لعمر بن الخطاب عليه وقد تَرَجَّل ولبس ثياباً حساناً ، فضربه عمر بالدِّرَّة حتى أبكاه ، فقالت له حفصة : لم ضربته ؟ قال : رأيته قد أعجبته نفسه ، فأحببت أن أصغرها إليه .

وأخرج عن معمر عن ليث بن أبي سليم أن عمر بن الخطاب قال : لاتُسَمُّوا الحكم ولا أبا الحكم ؛ فإن الله هو الحكم ، ولا تسموا الطريق السكة .

وأخرج البيهقي في شُعَبِ الإيمان عن الضحاك قال : قال أبو بكر : والله لوددت أني كنت شجرة إلى جنب الطريق ، فمر عليّ بعيرٌ فأخذني فأدخلني فاه فَلاَكَني ثم ازْدَرَدَني ثم أخرجني بَعْراً ، ولم أكن بشراً ؛ فقال عمر : ياليتني كنت كَبْشَ أهلي سَمَّنُوني مابَدَا لهم حتى إذا كنت كأسمن مايكون زارهم مَنْ يُحِبُّونَ ، فذبحوني لهم ، فجعلوا بعضي شِوَاء وبعضي قَدِيداً ، ثم أكلوني ، ولم أكن بشراً .

(١) لعل الأصل (أما تذهب إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن) .

وأخرج ابن عساكر عن أبي البختري قال : كان عمر بن الخطاب يخطب على المنبر ، فقام إليه الحسين بن علي رضي الله عنه ، فقال : أنزل عن منبر أبي ، فقال عمر : منبر أبيك لا منبر أبي ، مَنْ أمرك بهذا ؟ فقام عليّ فقال : والله ما أمره بهذا أحد ، أما لأوجعنَّكَ ياغُدَرُ ، فقال : لا تُوجِعِ ابن أخي ، فقد صدق ، منبر أبيه ، إسناده صحيح .

وأخرج الخطيب في أدب الراوي عن مالك من طريقه عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا يتنازعان في المسألة بينهما حتى يقول الناظر : إنهما لا يجتمعان أبداً ، فما يفترقان إلا على أحسنه وأجمله .

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال : أول خطبة خطبها عمر حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فقد ابتليت بكم وابتليتم بي ، وخُلِّفْتُ فيكم بعد صاحبيَّ ؛ فمن كان بحضرتنا باشَرْنَاهُ بأنفسنا ، ومن غاب عنا وليناه أهل القوة والأمانة ، ومن يحسن نَزِدْهُ حسناً ، ومن يسيء نعاقبه ، ويغفر الله لنا ولكم .

وأخرج عن جبير بن الحويرث أن عمر بن الخطاب رضي عنه استشار المسلمين في تدوين الديوان ، فقال له عليّ : تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال ، ولا تمسك منه شيئاً ، وقال عثمان : أرى مالا كثيراً يسع الناس وإن لم يحصوا حتى يعرف مَنْ أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن يلتبس الأمر ، فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : ياأمير المؤمنين قد جئتُ الشام فرأيت ملوكها قد دَوَّنُوا ديواناً ، وجَنَّدوا جنوداً ، فَدَوِّنْ ديواناً وجَنِّد جنوداً ، فأخذ بقوله ، فدعا عَقِيلَ بن أبي طالب ، ومَخْرَمَة بن نَوْفل ، وجُبَيْر بن مُطْعِم - وكانوا من نُسَّاب قريش - فقال : اكتبوا الناس على منازلهم ، فكتبوا فبدءوا ببني هاشم ، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ، ثم عمر وقومه على الخلافة ، فلما نظر فيه عمر قال : ابدءوا بقرابة النبي عليه الصلاة والسلام الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله .

وأخرج عن سعيد بن المسيب قال : دَوَّن عمر الديوان في المحرم سنة عشرين

وأخرج عن الحسن قال : كتب عمر إلى حُذَيْفة : أن أعطِ الناس أعطيتَهُمْ وأرزاقهم ، فكتب إليه : إنا قد فعلنا وبقي شيء كثير ، فكتب إليه عمر : إنه فَيْؤُهم الذى أفاء الله عليهم ، ليس هو لعمر ولا لآل عمر ، اقْسِمْهُ بينهم .

وأخرج ابن سعد عن جبير بن مُطْعِم قال : بينما عمر واقف على جبل عَرَفة سمع رجلا يصرخ ويقول : ياخليفة الله ، فسمعه رجل آخر وهم يعتافون[1] فقال : مالك فَكَّ الله لَهَوَاتك ؟ فأقبلتُ على الرجل فصحت عليه ، فقال جبير : فإنى الغَدَ واقف مع عمر على العقبة يرميها إذ جاءت حصاة عائرة[2] ففتقت رأسَ عمر ، فقصدت فسمعت رجلا من الجبل يقول : أشعرت ورب الكعبة ، لا يقف عمر هذا الموقف بعد العام أبداً ، قال جبير : فإذا هو الذى صَرَخَ فينا بالأمس ، فاشتدَّ ذلك عليَّ .

وأخرج عن عائشة ـ رضى الله عنها ! ـ قالت : لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين إذ صَدَرْنَا عن عرفة مررت بالمحصَّب فسمعت رجلا على راحلته يقول : أين كان عمر أمير المؤمنين ! فسمعت رجلا آخر يقول : ههنا كان أمير المؤمنين ، فأناخ راحلته ثم رفع عَقِيرته فقال :

عليك سَلَامٌ من إمام ، وباركت يدُ الله فى ذاك الأديم المُمَزَّقِ
فمن يَسْعَ أو يركبْ جَنَاحَيْ نعامةٍ ليدرك ماقَدَّمْتَ بالأمس يُسْبَقِ
قضيت أموراً ثم غادَرْتَ بعدها بَوَائِقَ فى أكمامها لم تُفَتَّقِ

فلم يتحرك ذلك الراكب ولم يدر من هو ، فكنا نتحدث أنه من الجن ؛ فقدِمَ عمر من تلك الحجة فُطعِنَ بالخنجر ، فمات .

وأخرج عن عبد الرحمن بن أَبْزَى عن عمر أنه قال : هذا الأمر[3] فى أهل بدر ما بقى منهم أحد ، ثم فى أهل أحد ما بقى منهم أحد ، وفى كذا وكذا ، وليس فيها لطَلِيق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء .

(١) يعتافون : من العيافة ، وهى زجر الطير ، وهى من معارف العرب فى جاهليتهم
(٢) عائرة : لايدرى من رماها . (٣) هذا الأمر : يريد به الخلافة .

وأخرج عن النخعي أن رجلا قال لعمر : ألا تستخلف عبد الله بن عمر؟ فقال: قاتلك الله ! والله ما أردْتَ الله بهذا ، أستخلف رجلا لم يحسن أن يطلق امرأته ؟.

وأخرج عن شدّاد بن أوس عن كعب قال: كان في بني إسرائيل ملك إذا ذكرناه ذكرنا عمر ، وإذا ذكرنا عمر ذكرناه ، وكان إلى جنبه نبي يُوحَى إليه، فأوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول له: اعهد عَهْدَكَ ، واكتب إليَّ وصيتك؛ فإنك ميت إلى ثلاثة أيام ، فأخبره النبي بذلك ، فلما كان اليوم الثالث وقع بين الجدار والسرير ، ثم جاء إلى ربه فقال : اللهم إن كنت تعلم أني كنتُ أعْدِلُ في الحكم ، وإذا اختلفت الأمور اتبعت هُدَاك وكنت وكنت ، فَزِدْ في عمري حتى يكبر طفلي وتربو أمتي ، فأوحي الله إلى النبي أنه قد قال كذا وكذا ـ وقد صدق ـ وقد زِدْتُه في عمره خمس عشرة سنة ، ففي ذلك ما يكبر طفله وتربو أمته ، فلما طُعن عمر قال كعب : لئن سأل عمر ربه ليبقينه الله ، فأخبر بذلك عمر، فقال : اللهم اقبِضْني إليك غير عاجز ولا مَلُوم .

وأخرج عن سليمان بن يسار أن الجن ناحت على عمر .

وأخرج الحاكم عن مالك بن دينار قال : سُمع صوت بجبل تَبَالة حين قتل عمر رضي الله عنه :

لِيَبْكِ على الإسلام مَنْ كان باكيا ... فقد أوشكوا صَرْعَى وما قَدُمَ العَهْدُ(1)

وأدبرت الدُّنيـــا وأدبر خيرها ... وقد مَلَّها من كان يوقن بالوَعْـدِ

وأخرج ابن أبي الدنيا عن يحيى بن أبي راشد البصري قال : قال عمر لابنه: اقتصدوا في كفني ؛ فإنه إن كان لي عند الله خير أبدلني ما هو خير منه، وإن كنت على غير ذلك سَلَبني فأسْرَعَ سلبي ، واقتصدوا في حُفْرَتي ؛ فإنه إن كان لي عند الله خير أوْسَعَ لي فيها مدّ بصري ، وإن كنت على غير ذلك ضيقها عَلَيَّ حتى تختلف

(1) في هذين البيتين الإقواء ، وهو اختلاف حركة الروي ، وغير عجيب ذلك ؛ لأنه من شعر الجن ! !

أضلاعى ، ولا تُخْرِجْ معى امرأة ، ولا تُزَكّونى بما ليس فِىَّ ؛ فإن الله هو أعلم بى ، فإذا خرجتم فأسْرِعُوا فى المشى ؛ فإنه إن كان لى عند الله خير قدمتمونى إلى ما هو خير لى ، وإن كنت على غير ذلك ألقيتم عن رقابكم شرًّا تحملونه .

فصـــل

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس ، أن العباس قال : سألت الله حَوْلاً بعد ما مات عمر أن يرينيه فى المنام ، فرأيته بعد حول وهو يسلت العرق عن جبينه فقلت : بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين ! ما شأنك ؟ فقال : هذا أوانُ فَرَغْتُ ، وإن كاد عرش عمر ليهدّ لولا أنى لقيت رءوفاً رحيماً .

وأخرج أيضاً عن زيد بن أسلم ، أن عبد الله بن عمرو بن العاص رأى عمر فى المنام ، فقال : كيف صنعت ؟ قال : متى فارقتكم ؟ قال : منذ اثنتى عشرة سنة ، قال : إنما أنفلَتُّ الآنَ من الحساب .

وأخرج ابن سعد عن سالم بن عبد الله بن عمر قال : سمعت رجلا من الأنصار يقول : دعوتُ الله أن يُرِيَنِى عمر فى المنام ، فرأيته بعد عشر سنين ، وهو يمسح العرق عن جبينه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ما فعلت ؟ قال : الآن فرغت ، ولولا رحمة ربى لهلكت .

وأخرج الحاكم عن الشعبى ، قال : رَثَتْ عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْل عمر ، فقالت :

عينُ جودى بعبرةٍ ونحيب ... لا تَمَلِّى على الإمام الصَّليب[1]
فجعتنى المنونُ بالفارس المُعْـلَم يوم الهياج والتأنيب[2]
عصمة الدين والمُعِينُ على الدهـر وغيث الملهوف والمكروب[3]
قل لأهل الضَّرَّاء والبؤس : مُوتُوا ... إذ سقتنا المنون كأسَ شَعُوبِ[4]

(١) فى الطبرى « الإمام النجيب » . (٢) وفيه « الهياج والتلبيب » .
(٣) وفيه « المنتاب والمحروب » (٤) وفيه « لأهل السراء والبؤس » .

فصـــل

فيمن مات من الصحابة ـ رضى الله عنهم ! ـ فى أيامه

مات فى أيام عمر رضى الله عنه من الأعلام ، عُتْبة بن غَزْوَان ، والعَلاء بن الْحَضرَمىّ ، وقيس بن السَّكَن ، وأبو قُحافة والد الصديق رضى الله عنه ، وسعد بن عُبَادة ، وسهيل بن عمرو ، وابن أم مكتوم المؤذن ، وعياش بن أبى ربيعة وعبد الرحمن أخو الزبير بن العوّام ، وقيس بن أبى صَعْصَعة ، أحدُ مَنْ جمع القرآن ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأخوه أبو سفيان ، ومارية أم السيد إبراهيم ، وأبو عُبَيْدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، ويزيد ابن أبى سفيان ، وشرحبيل بن حَسَنة ، والفضل بن العباس ، وأبو جَنْدَل ابن سهيل ، وأبو مالك الأشعرى ، وصفوان بن المُعَطَّل ، وأُبَىّ بن كعب ، وبلال المؤذّن ، وأسيد بن الحضير ، والبراء بن مالك أخو أنس ، وزينب بنت جحش ، وعياض بن غَنْم ، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان ، وخالد بن الوليد ، والجارود سيد بنى عبدالقيس ، والنعمان ابن مُقَرِّن ، وقتادة بن النعمان ، والأقرع ابن حابس ، وسَوْدة بنت زَمْعَة ، وعويم بن ساعدة ، وغَيْلاَنَ الثقفى ، وأبو مِحْجَن الثقفى ، وخلائق آخرون من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ! .

عثمان بن عفان ، رضى الله عنه

عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَى بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤى بن غالب ، القرشى ، الأموى [المكّىّ ، ثم المدنى] أبو عمرو ، ويقال : أبو عبد الله ، وأبو ليلى .

وُلد فى السنة السادسة من الفيل ، وأسلم قديماً ، وهو ممن دعاه الصِّدِّيقُ إلى الإسلام ، وهاجر الهجرتين : الأولى إلى الحبشة ، والثانية إلى المدينة .

وتزوّج رُقية بنتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلَ النبوّة ، وماتت عنده في ليالي غزوة بدر ، فتأخَّرَ عن بدر لتمريضها بإذن رسول صلى الله عليه وسلم ، وضرب له بسهمه وأجره ؛ فهو معدود في البدريين بذلك .

وجاء البشير بنصر المسلمين ببدر يوم دَفَنُوها بالمدينة ، فزوّجه رسول الله عليه الصلاة والسلام بعدها أختَهَا أمّ كلثوم ، وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة .

قال العلماء : ولا يعرف أحد تزوّج بنتَيْ نبيّ غيره ، ولذلك سمى ذا النورين ، فهو من السابقين الأوّلين ، وأوّلُ المهاجرين ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة الذين توفى رسول الله - عليه الصلاة والسلام ! - وهو عنهم راضٍ ، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن ، بل قال ابن عباد : لم يجمع القرآن من الخلفاء إلا هو[1] ، والمأمون .

وقال ابن سعد : استخلفه رسول الله عليه الصلاة والسلام على المدينة في غزوته إلى ذات الرِّقاع ، وإلى غَطَفَان .

روى لهُ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام مائة حديث ، وستة وأربعون حديثاً .

روى عنه زيد بن خالد الجُهَنِيُّ ، وابن الزبير ، والسائبُ بن يزيد ، وأنس ابن مالك ، زيد بن ثابت ، وسلمة بن الأكْوَع ، وأبو أمامة الباهلي ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعبدالله بن مُغَفَّل ، وأبو قتادة ، وأبو هريرة ، وآخرون من الصحابة ، رضى الله عنهم ! وخلائق من التابعين [منهم : أبَانُ بن عثمان ، وعبيد الله بن عدى ، وحُمْرَان ، وغيرهم] .

أخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن حاطب ، قال : مارأيتُ أحداً من

(١) المراد لم يجمعه حفظاً عن ظهر قلب ، أو لم يجمعه في مصحف . وإلا فإن السابق إلى جمع القرآن بعضه إلى بعض هو أبو بكر الصديق الخليفة الأول ، رضى الله تعالى عنه .

أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام كان إذا حدَّث أتمَّ حديثاً ، ولا أحسَنَ من عثمان بن عفان ، إلا أنه كان رجلا يهاب الحديث .

وأخرج عن محمد بن سيرين قال : كان أعلمهم بالمناسك عثمان ، وبعده ابن عمر .

وأخرج البيهقي في سننه ، عن عبد الله بن عمر بن أبانَ الجعفي قال : قال لي خالي حسين الجعفي : تدرى لم سمى عثمان ذا النورين ؟ قلت : لا ، قال : لم يجمع بين بنتي نبيّ منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة غير عثمان ، فلذلك سمى ذا النورين .

وأخرج أبو نعيم عن الحسن قال : إنما سمى عثمان ذا النورين ؛ لأنه لا نعلم أحداً أغلَقَ بابه على ابنتي نبيّ غيره .

وأخرج خيثمة في فضائل الصحابة ، وابن عساكر عن عليّ بن أبي طالب أنه سئل عن عثمان ؟ فقال : ذاك امرؤ يُدْعَى في الملأ الأعلى « ذا النورين » كان خَتَنَ رسول الله عليه الصلاة والسلام على ابنتيه[1] .

وأخرج الماليني بسند فيه ضعف ، عن سهل بن سعد قال : قيل لعثمان « ذو النورين » لأنه ينتقل من منزل إلى منزل في الجنة ، فتبرق له بَرْقَتَيْنِ ؛ فلذلك قيل له ذلك .

وقال : إنه كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو ، فلما كان الإسلام وَلَدت له رُقَيَّةُ عبدَ الله ، فاكتنى به .

وأمُّه : أرْوَى بنتُ كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس [ابن عبد مناف] وأمها : أمّ حكيم البيضاء بنتُ عبد المطلب بن هاشم ، توأمة أبي رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فأمّ عثمان بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) الختن — بالتحريك — هنا : زوج بنت الرجل .

قال ابن إسحاق : وكان أوّلَ الناس إسلاماً بعد أبي بكر ، وعليّ ، وزيد ابن حارثة .

وأخرج ابن عساكر من طرق أن عثمان كان رجلا رَبْعَةً : ليس بالقصير ، ولا بالطويل ، حسن الوجه ، أبيض مُشْرَباً حمرة ، بوجهه نكتات جُدَرى ، كثير اللحية ، عظيم الكراديس ، بعيد مابين المنكبين ، خَدْلَ الساقين ، طويل الذراعين ، شعره قد كسا ذراعيه ، جَعْدَ الرأس ، أصلع ، أحسن الناس ثغراً ، جُمَّته أسفل من أذنيه ، يَخْضِب بالصفرة ، وكان قد شد أسنانه بالذهب .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن حزم المازنى قال : رأيت عثمان بن عفان فما رأيت قط ذكراً ولا أنثى أحْسَنَ وجهاً منه .

وأخرج عن موسى بن طلحة قال : كان عثمان بن عفان أجمل الناس .

وأخرج ابن عساكر عن أسامة بن زيد قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزل عثمان بصَحْفَة فيها لحم ، فدخلت ، فإذا رقية رضى الله عنها جالسة ، فجعلت مرة أنظر إلى وجه رقية ، ومرة أنظر إلى وجه عثمان ، فلما رجعت سألنى رسولُ الله عليه الصلاة والسلام ، قال لى : دَخَلْتَ عليهما ؟ قلت : نعم ، قال: فهل رأيت زوجاً أحسن منهما ؟ قلت : لا يارسول الله .

وأخرج ابن سعد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمِيّ ، قال : لما أسلم عثمان بن عفان أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية ، فأوْثَقَهُ رباطاً ، وقال: تَرْغب عن ملة آبائك إلى دين مُحْدَث ؟ والله لاأدعك أبداً حتى تدع ماأنت عليه ، فقال عثمان : والله لاأدعه أبداً ، ولا أفارقه ، فلما رأى الحكم صَلاَبته فى دينه تركه .

وأخرج أبو يعلى عن أنس ، قال : أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة

بأهله عثمان بن عفان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صحبهما الله، إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط .

وأخرج ابن عدى عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته أم كلثوم قال لها : إن بعلك أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيك محمد .

وأخرج ابن عدى ، وابن عساكر عن ابن عمر قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : إنا نُشَبِّه عثمان بأبينا إبراهيم .

فصــــل

فى الأحاديث الواردة فى فضله ، غير ما تقدم

وأخرج الشيخان عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم جَمَعَ ثيابه حين دخل عثمان وقال : « ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة ! »

وأخرج البخارى عن أبى عبد الرحمن السلمى أن عثمان حين حُوصِرَ أشرف عليهم ، فقال : أنْشُدُكم بالله ، ولا أنشد إلا أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ جَهَّزَ جيش العُسْرَة فله الجنة ؟ فجهزتهم ، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ حفر بئر رُومةَ فله الجنة ؟ فَحَفَرْتُها ، فصَدَّقُوه بما قال .

وأخرج الترمذى عن عبد الرحمن بن خَبّاب قال : شهدت النبي عليه الصلاة والسلام وهو يحث على جيش العُسْرة فقال عثمان بن عفان : يارسول الله علىّ مائة بَعِيرٍ بأحلاسها وأقتابها[1] فى سبيل الله ، ثم حض على الجيش ، فقال عثمان : يارسول الله علىّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ، ثم حض على الجيش فقال عثمان : يارسول الله علىّ ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ، فنزل

(١) الأحلاس : جمع حلس - بالكسر - وهو البرذعة التى توضع تحت الرحل ، والأقتاب : جمع قتب - بالتحريك - وهو إكاف على قدر سنام البعير .

رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو يقول : ماعلى عثمان ماعَمِلَ بعد هذه شيء .

وأخرج الترمذى عن أنس ، والحاكم وصححه ، عن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ قال : جاء عثمان إلى النبى عليه الصلاة والسلام بألف دينار حين جهز جيش العُسْرَة فنثرها فى حجره ، فجعل رسول الله عليه الصلاة والسلام يقلبها ويقول : ماضر عثمان ماعمل بعد اليوم ، مرتين .

وأخرج الترمذى عن أنس قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رسولَ رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى أهل مكه ، فبايع الناسُ ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : إن عثمان بن عفان فى حاجة الله وحاجة رسوله ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى ؛ فكانت يد رسول الله عليه الصلاة والسلام لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم .

وأخرج الترمذى عن ابن عمر قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال : يقتل فيها هذا مظلوماً ، لعثمان .

وأخرج الترمذى ، والحاكم وصححه ، وابن ماجه ، عن مرة بن كعب قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة يقربها ؛ فمر رجل مُقَنَّع فى ثوب فقال : هذا يومئذ على الهدى ، فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان ، فأقبلت إليه بوجهى فقلت : هذا ؟ قال : نعم .

وأخرج الترمذى والحاكم عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ياعثمان ؛ إنه لعل الله يقَمِّصُكَ قميصاً ؛ فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى » .

وأخرج الترمذى عن عثمان أنه قال يوم الدار : إن النبى صلى الله عليه وسلم عهد إلى عهداً ؛ فأنا صابر عليه .

وأخرج الحاكم عن أبى هريرة قال : اشترى عثمانُ الجنةَ من النبى صلى الله عليه وسلم مرتين : حيث حفر بئر رُومَةَ ؛ وحيث جهز جيش العُسْرَة .

وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عثمان من أشبه أصحابي بي خُلُقًا » .

وأخرج الطبراني عن عِصْمَة بن مالك قال : لما ماتت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زَوِّجوا عثمان ، لو كان لي ثالثة لزوجته ، وما زوجته إلا بالوحي من الله » .

وأخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال : سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول لعثمان : « لو أن لي أربعين ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة » .

وأخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : مَرَّ بي عثمان وعندي مَلَكٌ من الملائكة فقال : « شهيد يقتله قومه ، إنا نستحي منه » .

وأخرج أبو يعلى عن ابن عمر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « إن الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله » .

وأخرج ابن عساكر عن الحسن أنه ذكر عنده حياء عثمان ، فقال : إن كان ليَكونُ في جوف البيت - والباب عليه مُغْلَق - فيضع ثوبه ليفيض عليه الماء فيمنعه الحياء أن يرفع صلبه.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١
البعثه النبوية	٢
مراحل الدعوة	١٢
مقاومة قريش وأسبابها ومراحلها	١٤
الاسراء والمعراج	٣١
فى الهجرة نصر وفتح	٤١
لا هجرة بعد الفتح	٤٥
مشروعية الجهاد فى سبيل الله	٥٢
أنواع الجهاد	٥٥
حمة مشروعية الجهاد	٥٨
حكم الجهاد	٦٠
السرايا	٦٦
غزوة العشيرة	٦٨
غزوة بدر الكبرى	٧١
من دروس غزوة بدر الكبريغزوة بنى سليم	٨٤
امهات المؤمنين	٨٦
قضية تعدد زوجاته .. والرد على شبهات المبشرين والمستشرقين	٨٧
زواجه (ﷺ) من زينب بنت جحش والرد على افتراءات المبشرين والمستشرقين	٩٠
حجة الوداع	٩٧
خطبة الوداع	١٠٠
	١٠٢
الرسول (ﷺ) يلحق بالرفيق الأعلى	١٠٤
من شمائل (ﷺ) ومكارم أخلاقه	١٠٧
الرسول (ﷺ) فى بيته	١١٤
ابو بكر الصديق الرسول (رضى الله عنه)	١١٩
عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)	١٩٣
عثمان بن عفان (رضى الله عنه)	٢٠٠